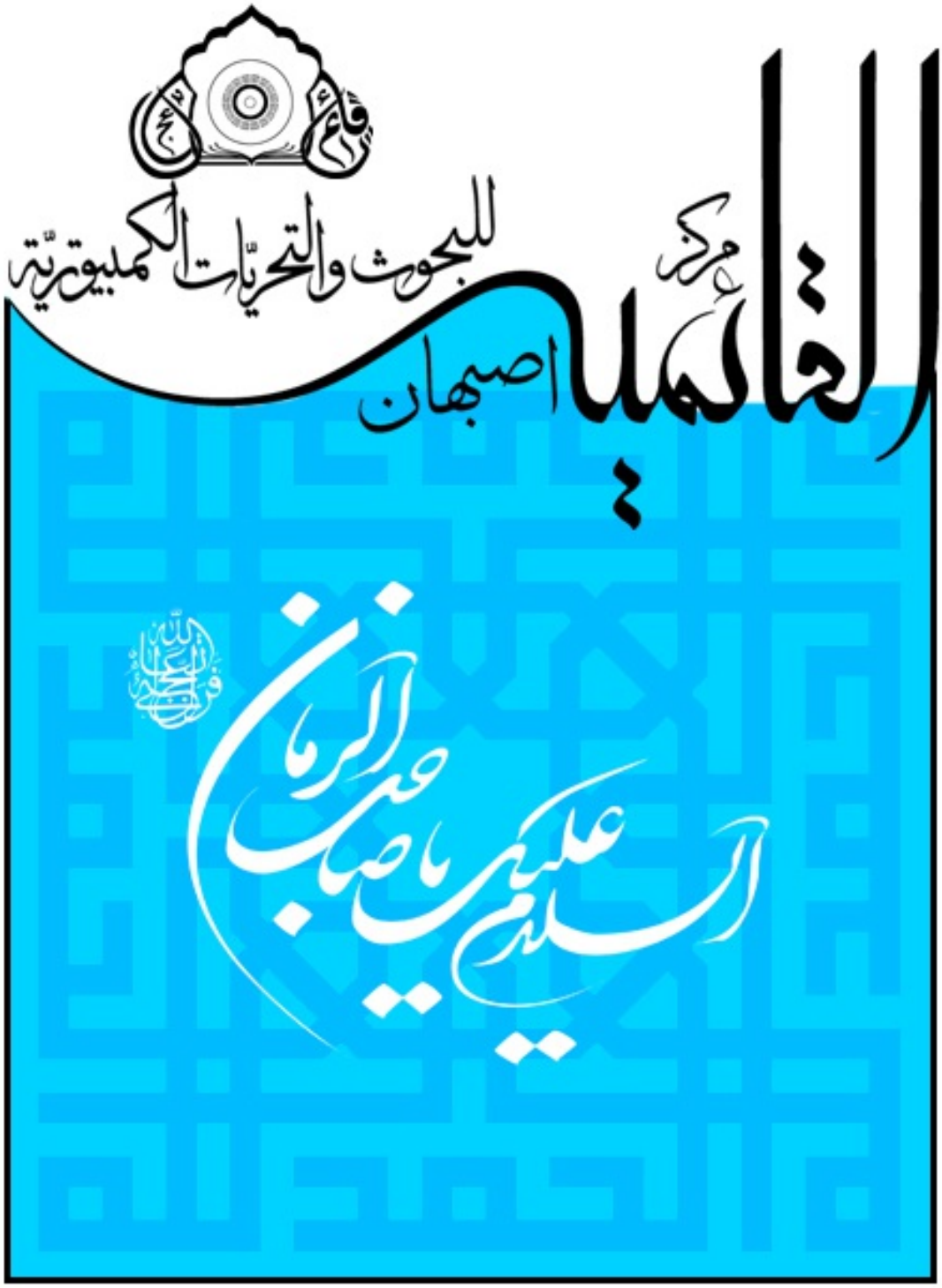

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

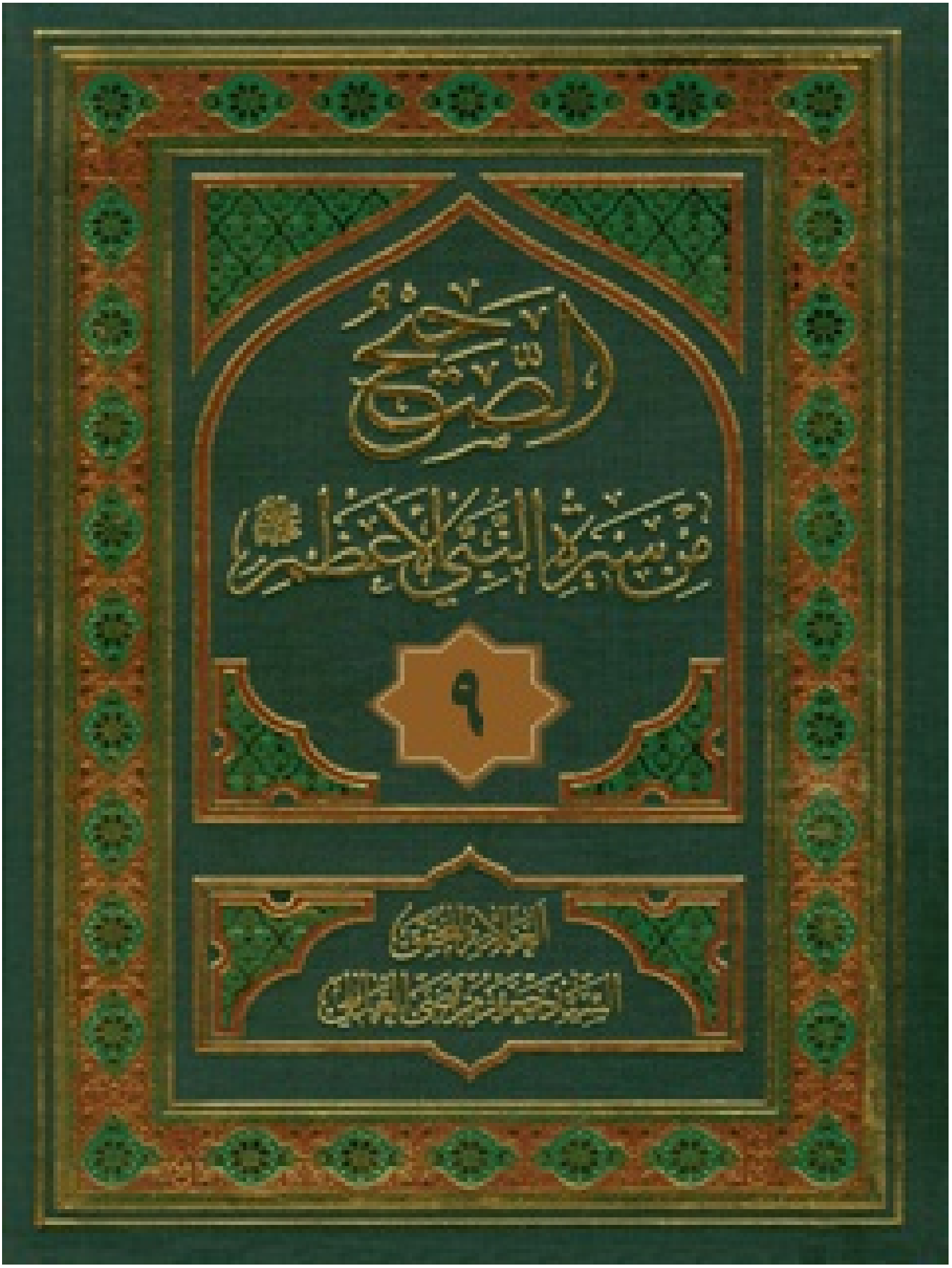
الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۹ ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
[تتمة القسم السادس] ----- ۱۳
[تتمة الباب الرابع] ----- ۱۳
الفصل‌الرابع: دلالات‌و عبر ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
یکفینیک اللّه، و ابنا قیلة: ----- ۱۳
النبی صلّی اللّه علیه و آله یحمّل أبا براء المسؤولیة: ----- ۱۴
شرف التواضع .. و ذل الغطرسة: ----- ۱۵
الرسل لا تقتل: ----- ۱۵
دیّة الرجلین لما ذا؟! ----- ۱۶
الأفق الضیق: ----- ۱۶
خلافة النبوة: ----- ۱۷
المشرکون فی مواجهة الوجدان: ----- ۱۸
رفضه صلّی اللّه علیه و آله هدیة ملاعب الأسنة منطلقاته و دلالاته: ----- ۱۸
المنطق القبلی مرفوض فی الإسلام: ----- ۲۰
مصیر زید بن قیس، و ابن الطفیل: ----- ۲۰
فزت و اللّه: ----- ۲۱
الباب الخامس غزوة بنی النضیر ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
الفصل الأول: النصوص و الآثار ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵

تمهید ضروری: ۲۵
نص ابن کثیر: ۲۷
قصة عمرو بن سعدی القرظی: ۳۲
القتال فی بنی النضیر: ۳۳
نصوص أخری حول قضیة بنی النضیر: ۳۴
لیخبرن بما هممتم به: ۳۷
الفصل الثانی: قبل أن تدق الطبول ۳۹
اشارة ۳۹
بدایة: ۳۹
الاختلافات الفاحشة: ۳۹
تاریخ غزوة بنی النضیر: ۳۹
تذکیر بما سبق: ۴۱
تهافت ظاهر: ۴۴
سبب غزوة بنی النضیر: ۴۵
روایة لا یعتمد علیها: ۴۷
نقض العهد .. و التکبیر: ۴۸
نقض العهد و المؤامرة: ۴۹
المعاهدات فی الإسلام: ۴۹
من عهد الأشتر: ۵۰
الوفاء بالعهد: ۵۱
الشرط الأساس فی کل عهد: ۵۲
العهود لا تنقض، و هی ملزمة للجمیع: ۵۲
إحترام أمور المعاهدین: ۵۳
المعاهدون لا یجفون و لا یقصون: ۵۳

من نتائج الصلح و العهد: ۵۴
العهد .. و الحذر: ۵۴
الخيانة فی حجمها الكبير: ۵۴
الوفاء بالعهد ضرورة حياتية: ۵۵
الغدر عجز و عدم ورع: ۵۶
الغادر هو الذی يعاقب: ۵۶
السلاح فی أيدی المعاهدين: ۵۶
موقف له دلالاته: ۵۷
وفاء اليهودی هو الغريب المستهجن: ۵۸
التصوير الحاقد، و التزوير الرخيص: ۶۰
مزيد من التجنی: ۶۱
الفصل الثالث: القرار و الحصار ۶۲
اشارة ۶۲
القرار الحكيم: ۶۲
لماذا كان الرسول أوسيا؟: ۶۳
حامل اللواء: ۶۴
الفتح علی يد علی عليه السلام: ۶۶
اشارة ۶۶
۱- الحكمة .. و المعجزة: ۶۷
۲- الشعور بالمسؤولية: ۶۷
۳- الأسرار العسكرية: ۶۷
۴- دراسة شخصية العدو: ۶۸
۵- إستباق مخططات العدو: ۶۸
۶- العمليات الوقائية: ۶۸

۷- إرهاصات: ۶۸
۸- الفتح على يد على عليه السّلام: ۶۹
۹- قتل قائد المجموعة: ۶۹
۱۰- الإشكال فى شعر حسان: ۷۰
تحديد المواقع: ۷۰
اشارة ۷۰
۱- بنو النضير شرقى المدينة: ۷۱
اشارة ۷۱
مناقشة للسمهودى لا تصح: ۷۳
مناقشة أخرى وردها: ۷۴
۲- قرب بنى خطمة إلى بنى النضير: ۷۴
خلاصة أخيرة: ۷۶
مناقشة مع الواقدى: ۷۶
قطع النخل، أو حرقه: ۷۶
عدد النخلات المقطوعة؟! ۷۷
تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل: ۷۸
اشارة ۷۸
۱- لماذا ابن سلام؟! ۷۹
۲- شكوک تصل إلى حد التهمة: ۷۹
اشارة ۷۹
البعض لم يفهم الآية: ۸۰
۳- الحرق أم القطع؟! ۸۰
اشارة ۸۰
الحكم الفقهى فى قطع الأشجار و حرقها: ۸۰

حرق النخيل، و الفساد فى الأرض: ----- ۸۱
جواب السهيلى لا يصح: ----- ۸۲
ضرورة قطع الأشجار و حرقها: ----- ۸۵
المهاجرون!! و قطع النخل: ----- ۸۷
التصويب فى الاجتهاد: ----- ۸۹
هذا الشعر لمن؟! ----- ۹۰
الفصل الرابع: الجزاء الأوفى ----- ۹۲
اشارة ----- ۹۲
تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى: ----- ۹۲
اليهود و المنافقون لا ينصرون حلفاءهم: ----- ۹۳
يخربون بيوتهم بأيديهم: ----- ۹۴
نجاف الباب و وصية موسى: ----- ۹۶
روايات غير موثوق بصحتها: ----- ۹۶
لأول الحشر: ----- ۹۷
سبب إخراج عمر لليهود: ----- ۱۰۰
دعاوى لا تصح: ----- ۱۰۶
الرواية الأقرب إلى القبول: ----- ۱۰۷
لا إكراه فى الدين: ----- ۱۰۷
إلى خيبر أم إلى الشام؟ ----- ۱۰۸
السلاح للمؤمنين فقط: ----- ۱۰۹
حزن المنافقين: ----- ۱۱۰
نماذج مثيرة: ----- ۱۱۰
حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود: ----- ۱۱۱
رواية شاذة لابن عمر: ----- ۱۱۲

روایة أخری تحتاج إلی إصلاح: ۱۱۳
بنو النضیر بمنزلة بنی المغیرة: ۱۱۳
ملاحظة: ۱۱۶
نزول آیة سورة المائدة فی بنی النضیر: ۱۱۶
التربیة القرآنیة: ۱۱۷
اللّه هو الذی أخرجهم: ۱۱۷
العز و الذل .. بما ذا؟ ۱۱۸
مبالغات لا مبرر لها: ۱۱۹
صلاة الخوف فی بنی النضیر: ۱۲۱
تحریم الخمر فی غزوة بنی النضیر: ۱۲۱
الفصل الخامس: کی لا یکون دولة بین الأغنیاء ۱۲۲
اشارة ۱۲۲
الخیانة و الفداء: ۱۲۲
أموال بنی النضیر فی النصوص و الآثار: ۱۲۳
أموال بنی النضیر لم تخمس: ۱۲۴
توضیحات للواقدی: ۱۲۵
اشارة ۱۲۵
ألف: التعبیر ب «صدقات» و «صوافی»: ۱۲۶
ب: حبائل ماکرة أخری: ۱۲۶
أموال بنی النضیر فیء أم غنیمة؟ ۱۲۷
الجواب الأمثل: ۱۲۸
المهاجرون .. و أموال بنی النضیر: ۱۲۹
حکایة قسمة الأراضی: ۱۲۹
محاسبات دقیقة: ۱۳۰

المستفیدون من أراضی بنی النضیر: ۱۳۱
نصان غیر متوافقین: ۱۳۳
کی لا یکون دولة بین الأغنیاء. ۱۳۴
لما ذا اختص ذوو القربی بالخمس و الفیء؟ ۱۳۶
الباب السادس حتی الخندق ۱۳۷
اشارة ۱۳۷
الفصل الأول: غزوة ذات الرقاع .. تاریخ و أحداث ۱۳۷
اشارة ۱۳۷
بدایة: ۱۳۷
الرصد الدقیق: ۱۳۷
نتائج و آثار: ۱۳۸
غزوة ذات الرقاع: ۱۳۹
نقاط لا بد من بحثها: ۱۴۰
التسمیة بذات الرقاع: ۱۴۰
تاریخ هذه الغزوة: ۱۴۱
الصحیح و المعقول: ۱۴۲
مؤیدات: ۱۴۴
لما ذا مؤیدات؟! ۱۴۵
کلام الدمیاطی: ۱۴۵
دلیل الرأی الآخر: ۱۴۵
غزوتان أم غزوة واحدة: ۱۴۶
من استخلف النبی صلّی اللّه علیه و آله علی المدینة؟! ۱۴۷
تضحیات عباد بن بشر: ۱۴۸
تسجیل تحفظ: ۱۴۹

مع الحدث فی مرامیه و دلالاته: ---- ۱۴۹
قصة غورث بن الحارث: ---- ۱۵۰
قصة أخری تشبه قصة غورث: ---- ۱۵۱
القصة الأقرب إلی القبول: ---- ۱۵۴
کیف نفهم هذه القصة؟! ---- ۱۵۵
الفهارس ---- ۱۵۵
۱- الفهرس الإجمالی ---- ۱۵۵
۲- الفهرس التفصیلی ---- ۱۵۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۶۱

الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۹

اشارهٔ

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

[تتمهٔ القسم السادس]

[تتمهٔ الباب الرابع]

الفصل‌الرابع: دلالات‌و عبر

اشارهٔ

الصحیح من السیرهٔ النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۹،ص:۷

یکفینیک اللّه، و ابنا قیلهٔ:

قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» يجيب على تهديدات عامر بن الطفيل بقوله: «يكفينيك اللّه، و ابنا قيلة».

و المقصود ب «ابنى قيلة»: الأوس، و الخزرج.

و هذه الكلمة تتضمن:

۱- إعزازا لجانب الأوس و الخزرج.

۲- تحريضا لهما على إسداء النصر ضد العدو، الذى لا مبرر لعدوانه، إلا الحمية الظالمة الخرقاء، حمية الجاهلية، و إلا الانقياد للهوى، و الاستجابة لنزغ الشيطان.

۳- إن اعتماده «صلى اللّه عليه و آله» هو على اللّه أولا و بالذات، و لكنه فى نفس الوقت يعد العدة، و يعتمد الوسائل المادية فى دفع الأخطار المحتملة، و هذا يدلل على واقعية الإسلام، و على أنه لا يتعامل مع الأمور بصورة تجريدية و ذهنية محضة، كما أنه لا يفرط فى الاعتماد على القوة المادية، بل هو يعتمد عليها فى صراط اعتماده على اللّه سبحانه، فاللّه هو المصدر الأول للقوة.

بل و حتى القوة المادية، إذا لم تنته إلى اللّه فإنها تتحول إلى ركام و حطام

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸

لا- أثر له، إن لم نقل: إن له الكثير من الآثار السلبية و الهدامة فى كثير من الأحيان، و هذا موضوع حساس و خطير، يحتاج إلى توفر أتم، و وقت أوفى.

النبى صلّى اللّه عليه و آله يحمّل أبا براء المسؤولية:

و بعد .. فإننا نجد: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد اعتبر أبا براء هو المسؤول عما حصل، حينما قال: «هذا عمل أبى براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا».

و نحن نشك فى ذلك.

فإن الروايات التى روت لنا ما حصل، لعلها متفقة على أن أبا براء، لم تكن له أية علاقة بما حدث، لا من قريب، و لا من بعيد، و قد صرحت بعضها بأنه كان مستاء جدا مما حصل.

بل إن بعضها يصرح: بأنه قد مات أسفا على ما صنع به عامر ابن أخيه. و عليه فيرد هنا سؤال، و هو:

هل إنه لم تبلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله» الأخبار على حقيقتها؟

و إذا كان ذلك، فما بال جبرائيل لا يوقفه على حقيقة ما جرى؟!

أم يعقل أن يكون ما وصل إلينا قد تعمد التعتيم على ما جرى، أو كان محرفا لسبب أو لآخر؟!

و لعل الإجابة الأقرب إلى الواقع هى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان على علم تام بما حصل، و لكنه أراد تحريض أبى براء ضد مرتكب الجريمة عامر بن الطفيل؛ بالطريقة المشروعة، و المقبولة لدى الناس، فلقد كان أبو براء قد قبل- مختارا و متبرعا- بأن يكون مسؤولا عن حياة أولئك

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹

النفر، و هو الذى بادر إلى إظهار الرغبة بإرسالهم إلى تلك المنطقة، و حينما عبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن مخاوفه من أهل نجد، نجد أبا براء قد قبل أن يجيرهم، ثم يذهب بنفسه، و يخبر أهل نجد بأنه قد أجار أصحاب محمد «صلى اللّه عليه و آله».

و لعل من نتائج موقف النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذا، ثم مبادرة حسان بن ثابت لتحريض ربيعة بن أبى براء على عامر، أن سأل ربيعة النبى «صلى اللّه عليه و آله» أو غيره: إن كانت ضربة أو طعنة لعامر تغسل عن أبيه هذه الغدرة، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: نعم.

فطعنه ربيعة فى حياة أبيه، فقتله، «كما فى معالم التنزيل» أو فأشواه، كما فى المصادر الأخرى.

شرف التواضع .. و ذل الغطرسة:

و تحدثنا الروايات المتقدمة: أن عامر بن الطفيل لم يستطع أن يميز النبى «صلى اللّه عليه و آله» من بين أصحابه حيث كان جالسا بينهم كأحدهم حتى يسأل عنه هذا و ذاك فيخبرونه.

نعم، و هذه هى أخلاق الإسلام و تعاليمه، و هذه هى تربيته للإنسان، فهو يربى فى الإنسان إنسانيته أولا، و يفهمه أن الحكم ليس امتيازا و إنما هو مسؤولية و واجب فى إطار قاعدة: لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى.

فالإسلام يربى فى الإنسان روح الرفض و الإدانة لكل الامتيازات الظالمة، التى يجعلها المتزعمون، و أصحاب الثروات و الوجاهات لأنفسهم، لا لشىء إلا لأنهم أبناء فلان، أو لأنهم يملكون القوة، أو المال، أو ما أشبه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰

ذلك. من دون أن يقدموا لمجتمعهم أدنى ما توجبه عليهم القيم و المثل الإنسانية، و لا حتى أن يعترفوا لغيرهم بأبسط الحقوق، حتى حق الحياة، فضلا عن حق الحرية، و العيش بكرامة.

الرسل لا تقتل:

و يلاحظ هنا: أن عامر بن الطفيل قد ارتكب عملا شنيعا، يرفضه الخلق الإنسانى، و يأنف منه حتى أكثر الناس بعدا عن المعانى الإنسانية و الاخلاقية. ألا و هو قتل الرسول، (حامل كتاب النبى «صلى اللّه عليه و آله») و قد جرت عادة العرب قديما «بأن الرسل لا تقتل» «۱» كما أنه يخفر ذمة أبى براء، و ما جرت عادة العرب بذلك أيضا.

و هناك جريمة ثالثة، و هى أن قتله للرسول كان غدرا و غيلة و ذلك أمر لا يستسيغه حر يحترم نفسه، و يطمح إلى ما كان يطمح إليه مثل عامر. مع أنه هو نفسه يرسل إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» يطلب منه دية الرجلين، اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى فى طريقه رغم أن عمروا لم يكن يعلم بالعهد الذى أعطاهما إياه الرسول، و رغم أن ما فعله عامر، من شأنه أن ينسف كل العهود و المواثيق، و يعطى حق المعاملة بالمثل الذى تقره جميع الأعراف، و لا تمنع منه الشرائع.

و لكن سماحة الإسلام .. و حرص النبى «صلى اللّه عليه و آله» على أن يعامل الناس بأخلاقه هو، لا على حسب أخلاقهم هم، هو الذى جعله لا

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱

يتخذ مواقفه من خلال الانفعالات و المشاعر، التى تنشأ عن إثارات يتعمدها الخصوم فى كثير من الأحيان، فإن الإنسان المسلم لا تزله الرياح العواصف، و لا يفقد توازنه، و لا يتخلى عن مبادئه و لا يحيد عن هدفه ليصبح أسير مشاعره الثائرة، و انفعالاته الطاغية و يلبى نداءاتها و يستجيب لإثاراتها.

فنجد النبى «صلى اللّه عليه و آله» يرسل بدية الرجلين، و لا يذكّر بشىء مما فعله قومهما، بل هو يظهر استياءه من قتل عمرو بن أمية لهما، و يصرح بتصميمه على أن يديهما فور علمه بما جرى عليهما، و قبل أن يرسل إليه عامر بطلب ديتهما.

و بذلك يتميز الإنسان المؤمن عن غيره، يسير كل منهما فى خطه الذى ينبغى له، هذا دليله عقله و حكمته، و رائده رضى ربه، و

سلامة دينه، و الفوز بالآخرة، و ذاك دليله هواه و رائده شهواته، و هدفه الدنيا، و زخرفها.

و فى مقابل ذلك نجد عامر بن الطفيل ينقاد لهواه فيقتل الرسول، و الرسل لا تقتل، و يخفر الذمة، و يستعمل طريقة الختر و الغدر، و كل ذلك شنيع، و فظيع.

و هو كذلك ينقاد لهواه لأنه يرفض أن يكون موته بغدة كغدة البعير، و يأنف أن يكون ذلك فى بيت سلولية.

أما رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فهو ينسجم مع أخلاقه، كما أنه ينطلق من مبادئه السامية فى كل مواقفه و لا يخرجه أى شىء عن توازنه و متانته، لا يزعزع ثباته، و لا تزله الرياح العواصف مهما كانت هوجاء، و عاتية «۱».

---

(۱) راجع كتاب: محمد فى المدينة ص ۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲

ديّة الرجلين لما ذا؟!

و من جهة ثانية نلاحظ: أن قبيلة عامر قد رفضت الاستجابة لطلب ابن الطفيل بقتل المسلمين، و ذلك وفاء لذمة أبى براء و جواره.

و لا بد أن يكون موقف النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذا مؤثرا فى إعطاء صورة حسنة للعامريين، و يفترض البعض أيضا: أن ذلك يزيد فى حالة عدم الانسجام فيما بين هذه القبيلة و بين عامر بن الطفيل، الذى ارتكب تلك الجريمة النكراء، فهو «صلى اللّه عليه و آله» يريد استمالة بنى عامر إلى جانبه، و لهذا قرر التدخل فى السياسة الداخلية للقبيلة.

و لكننا نقول: إن بعض النصوص تؤكد أن موقف النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذا قد كان منطلقا من قيمة أخلاقية، و رسالية، فرضها عليه واقع أن هذين الرجلين كانا من أهل ذمته «صلى اللّه عليه و آله»، و لم يقتلا من أجل ذنب أتياه، حسبما أشرنا إليه آنفا.

و يضيف ذلك البعض: أنه كان معيبا فى حق بنى عامر، ترك الرجال يقتلون، و هم تحت حمايتهم، و لهذا كان الشاعر المسلم كعب بن مالك واضحا فى هذا الصدد.

إلى أن قال: و لم يكن محمد يستطيع التخلى عن بنى عامر قبل التخلى عن كثير من الآمال، و لكن هذا لم يمنعه من أن يصلى و يطلب من اللّه معاقبة عامر «۱».

و لكننا نقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد دعا على رعل و ذكوان

---

(۱) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳

و عصية، و لم أجد أنه دعا على بنى عامر، بل ذكر الواقدى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: اللهم اهد بنى عامر، و اطلب خفرتى من عامر بن الطفيل «۱». و لعل عدم مشاركة بنى عامر فى الدفاع عمن أجارهم أبو براء، إنما هو من أجل أن لا تحدث انشقاقات خطيرة بينهم و بين غيرهم ممن استجاب لابن الطفيل.

و أما القول بأن تخلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن بنى عامر، معناه التخلى عن كثير من الآمال، فإنه غير واضح، إذ ما ذا يمثل بنو عامر، و ما هو الدور الذى قاموا به، أو يمكنهم أن يقوموا به فى نصرته «صلى اللّه عليه و آله»؟!

الأفق الضيق:

و ما أقل عقل عامر بن الطفيل، و ما أحقر طموحاته و أحطها، و ما أضيق الأفق الذى يفكر فيه، حينما نجده يفعل الأفاعيل انطلاقا من حالة انفعالية أثارها أمر تافه، و تافه جدا، جعله يرتكب أبشع جريمة، و يخالف كل الأعراف و التقاليد، فيغدر، و يخفر الذمم و يقتل الرسول، و يقتل الكثيرين غيره، و يبادر إلى الزحف نحو المدينة، كل ذلك من أجل أى شىء يا ترى، و فى سبيل أية قضية؟!

إن ذلك كله .. كما ورد فى الروايات قد كان من أجل أن صبيا عطس، فشمّته النبى «صلى اللّه عليه و آله» لأنه حمد اللّه، و يعطس عامر فلا يحمد اللّه، فلا يشمّته رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴

و ما كان أحراه بأن يستفيد من هذه القضية درسا حياتيا مفيدا، فيتوجه نحو اللّه سبحانه و يعتبر أن العز، و الشرف، و السؤدد بالقرب منه تعالى، و العمل بما يرضاه، و أن كل شىء بدون اللّه فهو حائل زائل، و زخرف باطل، لا قيمة له، فيربى نفسه على ذكر اللّه، و التقرب إليه لينال كل ما يصبو إليه من عز و شرف و حياة و سعادة.

و لكنه يتخلى عن ذلك كله، ليتبع خطوات الشيطان، و يشمخ بأنفه، و ينظر فى عطفه، و يصر مستكبرا صادّا عن ذكر اللّه سبحانه، يتخيل أن بإمكانه أن يحصل على شىء بدون اللّه، و بدون اللجوء إليه سبحانه، فتكون النتيجة هى أنه يجلب لنفسه الوبال، و الدمار، و يخسر الدنيا و الآخرة و بئس للظالمين بدلا.

خلافة النبوة:

أما مطالب عامر بن الطفيل التى عرضها على النبى «صلى اللّه عليه و آله» فهى تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: يجسد طموحاته و أطماعه الدنيوية و حبه للتسلط، و الاستئثار، فنجده يساوم النبى «صلى اللّه عليه و آله»- كما فعله مسيلمة الكذاب فيما بعد «۱»- ليقاسمه السلطة على الناس، بزعمه، فيقترح عليه أن يكون للنبى «صلى اللّه عليه و آله» السهل، و يكون لعامر أهل الوبر، من دون أن يكون لديه أى مبرر لذلك، سوى الغطرسة و الطغيان، و الاعتزاز بألف أشقر

---

(۱) فقد كتب النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أما بعد فإن الأرض لى و لك نصفان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵

و ألف شقراء و الاعتماد على قوة السيف، الذى يرى فيه المحلل لكل محرم، و يسمح له بارتكاب أى مأثم، و من دون أن يعطى لأولئك الناس الذين يطمح للتسلط عليهم حق الاختيار، الذى يساوى حق الحياة، و كأن الناس سلع تشرى، و تباع و توهب.

هذا عدا عن أنه لا يملك هو نفسه أى امتياز يخوله الاستئثار بشىء من الامتيازات دون غيره، فهو لا يملك العلم النافع، و لا يرفع شعار الهداية لسبيل اللّه و الحق، و الخير، و لا غير ذلك من مقومات.

الثانى: إنه يرشح نفسه لمنصب خطير و هام، ألا و هو خلافة النبوة، و قيادة الأمة و هدايتها. هذا المنصب الذى لم يكن يملك أى شىء من مقوماته: خلقيا، و إنسانيا، و سلوكيا، فضلا عن الامتياز العلمى، و سائر القدرات و المؤهلات الذاتية، التى لا بد من توفرها فى من يتصدى لمنصب كهذا.

و لا ـ أدل على ذلك من أنه تثور ثائرته، لأن الرسول «صلى اللّه عليه و آله» يشمّت غلامه الذى حمد اللّه، و لم يشمّته هو، حيث لم يحمد اللّه تعالى.

و بعد هذا .. فكأنه لم يسمع ما أجاب به النبى «صلى اللّه عليه و آله» أحد بنى عامر بن صعصعة، حينما عرض على النبى «صلى اللّه

عليه و آله» فى مكة نفس ما عرضه هو عليه، فأجابه «صلى اللّه عليه و آله» بقوله: «إن الأمر للّه، يضعه حيث يشاء».

فلا مجال لرأى أحد فى أمر الإمامة بعده «صلى اللّه عليه و آله» و لا يثبت ذلك بالانتخاب، و لا بالشورى، و لا هو من صلاحيات النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه، و إنما هو فقط من صلاحيات رب العزة، و خالق الكون دون سواه؛ فهو الذى يختار و منه يصدر القرار، و قد قدمنا بعض ما يرتبط بهذه القضية فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶

الجزء الثالث من هذا الكتاب فى فصل: حتى بيعة العقبة، فراجع.

المشركون فى مواجهة الوجدان:

و بعد .. فقد ذكرت الروايات: أن أبا براء، ملاعب الأسنة، قد أرسل إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» يستشفيه من دبيلة كانت فى بطنه، فتناول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» جبوبة (و هى المدرة) من تراب، فأمرّها على لسانه ثم دفها بماء، ثم سقاه إياها، فكأنما أنشط من عقال «۱».

و فى نص آخر: فتفل فيها و قال: دفها بماء، ثم أسقاه إياه ففعل؛ فبرئ، و يقال: إنه بعث إليه بعكة عسل؛ فلم يزل يلعقها حتى برئ «۲».

و يذكرنا هذا النص بما قدمناه عن مشركى مكة أيضا، الذين يعلم كل أحد ما لاقاه النبى «صلى اللّه عليه و آله» منهم، حتى اضطروه إلى الهجرة، فإنهم مع عدائهم له «صلى اللّه عليه و آله» يودعون أموالهم عنده «صلى اللّه عليه و آله»، حتى ليضطر إلى إبقاء على أمير المؤمنين «عليه السلام» فى مكة ثلاثة أيام- حين الهجرة- ليؤدى الودائع و الأمانات إلى أصحابها.

و معنى ذلك هو: أنهم يرون فى هذا النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أنه متصل بالغيب، حتى ليرسلون إليه يستشفونه من أمراضهم، كما و يرون فيه أنه فى غاية الأمانة و الرعاية لحقوق الناس، و أموالهم.

الأمر الذى لا بد أن يكشف لهم عن ملكات و فضائل أخلاقية نادرة

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۷۲.

(۲) راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۵۰ و الإصابة ج ۳ ص ۱۲۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷

لديه «صلى اللّه عليه و آله» و أنه لا مطمع له بمال، و لا بمتاع دنيا.

إذا، فإنهم لا بد أن يتلمسوا التناقض الهائل الذى يجدون أنفسهم فيه، فهم يكرهونه، و يكذّبونه، و يتهمونه، و هم كذلك يرون طهارته، و عفته و صدقه، و أمانته، حتى لقبوه بالصادق الأمين. فيعيشون حالة الصراع الداخلى مع ذاتهم، و مع وجدانهم، و ما أشده من صراع، و ما أعظم البركات التى يحصلون عليها لو انتصر عقلهم و وجدانهم. و ما أخطرها و أشدها دمارا، لو انتصرت المشاعر و الأهواء، و المصالح الشخصية الرخيصة.

و ليراجع الجزء الثانى من هذا الكتاب فى بحث: العوامل المساعدة على انتصار الإسلام و انتشاره ففيه مطالب أخرى ترتبط بهذا المقام.

و لعل هذا الإحساس الوجدانى الصريح، الذى أدركه أبو براء من خلال مصادقته له «صلى اللّه عليه و آله»- فإنه كان له صديقا- هو الذى جعل هذا الرجل يتحمس لأن يرسل النبى «صلى اللّه عليه و آله» دعاته إلى نجد، ثم يتعهد بأن يكونوا فى جواره، و تحت حمايته.

رفضه صلّى اللّه عليه و آله هدية ملاعب الأسنة منطلقاته و دلالاته:

و تواجهنا فى الروايات المتقدمة قضية رفضه «صلى اللّه عليه و آله» هدية أبى براء، ملاعب الأسنة، على اعتبار أنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يقبل هدية مشرك، حتى و لو كان صديقا له.

و قد تقدم فى فصل: أبو طالب مؤمن قريش، موارد أخرى فى هذا المجال، و هى تدل على: أن ذلك كان نهجا له «صلى اللّه عليه و آله» و يصر على الالتزام به، و التعامل على أساسه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸

و نحن فى مجال فهم الهدى النبوى فى هذا الاتجاه، نشير إلى ما يلى:

ألف: إن من الواضح أن المشركين لا يقيسون الأمور بمقاييس صحيحة، و لا يبنون علاقاتهم مع الآخرين على أساس المثل و القيم و المبادئ عموما.

و إنما ينطلقون فى تقييمهم للأمور من نظرة ضيقة، و مصلحية، قائمة على أساس الأهواء، و الطموحات غير المتزنة و لا المسؤولة.

و على هذا، فقلما تجدهم يبادرون إلى إتحاف بعضهم بالهدايا و نحوها من منطلق منطقى، أو من شعور إنسانى نقى و برىء، أو من مبادئ إنسانية، و مثل عليا.

و إنما غالبا ما يكون ذلك تزلفا، و تصنعا؛ بهدف الحصول على ما هو أغلى، و ما هو أهم، أو بهدف دفع غائلة من لا يجدون لدفع غائلته وسيلة، و لا عن التصنع و التزلف إليه مهربا، و محيصا.

و لأجل ذلك .. فلو فرض أن النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» قد قبل هديتهم. فعدا عن كون ذلك يدخل فى نطاق الموادة لهم، و هو ما ينهى عنه القرآن الكريم صراحة؛ فإنه لو أراد بعد ذلك أن يتخذ من انحرافاتهم و جرائمهم موقفا رافضا و مسؤولا، فلسوف يعتبرون ذلك، و يعتبره كل من هو على شاكلتهم، نكرانا للجميل، و كفرانا للنعمة، الأمر الذى يجعل من هذا الأمر مبررا لأية سلبية تظهر على مواقفهم منه فيما يأتى من الأيام.

كما أن رفض النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» لهديتهم لا يعتبر مقابلة للإكرام بضده، و لا يعد خلقا سيئا، أو تصرف نابيا.

إذ إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يملك كل الحق فى أن يفهمهم أن القضية قضية مصيرية، لا يمكن الإغضاء عنها، و لا التساهل فيها، و لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹

تخضع للمساومة، و لا للمداهنة، و لا يمكن التنازل عن أى شىء فيها فى مقابل المال و النوال.

و لا سيما إذا كان إعطاء المال أو تقديم الهدية يوزن بميزان جاهلى، مصلحى، حسبما ألمحنا إليه.

ب: و بعد فإن إهداء أبى براء ملاعب الأسنة للنبى «صلى اللّه عليه و آله»، و قول حامل الهدية حينما رد النبى الهدية: «ما كنت أرى أن رجلا من مضر يرد هدية أبى براء» «۱» يدل على أن أبا براء كان رجلا ذا أهمية فى مجتمعه الذى يعيش فيه، حتى إن أى مضرى لا يجرؤ على رد هديته احتراما و تقديرا له.

فإهداؤه للنبى «صلى اللّه عليه و آله» يدل على أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان قد ذاع صيته، و ظهرت هيبته فى مختلف أرجاء المنطقة آنئذ، و بدأ يتزلف إليه المتزلفون، و يخطب وده الخاطبون.

ج: كما أن الأمر الذى يثير العجب حقا هو: أننا نجد أبا براء ذلك الرجل المعروف و المبجل فى محيطه، و الذى لا يرد هديته مضرى ليس فقط يتلقى هذه الصدمة الكبيرة، و هى رد هديته من قبل صديقه، بالإذعان و القبول، و إنما هو يطلب من النبى إرسال دعاته إلى بلاد نجد، و يقبل أن يتحمل مسؤولية حمايتهم، و كونهم فى جواره.

هذا كله .. عدا عن طلبه الاستشفاء بالنبى «صلى اللّه عليه و آله» و عمله بما أرسل به إليه.

مع أننا نجد ابن أخيه عامرا على العكس من ذلك تماما؛ حيث يثيره

(۱) راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰

تشميت النبى لغلام حمد اللّه، و عدم تشميته له، و هو لم يحمد اللّه. ثم يتنامى به الأمر، و يتعاظم حتى يرتكب تلك الجريمة النكراء، بأسلوب رخيص و لئيم، أقل ما يقال فيه: إنه مجلبة للعار الدائم، و الذل المقيم .. و المخالف حتى لأعراف الجاهلية، فضلا عن مناقضته لكل القيم و المثل و المبادئ الإنسانية.

فإن كان ما فعله أبو براء عن سياسة و دهاء فنعم السياسة تلك، و حبذا هذا الدهاء، و إن كان عن عقل و حكمة فالمجد و الخلود لهذا العقل، و تلكم الحكمة، و إن كان عن قناعة وجدانية و نفحة إيمانية كانت قد بدأت تذكو فى نفسه، فما علينا إلا أن نقبل بالرواية القائلة: إنه قد أسلم قبل أن يموت.

و نحن نود أن تكون هذه هى عاقبته، و إن كنا لا نملك الدليل القاطع على ذلك.

المنطق القبلى مرفوض فى الإسلام:

و بعد .. فقد رأينا النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» ليس فقط لا يؤيد ما فعله عمرو بن أمية الضمرى، من قتل الرجلين، و إنما يعبر عن إدانته و استيائه من هذا الأمر.

ثم هو يتعهد بأن يدى الرجلين، و يفعل ذلك.

و إذا أردنا أن لا نقبل بكون الرجلين كانا قد أسلما حقيقة بقرينة: أنهم يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله» أعطى دية حرين مسلمين.

فإننا لا بد أن نستفيد من موقف النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذا حتى و لو كانا كافرين إدانة صريحة للمنطق الجاهلى القبلى الذى يبيح للإنسان أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱

يقتل أيا من أفراد القبيلة الأخرى، لو ارتكب واحد منها جريمة تجاه قريب له فرضا.

فهو «صلى اللّه عليه و آله» يلوم عمرو بن أمية و يدين عمله، و يقول له:

بئس ما صنعت، رغم أنه لم يكن يعلم بالعهد، و رغم أن اللذين قتلهما كانا بزعمه مشركين.

و يوضح: أنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما يدين المنطق القبلى الجاهلى قوله «صلى اللّه عليه و آله»: رجلين من أهل ذمتى قتلتهما لا لأجل دينهما، حسبما روى.

مصير زيد بن قيس، و ابن الطفيل:

و تذكر الروايات المتقدمة: أنه بعد أن أراد زيد بن قيس قتل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و حبس اللّه يده، حتى لم يتمكن من سل سيفه،

كانت النتيجة: أن اللّه سبحانه و تعالى يرسل على زيد بن قيس صاعقة، فتحرقه، ثم يموت عامر بن الطفيل من غدة كغدة البعير فى بيت سلولية.

و ما ذلك إلا لأن هذين الرجلين قد رأيا بأم أعينهما الآية الظاهرة، و المعجزة القاهرة له «صلى اللّه عليه و آله»، و لكنهما يصران على الضلال، و الكفر، و لا يعتبران بما رأياه من كرامة إلهية له «صلى اللّه عليه و آله»، فكانت النتيجة: أن أصبحا عبرة لمن اعتبر، و خسرا

الدنيا و الآخرة، و بئس للظالمين بدلا.

فزت و اللّه:

و نجد فى الروايات المتقدمة: أن جبار بن سلمى، المشرك، حينما طعن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲

ابن ملحان الأنصارى سمعه يقول: فزت و اللّه، تحير فى فهم مغزى كلامه، فقال فى نفسه: ما فاز؟ أليس قد قتلت الرجل؟!

ثم يسأل عن هذا الأمر بعد ذلك، فأخبروه: أنه الشهادة، فقال: فاز لعمرو اللّه. و كان ذلك سبب إسلامه.

و نحن بدورنا ليس لدينا ما يثبت أو ينفى هذه الرواية، و لكننا نعلم:

أن أمير المؤمنين «عليه السلام» حينما ضربه ابن ملجم على رأسه فى مسجد الكوفة، قال: فزت و رب الكعبة «۱».

و نقول: إن تحير ذلك المشرك، و قول أمير المؤمنين «عليه السلام» و ذلك المسلم لهذه الكلمة طبيعى جدا.

فإن من يفهم الأمور فهما دنيويا و مصلحيا بحتا، يقيس الربح و الخسران بمقاييس المادة و الماديات و حسب. فلا يمكنه أن يفهم الموت إلا على أنه ضياع و خيبة؛ لأنه يراه عدما و فناء، و خسارة وجود، و نهاية حياة.

أما الإنسان المسلم القرآنى؛ فهو يرى فى الموت أمرا آخر، و معنى يختلف كليا عن هذا المعنى، و ذلك من خلال التعليم القرآنى، الذى هو المصدر الأصفى، و الأدق و الأوفى، ثم التربية النبوية الرائدة، و توجيهات الأئمة و الأوصياء «صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين».

و لا نريد أن نفيض فى ذكر الآيات و الروايات التى تعرضت لحقيقة

---

(۱) ترجمة الإمام على «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج ۳ ص ۳۰۳ تحقيق المحمودى و مقتل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن أبى الدنيا، مطبوع فى مجلة تراثنا السنة الثالثة عدد ۳ ص ۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳

الموت، و بينت موقعه فى مسيرة الإنسان و مصيره، و إنما نكتفى بالإشارة إلى ما يلى:

۱- قال تعالى: الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ «۱».

۲- عن الإمام الحسين «عليه السلام»؛ فى خطبة له فى مكة، قبل أن يخرج إلى العراق: خط الموت على ولد آدم، مخط القلادة على جيد الفتاة، و ما أولهنى إلى أسلا فى اشتياق يعقوب إلى يوسف «۲».

۳- و فى رواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: «ذكر الموت يميت الشهوات فى النفس، و يقلع منابت الغفلة، و يقوى القلب بمواعد اللّه، و يرق الطبع، و يكسر أعلام الهوى، و يطفئ نار الحرص» «۳».

۴- عن الصادق «عليه السلام»: «إن المؤمن إذا مات لم يكن ميتا؛ فإن الميت هو الكافر» «۴».

و الآيات و الروايات حول الموت و الحياة كثيرة، فيها الإشارات و الدلائل الجمة إلى كثير من الأمور الهامة و الخطيرة، و نحن نكتفى هنا بالإشارة إلى ما يلى:

ألف: بالنسبة للآية الكريمة نقول: إننا نلاحظ أنها قدمت ذكر الموت على ذكر الحياة «الموت و الحياة».

---

(۱) الآية ۳ من سورة الملك.

(۲) اللهوف ص ۲۵ و مقتل الحسين للمقرم ص ۱۹۰ عنه و عن ابن نما ص ۲۰.

(۳) البحار ج ۶ ص ۱۳۳ و مصباح الشريعة ص ۱۷۱ و ميزان الحكمة ج ۹ ص ۲۴۵.

(۴) معانى الأخبار ص ۲۷۶ و ميزان الحكمة ج ۹ ص ۲۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴

كما أنها صرحت: بأن الموت مخلوق للّه سبحانه، كما أن الحياة مخلوقة له تعالى.

إذا فللموت دوره كما هو للحياة، و ليس هو مجرد فناء و عدم، يظهر معناه و مغزاه من خلال ظهور المعنى المقابل له.

ثم صرحت الآية: بأن السر فى خلق هذين العنصرين هو وضع الإنسان على المحك فى سوقه نحو الأفضل و الأحسن، و الأكمل، الأمر الذى يفيد: أن لهما دورا فى بناء شخصية الإنسان و تكامله.

و ذلك يعنى: أنهما مرحلتان يتجاوزهما الإنسان، و لا يتوقف عندهما فى مسيرته الظافرة نحو الحياة الحقيقية وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ «۱»، حيث إن بها يبلغ الإنسان مرحلة كماله، و فيها تتساقط الحجب المادية المانعة من الإحساس بالأمور إحساسا واقعيا و حقيقيا و عميقا.

ب: إن الكلمة المروية عن الإمام الحسين «عليه السلام» قد اعتبرت أن الموت بمثابة قلادة على جيد الفتاة، و معنى ذلك هو: أن الموت هو زينة للحياة و يزيد فى بهجتها، و يعطيها رونقا، و بهاء و جمالا، و بدونه تكون باهتة خافتة تماما كما هو الحال بالنسبة للقلادة التى تزيد فى بهجة و بهاء و جمال الفتاة، و توجب انشداد الأنظار إليها، و تعلق النفوس بها.

و لأجل هذا المعنى جعلها على جيد «فتاة» و ليس «المرأة». فإن الفتاة هى التى تميل إليها نفوس الطالبين، و تكون موضعا لتنافس المتنافسين.

كما أننا نلاحظ: أنه لم يستعمل كلمة «عنق» هنا و إنما اختار كلمة

---

(۱) الآية ۶۴ من سورة العنكبوت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵

«جيد» الذى هو من الجودة، و هو تعبير مريح للنفس أيضا، و مثير لكثير من المعانى اللذيذة فى أعماقها.

فالموت زينة الحياة، و بهجتها، حينما يثير فى الإنسان طموحه إلى ما هو أبعد و أوسع و أعلى و أغلى، و يشد روحه و عقله إلى الآفاق الرحبة، و ملاحقة أسرار الكون و خفاياه، و حقائقه و دقائقه و مزاياه، من أجل أن يسخّر كل ما فى الوجود و يستفيد من كل ما تصل إليه يده فى مجال إبعاد الشقاء و العناء، و مساعدته على بلوغه مدارج الكمال، و وصوله إلى أهدافه السامية، و تحقيقه مثله العليا، الأمر الذى يحتم عليه التزام الفضائل، و التعالى عن الموبقات و الرذائل.

بالإضافة إلى أن حقيقة الموت، و إدراكها بعمق يمنح هذا الإنسان القدرة على الوقوف فى وجه شهواته و يهيمن عليها، لأنه يعطى الحياة الدنيا قيمتها الحقيقية، و يمكّن الإنسان من أن يفهمها بعمق، و يعرف مدى واقعيتها.

حتى ليرى الإنسان المؤمن: أن الموت فى بداية الحياة الحقيقية، و أن الخروج من هذه الدنيا المحفوفة بالمخاطر هو السبيل للسلامة من دواعى و طغيان الشهوات، و الراحة من مكافحة النفس الأمارة بالسوء.

فالموت إذا، هو بداية الراحة، و الخير، و الفوز.

و به تتساقط الحجب و تزول الموانع عن الإحساس الحقيقى بالوجود، و الوصول إلى كنه الحقائق.

و هو يمكّن الإنسان من أن يملك نفسه، و يستفيد من وجوده و طاقاته بصورة كاملة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۶

و لأجل ذلك، فقد كان الموت للإنسان المؤمن أحلى من العسل «۱».

و وصف الحسين «عليه السلام» أصحابه فقال: «يستأنسون بالمنية دونى استئناس الطفل إلى محالب أمه» «۲».

و قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: و اللّه لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه «۳».

كما أن الموت يصبح خروجا من سجن قاس و مرهق، فإن الدنيا سجن المؤمن، و القبر حصنه و الجنة مأواه «۴». و ما أحلى أن يحصل الإنسان على حريته، و يكون هو سيد نفسه و يواصل انطلاقته نحو اللّه، و يسرح فى رحاب ملكوته. وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ «۵».

أما الكافر فهو يرى الموت فناء و عدما، و ضياعا، فهو كارثة حقيقية بالنسبة إليه، و خسران لنعيم الدنيا، و الدنيا هى جنة الكافر و القبر سجنه، و النار مأواه، حسبما جاء فى الحديث الشريف «۶».

و بكلمة .. إن الموت هو سر الحياة، و هو يعطى للحياة معناها و قيمتها، و هو سرّ الطموح، و الحركة و البناء، و العمل الهادف المنتج، و هو سر سعى الإنسان نحو كماله و نحو ربه: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً

---

(۱) وسيلة الدارين فى أنصار الحسين ص ۲۵۳.

(۲) مقتل الحسين للمقرم ص ۲۶۲. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۹ ۲۶ فزت و الله: ..... ص : ۲۱ (۴) البحار ج ۷۰ ص ۹۱ و الخصال ج ۱ ص ۱۰۸.

(۵) الآية ۶۴ من سورة العنكبوت.

(۶) البحار ج ۷۰ ص ۹۱ و الخصال ج ۱ ص ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۷

فَمُلاقِيهِ «۱».

و بالموت تتساقط الحجب و الموانع التى تقلل من قدرة الإنسان على الإحساس بالواقع، لأنه إنما يتصل بالواقع عن طريق الحواس المادية، التى لا تسمح بالإحساس بالواقع إلا فى مستوى التخيل و التصوير، و لا توصل إلى كنه الحقائق، و الاتصال بأسرار الكون و الحياة.

هذا بالإضافة إلى أن المعاصى تزيد من طغيان الجسد، و ضعف القدرات الروحية، فيتضاءل إحساسه بالحقائق، و يتقاصر فهمه عنها، و لا يعود قادرا على التعامل معها بعمق ذاته و وجوده، و بكنه مواهبه الإلهية.

و كل ما تقدم يفهمنا بعض ما يرمى إليه الحديث الوارد عن الإمام الصادق «عليه السلام» و المتقدم برقم (۳)، و لعل جانبا مما يرمز إليه الحديث رقم (۴) اتضح أيضا.

ج: و لكننا نزيد فى توضيح خلق الموت هنا، فنقول: إنه إذا كان الموت انتقالا من نشأة إلى نشأة، و تصرفا فى الصورة و الشكل، مع بقاء المضمون و الحقيقة و الماهية على ما هى عليه، فإن خضوع الموت لعملية الخلق يصبح بمثابة من الوضوح، لأن الخلق يختزن هذا المعنى أيضا، و يشهد لذلك قوله تعالى: مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ أى وجدت فيها الأشكال و الصور البدائية للإنسان، وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ «۲» أى لم يوجد فيها ذلك.

و قال تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُماتٍ

---

(۱) الآية ۶ من سورة الإنشقاق.

(۲) الآية ۵ من سورة الحج.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۸

ثَلاثٍ «۱».

د: بقى أن نشير إلى أن الحكم على الكافر بالموت فى الآخرة، إنما هو بملاحظة: أن نفسه و روحه لن تكون قادرة على نيل درجات القرب، و السير فى رحاب ملكوت اللّه سبحانه، و الإحساس بعظيم جلاله، و القرب من ساحة قدسه بل يكون الكافر فى ظلمات الجحيم، يأتيه الموت من كل مكان، و ما هو بميت، محجوب عن اللّه، و عن رحمته، مشغول بنفسه و آلامه، عن كل شىء آخر.

ه: و بعد .. فإننا بملاحظة بعض ما تقدم نستطيع أن نفهم كيف يكون المؤمنون شهداء على الناس، و أن ندرك بعمق معنى الشهيد و الشهادة.

فإنها من الشهود، الذى هو الوصول إلى الواقع و ملامسته، مع إدراك و وعى له، و إحساس واقعى و وجدانى به، ثم معرفة قيمته و حقيقته على ما هو عليه فى نفس الأمر.

و من هنا نعرف: أن الشهود يزيد عن الحضور، فإن الإنسان قد يكون حاضرا لحدث ما، و لكنه ليس شاهدا له إذا لم يدركه بعمق راسخ، تشارك فيه قوى الإدراك الباطنية الظاهرية فى الوصول و الحصول.

و بما أن الشهادة هى الوصول إلى الحقيقة، مع إدراك و إحساس واقعى بها، بسبب تساقط الحجب، و زوال الموانع المادية، فيستطيع الإنسان حينئذ أن يدرك واقع الحياة و سر الوجود، و حقائقه.

فإنها لا يمكن- يعنى الشهادة- أن ينالها الكافر، لأنه محجوب بذنوبه،

---

(۱) الآية ۶ من سورة الزمر.

و بأعماله، و تكون حياته موتا، أما موته فلا يؤهله إلا لمواجهة مصيره الأسود، حيث تحف به ملائكة العذاب، و تحتوشه زبانية جهنم، و يبقى محجوبا عن ساحة القدس الإلهية، و عن الانطلاق فى رحابها، و نيل بركاتها.

كما أن هذه الشهادة تحتاج إلى تربية إلهية، و رعاية ملكوتية، تمنحه المعرفة الحقيقية، و الرؤية الصادقة، و تربية سلوكيا و عاطفيا، و تصفى و تزكى نفسه و روحه، و عمله، و كل وجوده؛ ليكون إنسانا إلهيا بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

نعم، و هذا ما يفسر لنا قوله تعالى: وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ «۱».

فإن اللّه هو الذى يربيهم، و يزكيهم، و يؤهلهم لتلقى المعارف، و يكشف عن أبصارهم و بصائرهم ليصلوا إلى درجة الشهود و الخلود، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر «۲».

وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَ آتاهُمْ تَقْواهُمْ «۳».

أما الكفار، ف: لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ «۴».

و خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ «۵».

---

(۱) الآية ۱۴۰ من سورة آل عمران.

(۲) الآية ۵۵ من سورة القمر.

(۳) الآية ۱۷ من سورة محمد.

(۴) الآية ۱۷۹ من سورة الأعراف.

(۵) الآية ۷ من سورة البقرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۰

و فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ «۱».

و: و عمليـة الجهاد الأكبر ما هى إلا بذل الجهد من أجل الوصول إلى حالة الشـهود هذه؛ ليكون الجهاد الأصـغر انعكاسا طبيعيا لدرجة الشهود التى يصل إليها الإنسان، و لمدى إدراكه لحقيقة الكون، و الحياة، و إحساسه باللّه سبحانه، و بألطافه، و الحصول على بركاته.

و لأجل ذلك، فقـد كان الجهاد بابا من أبواب الجنـة، لا يسـتطيع كل أحـد و لوجه و الـدخول فيه، بل فتحه اللّه لخاصة أوليائه و ليس كل أوليائه، فهؤلاء الخاصـة وحـدهم الـذين يمكنهم الجهاد، و يسـتحقون لقب «مجاهد» و يمكنهم أن ينالوا درجة الشـهادة، و يكونوا شهداء.

قال على «عليه السلام»: الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه اللّه لخاصة أوليائه «۲».

و يلاحظ هنا كلمة: «خاصة أوليائه» أى و ليس كلهم.

أما الآخرون، فإنهم لا يستطيعون ذلك، و إن كان يمكن لكل واحد أن يقاتل، و أن يصبح قتيلا.

و بعد كل ما قدمناه، فإننا نفهم بعمق ما جاء على لسان ذلك الرجل «ما فاز؟! أليس قد قتلت الرجل».

ثم نفهم بعمق أيضا قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: فزت و رب الكعبة.

---

(۱) الآية ۵ من سورة الصف.

(۲) نهج البلاغة (بشرح عبده)، الخطبة رقم ۲۶ أولها: ج ۱ ص ۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۱

الباب الخامس غزوة بنى النضير

اشارة

الفصل الأول: النصوص و الآثار الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول الفصل الثالث: القرار و الحصار الفصل الرابع: الجزاء الأوفى الفصل الخامس: كى لا يكون دولة بين الأغنياء الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳

الفصل الأول: النصوص و الآثار

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵

تمهيد ضرورى:

هنـاك بعض الأحـداث الهامـة، و المواقف الحساسـة، التى تحمـل فى طياتهـا الكثير من العبر و العظـات، و تترك لها آثارا بارزة على منحى و عمق الفكر الإنسانى، و الرسالى، و على الفهم الدقيق للمسار العام فى خط الرسالة ..

هـذا عـدا عن التأثير الظاهر لها فى البنية العقائدية، و فى اللاشـعور، و الشـعور الوجدانى المهيمن على الموقف، و الحركة، و السـلوك

للإنسان فى مختلف مراحله و أدواره، و فى كثير من أحواله و أطواره.

و لكن هذه الأحداث و المواقف بالذات، و خصوصا ما كان منها فى العهد النبوى الشريف لم تنل قسطها من البحث و التقصى من قبل العلماء و أهل الفكر بل مروا عليها- تقريبا- مرور الكرام، فبدت: و كأنها أمور تافهة و حقيرة، و محدودة و صغيرة، و خيّل إلى الكثيرين: أنها ليس فيها ما ينفع و لا ما يجدى .. فكان طبيعيا أن يبقى الكثير من جوانبها، و حقائقها، و ظروفها و ملابساتها رهن الإبهام، و الإهمال، و كأنها ليست حقيقة ثابتة، و إنما هى محض و هم أو خيال.

و لا نبعد كثيرا إذا قلنا: إن غزوة بنى النضير كانت واحدة من هذه الأحداث، التى لها هذه الحالة التى أشير إليها، فهى حدث فريد و متميز، لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۶

يقل فى أهميته عن أى من الأحداث الكبرى فى العهد النبوى الشريف ..

و يتضح ذلك بصورة أجلى و أتم من خلال دراستنا لكثير من النصوص و الآثار التى وردت فى هذه الواقعة ..

و لا أدل على ذلك من أنهم يقولون: إن سورة الحشر- بتمامها- قد نزلت فى هذه المناسبة .. و هذا يبرهن على الأهمية البالغة لهذه الواقعة، و على أنها كانت تمثل تحولا كبيرا و إيجابيا، فى مسيرة العمل و العاملين فى سبيل اللّه سبحانه من جهة .. كما أنها تعتبر- من الجهة الأخرى- ضربة قاسية و قاصمة لأعداء اللّه، و أعداء دينه من الكافرين ..

فقد كان اليهود- الذين كان بنو النضير أقواهم شوكة، و أشدهم شكيمة، و أعزهم عزة- يعيشون فى قلب الدولة الإسلامية، و حيث كان بإمكانهم الاطلاع على أدق دقائقها، و على حقائق خفاياها و نواياها، ثم الوقوف على المستوى الحقيقى و الدقيق لما تملكه من قدرات و إمكانات مادية و معنوية .. و على كل الواقع الذى كان قائما فى داخل المجتمع الإسلامى، سواء على مستوى العلاقات و الارتباطات فيما بين فئات ذلك المجتمع، أو سائر المجالات، و مختلف المواقع.

كما أنهم- أعنى اليهود- كانوا يملكون أذرعة ظاهرة و خفية، ممتدة هنا و هناك، و فى عمق المجتمع الإسلامى الجديد، حتى على مستوى بعض القيادات فيه، و التى كانت تساهم بشكل فعال فى صنع القرار، أو فى عرقلته و تعطيله. ثم إن لليهود الهيمنة الروحية و الثقافية و العلمية على الأكثرية الساحقة، التى يفترض فيها: أن تكون القاعدة الصلبة، و القوية، التى تعتمد عليها تلك القيادة فى تنفيذ القرار،، و فى فعاليته، و قوة تأثيره، ثم فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۷

الحفاظ عليه و حمايته على المدى القريب أو البعيد على حد سواء ..

هذا .. و علينا أن لا ننسى أن اليهود كانوا يملكون قوة كبيرة فى حساب الثروات و الأموال ..

و يكفى أن نذكر: أنهم كانوا يملكون من (الحلى) الشىء الكثير، قال بعضهم: إنهم كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكة و غيرهم. و كان يكون عند آل أبى الحقيق «۱».

و سيأتى فى غزوة خيبر: أن آل أبى الحقيق قد قتلوا بسبب ذلك الحلى كما ذكر ذلك غيره أيضا «۲».

هذا .. بالإضافة إلى ما كان لليهود من ديون على الناس، قد بلغت حدا جعلهم يجدون فيها حائلا دون تسهيل أمر رحيلهم، لو لا أن تصدى النبى «صلى اللّه عليه و آله» لحل هذا المشكل بالصورة التى لم يبق لهم معها أى خيار، حينما أمرهم بالوضع (أى حذف بعض المال) و بالتعجيل فى الآجال «۳».

و علينا أن لا ننسى: أن هذه الضربة القاسية و القاصمة التى تلقاها اليهود عامة، و بنو النضير بصورة أخص، إنما تمثل إضعافا لواحد من أهم مصادر القوة و التحدى لدى أعداء الإسلام و المسلمين، و لا سيما بالنسبة إلى المشركين، و كل من يتعاطف معهم من القبائل و الطوائف فى المنطقة العربية، حيث خسروا واحدا من أهم حلفائهم، و ذوى القوة و النفوذ فيهم.

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۷.

(۲) الأموال ص ۲۴۲ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۳۶.

(۳) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۸

و قد نجد فيما يأتى من فصول إلماحة أو أكثر إلى هذا الأمر، و إلى غيره من أمور فرض علينا البحث التذكير بها، و الإلماح إليها.

و لذا .. فإننا سوف نكتفى هنا بهذا القدر، و نبدأ- بحول اللّه و قوته- بالحديث عن غزوة بنى النضير، حسبما يتهيأ لنا فى نطاق مراعاة نسق الكتاب و مستواه، و كثير من الأمور الأخرى التى لا بد لنا من مراعاتها، فيما يرتبط بمقتضيات البحث بصورة عامة ..

فنقول .. و من اللّه نستمد الحول و القوة، و منه نطلب التوفيق و التسديد:

إننا نذكر فى البداية نصا لهذه الغزوة، نختاره مما هو بحوزتنا من نصوص، و سوف يكون هذه المرة لابن كثير فى سيرته، و فى بدايته و نهايته، مع حذف بعض ما رأينا من المناسب حذفه .. ثم نشير فى نهاية النص إلى جانب من المصادر و المراجع، التى يمكن الرجوع إليها للاطلاع على نصوص هذه الغزوة.

فنقول:

نص ابن كثير:

قال ابن كثير: عن سورة الحشر فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بنى النضير.

و حكى البخارى عن الزهرى، عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد.

و قد أسنده ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه، عن عبد اللّه بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهرى به.

و هكذا روى حنبل بن إسحاق، عن هلال بن العلاء، عن عبد اللّه بن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۹

جعفر الرقى، عن مطرف بن مازن اليمانى، عن معمر، عن الزهرى، فذكر غزوة بدر فى سابع عشر رمضان سنة اثنتين.

قال: ثم غزا بنى النضير، ثم غزا أحدا فى شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع.

و قال البيهقى: و قد كان الزهرى يقول: هى قبل أحد.

قال: و ذهب آخرون إلى أنها بعدها، و بعد بئر معونة أيضا.

قلت: هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم، فإنه بعد ذكره بئر معونة و رجوع عمرو بن أمية و قتله ذينك الرجلين من بنى عامر، و لم يشعر بعهدهما الذى معهما من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لهذا قال له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «لقد قتلت رجلين لأدينّهما».

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية، للعهد الذى كان «صلى اللّه عليه و آله» أعطاهما، و كان بين بنى النضير و بين بنى عامر عهد و حلف، فلما أتاهم «صلى اللّه عليه و آله» قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه- و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد- فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة و يريحنا منه.

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى

نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر و عمر و على، فأتى رسول اللّه الخبر من السماء بما أراد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۴۰

القوم، فقام و خرج راجعا إلى المدينة.

فلما استلبث النبى «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه قاموا فى طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه فقال: رأيته داخلا المدينة.

فأقبل أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به.

قال الواقدى: فبعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره و بلده، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم و يحرضونهم على المقام و يعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، و حمى حيى بن أخطب، و بعثوا إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أنهم لا يخرجون، و نابذوه بنقض العهود. فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم.

قال الواقدى: فحاصروهم خمس عشرة ليلة.

و قال ابن إسحاق: و أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالتهيؤ لحربهم و المسير إليهم.

قال ابن هشام: و استعمل على المدينة ابن أم مكتوم، و ذلك فى شهر ربيع الأول.

قال ابن إسحاق: فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال، و نزل تحريم الخمر حينئذ، و تحصنوا فى الحصون، فأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بقطع النخيل و التحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد و تعيب من صنعه، فما بال قطع النخيل و تحريقها؟

قال: و قد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد اللّه بن أبى، و وديعة، و مالك، و سويد، و داعس قد بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا و تمنعوا،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۴۱

فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم و إن أخرجتم خرجنا معكم. فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، و قذف اللّه فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول اللّه أن يجليهم و يكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة.

و قال العوفى: عن ابن عباس، أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه (و) وسقا «۱». رواه البيهقى.

و روى: من طريق يعقوب بن محمد، عن الزهرى، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن مسلمة، أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعثه إلى بنى النضير و أمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال.

و روى البيهقى و غيره: أنه كانت لهم ديون مؤجلة، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: ضعوا و تعجلوا.

و فى صحته نظر، و اللّه أعلم.

قال ابن إسحاق: فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف «۲» بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، و منهم من سار إلى الشام، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر: سلّام بن أبى الحقيق و كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق و حيى بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها.

فحدثنى عبد اللّه بن أبى بكر أنه حدث: أنهم استقبلوا بالنساء و الأبناء

---

(۱) الوسق: حمل البعير.

(۲) النجاف: أسكفة الباب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۴۲

و الأموال، معهم الدفوف و المزامير و القيان يعزفن خلفهم بزهاء و فخر، ما رؤى مثله لحى من الناس فى زمانهم.

قال: و خلوا الأموال لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، يعنى النخيل و المزارع، فكانت له خاصة يضعها حيث شاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف و أبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما، و أضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة. حكاه السهيلى.

قال ابن إسحاق: و لم يسلم من بنى النضير إلا رجلان و هما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش و أبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

قال ابن إسحاق: و قد حدثنى بعض آل يامين أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك و ما همّ به من شأنى؟

فجعل يامين لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش، فقتله لعنه اللّه.

قال ابن إسحاق: فأنزل اللّه فيهم سورة الحشر بكاملها، يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته، و ما سلط عليهم به رسوله، و ما عمل به فيهم.

إلى أن قال ابن كثير: فأسرهم بالمحاصرة بجنوده و نفسه الشريفة ست ليال، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا و صالحوا على حقن دمائهم و أن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابهم، على أنهم لا يصحبون شيئا من السلاح إهانة لهم و احتقارا، فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدى المؤمنين، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

إلى أن قال: و قد روى البخارى و مسلم جميعا عن قتيبة، عن الليث، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حرق نخل بنى النضير و قطع، و هى البويرة، فأنزل اللّه: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۴۳

قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ «۱».

و عند البخارى من طريق جويرية بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حرق نخل بنى النضير و قطع، و هى البويرة، و لها يقول حسان بن ثابت:

و هان على سراة بن لؤىحريق بالبويرة مستطير فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول:

أدام اللّه ذلك من صنيعو حرق فى نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بسترو تعلم أى أرضينا نضير قال ابن إسحاق: و قال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير و قتل كعب بن الأشرف فاللّه أعلم:

لقد خزيت بغدرتها الحبور «۲»كذاك الدهر ذو صرف يدور

و ذلك أنهم كفروا بربعظيم أمره أمر كبير

و قد أوتوا معا فهما و علماو جاءهم من اللّه النذير

نذير صادق أدى كتاباو آيات مبينة تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدقو أنت بمنكر منا جدير

فقال: بلى لقد أديت حقايصدقنى به الفهم الخبير

فمن يتبعه يهد لكل رشدو من يكفر به يخز الكفور

---

(۱) الآية ۵ من سورة الحشر.

(۲) الحبور: جمع حبر، و هم علماء اليهود.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۴۴ فلما أشربوا غدرا و كفراو جدّ بهم عن الحق النفور

أرى اللّه النبى برأى صدقو كان اللّه يحكم لا يجور

فأيده و سلطه عليهمو كان نصيره نعم النصير

فغودر منهم كعب صريعافذلت بعد مصرعه النضير

على الكفين ثم و قد علتهبأيدينا مشهرة ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلاإلى كعب أخا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكرو محمود أخو ثقة جسور

فتلك بنو النضير بدار سوءأبارهم بما اجترموا المبير «۱»

غداة أتاهم فى الزحف رهوا «۲»رسول اللّه و هو بهم بصير

و غسان الحماة مؤازروهعلى الأعداء و هو لهم وزير

فقال السلم و يحكم فصدواو خالف أمرهم كذب و زور

فذاقوا غب أمرهم و بالالكل ثلاثة منهم بعير

و أجلوا عامدين لقينقاعو غودر منهم نخل و دور و قد ذكر ابن إسحاق جوابها لسمال اليهودى، فتركناه قصدا.

قال ابن إسحاق: و كان مما قيل فى بنى النضير قول ابن لقيم العبسى، و يقال: قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعى:

---

(۱) أبارهم: أهلكهم.

(۲) رهوا: يسيرا سهلا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۴۵ أهلى فداء لامرئ غير هالكأحل اليهود بالحسى المزنم «۱»

يقيلون فى جمر العضاة و بدلواأهيضب عودا بالودى المكمم «۲»

فإن يك ظنى صادقا بمحمدتروا خيله بين الصلا و يرمرم «۳»

يؤم بها عمرو بن بهثة إنهمعدو و ما حى صديق كمحرم

عليهن أبطال مساعير فى الوغىيهرون أطراف الوشيج المقوم «۴»

و كل رقيق الشفرتين مهندتوورثن من أزمال عاد و جرهم

فمن مبلغ عنى قريشا رسالةفهل بعدهم فى المجد من متكرم

بأن أخاهم فاعلمن محمداتليد الندى بين الحجون و زمزم

فدينوا له بالحق تجسم أموركمو تسمو من الدنيا إلى كل معظم

نبى تلاقته من اللّه رحمةو لا تسألوه أمر غيب مرجم

فقد كان فى بدر لعمرى عسيرةلكم يا قريش و القليب الملمم

غداة أتى فى الخزرجية عامداإليكم مطيعا للعظيم المكرم

---

(۱) الحسى: ما يحسى من الطعام.

و المزنم: الرجل يكون فى القوم ليس منهم، يريد: أحلهم بأرض غربة فى غير عشائرهم، و انظر الروض الأنف ج ۲ ص ۱۷۷.

(۲) جمر: الأصل خمر. و ما أثبته من ابن هشام، و العضاة: شجر، و أهيضب: مكان مرتفع، و الودى: صغار النخل، و المكمم: الذى خرج كمامه.

(۳) الصلا: موضع، و یرمرم: جبل.

(۴) الوشیج: شجر الرّماح.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۹،ص:۴۶ معانا بروح القدس ینکی عدوهرسولا من الرحمن حقا لم یتلعم

رسولا من الرحمن یتلو کتابهفلما أنار الحق لم یتلعثم

أری أمره یزداد فی کل موطنعلوا لأمر حمه اللّه محکم قال ابن إسحاق: و قال علی بن أبی طالب، و قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمین، و لم أر أحدا یعرفها لعلی:

عرفت و من یعتدل یعرفو أیقنت حقا و لم أصدف

عن الکلم المحکم اللاء منلدی اللّه ذی الرأفة الأرأف

رسائل تدرس فی المؤمنینبهن اصطفی أحمد المصطفی

فأصبح أحمد فینا عزیزاعزیز المقامة و الموقف

فیا أیها الموعدوه سفاهاو لم یأت جورا و لم یعنف

ألستم تخافون أدنی العذابو ما آمن اللّه کالأخوف

و أن تصرعوا تحت أسیافه کمصرع کعب أبی الأشرف

غداة رأی اللّه طغیانهو أعرض کالجمل الأجنف

فأنزل جبریل فی قتلهبوحی إلی عبده ملطف

فدس الرسول رسولا لهبأبیض ذی هبة مرهف

فباتت عیون له معولاتمتی ینع کعب لها تذرف

و قلن لأحمد ذرنا قلیلافإنا من النوح لم نشتف

فخلاهم ثم قال اظعنوادحورا علی رغم الآنف

و أجلی النضیر إلی غربةو کانوا بدار ذوی أخرف

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۹،ص:۴۷ إلی أذرعات ردافا و همعلی کل ذی ذمر أعجف و ترکنا جوابها أیضا من سمال الیهودی قصدا.

ثم ذکر تعالی حکم الفیء، و أنه حکم بأموال بنی النضیر لرسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» و ملکها له، فوضعها رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» حیث أراه اللّه تعالی.

کما ثبت فی الصحیحین، عن عمر بن الخطاب أنه قال: کانت أموال بنی النضیر مما أفاء اللّه علی رسوله مما لم یوجف المسلمون علیه بخیل و لا رکاب، فکانت لرسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» خاصة، فکان یعزل نفقة أهله سنة ثم یجعل ما بقی فی الکراع و السلاح عدة فی سبیل اللّه.

إلی أن قال:

قال الإمام أحمد: حدثنا عارم و عفان، قالا: حدثنا معتمر: سمعت أبی یقول: حدثنا أنس بن مالک، عن نبی اللّه «صلی اللّه علیه و آله»: أن الرجل کان یجعل له من ماله النخلات أو کما شاء اللّه، حتی فتحت علیه قریظة و النضیر، قال: فجعل یرد بعد ذلک.

قال: و إن أهلی أمرونی أن آتی نبی اللّه «صلی اللّه علیه و آله» فأسأله الذی کان أهله أعطوه، أو بعضه، و کان نبی اللّه «صلی اللّه علیه و آله» أعطاه أم أیمن أو کما شاء اللّه.

قال: فسألت النبی «صلی اللّه علیه و آله» فأعطانیهن، فجاءت أم أیمن فجعلت الثوب فی عنقی و جعلت تقول: کلا و اللّه الذی لا إله إلا

هو لا أعطيكهن و قد أعطانيهن أو كما قالت.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: لك كذا و كذا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۴۸

و تقول: كلا و اللّه.

قال: و يقول لك كذا و كذا، و تقول: كلا و اللّه.

قال: و يقول لك كذا و كذا، حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله، أو قال قريبا من عشرة أمثاله أو كما قال. أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به. ثم ذكر ابن كثير و غيره:

قصة عمرو بن سعدى القرظى:

حين مر على ديار بنى النضير و قد صارت بعدها ليس بها داع و لا مجيب، و قد كانت بنو النضير أشرف من بنى قريظة، حتى حداه ذلك على الإسلام و أظهر صفة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من التوراة.

قال الواقدى: حدثنا إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، قال: لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم، فرأى خرابها و فكر، ثم رجع إلى بنى قريظة فوجدهم فى الكنيسة، فنفخ فى بوقهم، فاجتمعوا.

فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل؟. و كان لا يفارق الكنيسة و كان يتأله فى اليهودية.

قال: رأيت اليوم عبرا قد عبرنا بها، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز و الجلد، و الشرف الفاضل، و العقل البارع، قد تركوا أموالهم، و ملكها غيرهم، و خرجوا خروج ذل، و لا و التوراة ما سلط هذا على قوم قط للّه بهم حاجة، و قد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ثم بيّته فى بيته آمنا، و أوقع بابن سنينة سيدهم، و أوقع ببنى قينقاع فأجلاهم و هم أهل جد يهود، و كانوا أهل عدة و سلاح و نجدة، فحصرهم فلم يخرج إنسان

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۴۹

منهم رأسه حتى سباهم.

و كلهم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب. يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى و تعالوا نتبع محمدا، و اللّه إنكم لتعلمون أنه نبى قد بشرنا به و بأمره ابن الهيبان أبو عمير و ابن حراش، و هما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قدومه و أمرانا باتباعه، جاءانا من بيت المقدس و أمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما و دفناهما بحرتنا هذه.

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم.

ثم أعاد هذا الكلام و نحوه، و خوفهم بالحرب و السباء و الجلاء، فقال الزبير بن باطا: قد و التوراة قرأت صفته فى كتاب باطا، التوراة التى نزلت على موسى، ليس فى المثانى الذى أحدثنا.

قال: فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتّباعه؟

قال: أنت يا كعب.

قال كعب: فلم؟ و التوراة ما حلت بينك و بينه قط.

قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا و عقدنا فإن اتّبعته اتّبعناه و إن أبيت أبينا.

فأقبل عمرو بن سعدى على كعب، فذكر ما تقاولا فى ذلك، إلى أن قال عمرو: ما عندى فى أمره إلا ما قلت، ما تطيب نفسى أن أصير تابعا! رواه البيهقى «۱».

---

(۱) السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۴۵- ۱۵۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۷۴- ۸۱ و النصوص المتقدمة موجودة- كلا أو بعضا- فى المصادر التالية: الثقات ج ۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۰

- ص ۲۴۰- ۲۴۳ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۷ و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۸- ۲۲ و الوفاء ص ۶۸۹- ۲۱۳ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۲ و ۲۱۳ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۲- ۴۳۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰- ۴۶۳ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۶ و ۱۹۷ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷- ۲۶۲ و البحار ج ۲۰ ص ۱۵۷- ۱۷۳ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و ۳۶۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۹۷ و ۱۹۸ و ۱۱۹- ۱۲۳ و الكامل لابن الأثير ج ۳ ص ۱۷۳ و ۱۷۴ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۳۹۷ و ۳۹۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۱۹۹- ۲۱۲ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۳ و شرحه بهامشه، نفس الصفحات و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۵۷- ۳۶۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۳ و أنساب الأشراف قسم حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله» ج ۱ ص ۳۳۹ و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف) ج ۲ ص ۵۵۰- ۵۵۵ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴ فما بعدها، و مدارك التنزيل بهامشه، نفس الجزء و الصفحة، و تفسير جامع البيان ج ۲۸ ص ۱۹ فما بعدها، و غرائب القرآن بهامشه ج ۲۸ ص ۲۹ فما بعدها و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲ فما بعدها و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۵ فما بعدها و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۸ فما بعدها و أسباب النزول ص ۲۳۶- ۲۳۹ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۴ فما بعدها و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۸ فما بعدها و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و ۷۱ و ۷۲ و كذلك فى ج ۴ ص ۴۹۸ فما بعدها و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و جوامع الجامع ص ۴۸۶- ۴۸۸ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۳ فما بعدها و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۷- ۲۰۲ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۵- ۳۵۶ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۵- ۳۸۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳- ۲۷۰ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۴ ص ۳۳۰- ۳۴۴ و عمدة القارى ج ۱۲ ص ۴۳ و ج ۱۷ ص ۱۲۵ فما بعدها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۱

و النضير اسم جبل نزلوا به، فسموا باسمه «۱».

القتال فى بنى النضير:

يقول اليعقوبى، بعد أن ذكر إنذار النبى «صلى اللّه عليه و آله» إياهم بالخروج من ديارهم و أموالهم، فلم يمتثلوا استنادا لوعود ابن أبى و المنافقين: «.. فسار إليهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعد العصر، فقاتلهم، فقتل منهم جماعة، و خذلهم عبد اللّه بن أبى و أصحابه، فلما رأوا:

أنه لا قوة لهم على حرب رسول اللّه طلبوا الصلح، فصالحهم على أن يخرجوا من بلادهم و لهم ما حملت الإبل، من خرتى «۲» متاعهم. لا يخرجون معهم بذهب، و لا فضة، و لا سلاح» «۳».

و قال ابن الجوزى: «فقاموا على حصنهم يضربون بالنبل و الحجارة» «۴».

و عند البعض: أنه لما جاء يستعينهم: «هموا بالغدر به، و خرجوا يجمعون الرجال و السلاح» «۵».

و سيأتى- حين الحديث عن خراب بيوتهم- ما يدل على ذلك أيضا ..

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹.

(۲) الخرتى: أردأ المتاع، راجع: لسان العرب ج ۲ ص ۱۴۵.

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹.

(۴) الوفاء ص ۶۸۹ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و سيرة مغلطاى ص ۵۳ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

(۵) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۲

و بعد أن ذكر الواقدى قدوم النبى «صلى اللّه عليه و آله» لحصارهم، قال:

«.. و جعلوا يرمون ذلك اليوم بالنبل و الحجارة، حتى أظلموا، و جعل أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقدمون من كان تخلف فى حاجته، حتى تتاموا عند صلاة العشاء. فلما صلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» العشاء رجع إلى بيته فى عشرة من أصحابه، عليه الدرع، و هو على فرس، و قد استعمل عليا على العسكر، و يقال: أبا بكر.

و بات المسلمون يحاصرونهم، يكبرون حتى أصبحوا.

ثم أذن بلال بالمدينة، فغدا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأصحابه الذين كانوا معه، فصلى بالناس فى فضاء بنى خطمة، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم» «۱».

و سيأتى عن قريب: أن بعض النصوص تقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» حصرهم، و طلب منهم: أن يعطوه عهدا، فأبوا. فقاتلهم يومهم ذاك، ثم غدا على بنى قريظة، و دعاهم إلى أن يعاهدوه، ففعلوا، فغدا على بنى النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء.

و إنما قاتلهم لأنه كان بينهم و بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عهد و مدة، فنقضوا عهدهم «۲».

قال السمهودى بعد ذكره رواية ابن إسحاق: «و أصح منه ما رواه ابن

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۱ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

(۲) تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹. و مصادر كثيرة أخرى ستأتى فى الفصل الثانى حين الكلام حول تاريخ غزوة بنى النضير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۳

مردويه، بسند صحيح: أنهم أجمعوا على الغدر، فبعثوا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أخرج إلينا فى ثلاثة من أصحابك، و يلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك.

فاشتمل اليهود الثلاثه على الخناجر، فأرسلت امرأة من بنى النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم، تخبره بأمر بنى النضير، فأخبر أخوها النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأمر بنى النضير قبل أن يصل إليهم، فرجع و صبحهم بالكتائب. فحصرهم يومه، ثم غدا على بنى قريظة، فحاصرهم فعاهدوه.

فانصرف عنهم إلى بنى النضير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء الخ ..» «۱».

نصوص أخرى حول قضية بنى النضير:

و فى بعض النصوص: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أجلهم عشرا- أو ثلاث ليال- فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا أياما يتجهزون، و أرسلوا إلى ظهر لهم بذى الجدر، و تكاروا من أشجع إبلا، فأرسل إليهم ابن أبى: أن

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۹۸ و حياة الصحابة ج ۱ ص ۲۹۶ و ۲۹۷ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۵ و قال الكاندهلوى: و أخرجه أيضا أبو

داود من طريق عبد الرازق عن معمر بطوله مع زيادة، و عبد الرزاق، و ابن المنذر و البيهقى فى الدلائل كما فى بذل المجهود ج ۴ ص ۱۲۴ عن الدر المنثور. و عن عبد بن حميد فى تفسيره و راجع:

شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و المصنف ج ۵ ص ۳۵۹ و تفسير لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴ و أسباب النزول ص ۲۳۷ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عبد الرازق، و عبد بن حميد، و أبى داود، و ابن المنذر و البيهقى فى الدلائل و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۴ و ۲۶۳ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۴

معه ألفين من قومه، و غيرهم من العرب، يدخلون معهم حصنهم، و يموتون عن آخرهم، و تمدهم قريظة، و حلفاؤهم من غطفان، فطمع حيى بن أخطب الخ .. «۱».

و تذكر بعض النصوص: أنهم حين حاصرهم «صلى اللّه عليه و آله» و قطع نخلهم، قالوا: نحن نخرج من بلادك ..

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: لا أقبله اليوم. و لكن اخرجوا منها، و لكم دماؤكم، و ما حملت الإبل، إلا الحلقة، فنزلت يهود على ذلك.

و كان حاصرهم خمسة عشر يوما ..

إلى أن قال: و تحملوا على ستمائة بعير «۲».

و نلاحظ هنا: اختلاف النصوص فى مدة الحصار، من خمسة عشر يوما حسبما أشير إليه آنفا .. إلى: ست ليال «۳».

---

(۱) راجع على سبيل المثال: طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۷.

(۲) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶ و حول حصرهم خمسة عشر يوما، راجع: الوفاء ص ۶۹۰ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و سيرة مغلطاى ص ۵۳ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ و ۱۶۶ عن الكازرونى و غيره، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۳ و أنساب الأشراف (قسم حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله») ص ۳۳۹.

(۳) تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۵۹ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ عن سيرة ابن هشام، و عن الوفاء، و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۹۸ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۵

و قيل: خمسا و عشرين «۱».

أو ثلاثا و عشرين و فيها نزلت صلاة الخوف «۲».

أو نيفا و عشرين «۳».

أو قريبا من عشرين «۴».

أو عشرين «۵».

أو إحدى و عشرين «۶».

و من جهة أخرى روى عن بعض أهل العلم: أن بنى النضير قد ألقوا الحجر على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأخذه جبرئيل «۷».

- ص ۲۲۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۵ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۲.

(۱) عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

(۲) عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶ و الجامع للقيروانى ص ۲۷۸ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

(۳) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷.

(۴) السيرة النبوية لدحلان ج ۲ ص ۲۶۱.

(۵) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

(۶) البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ عن الكازرونى و غيره و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و الكشاف ج ۴ ص ۴۹۸ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴ و مدارك التنزيل بهامش لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴.

(۷) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۶

و فى نص آخر: أنه لما أشرف حامل الصخرة بها أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» جبرائيل بالأمر «۱».

و كان الذين ذهبوا مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى بنى النضير، لا يبلغون عشرة، و هم: أبو بكر، و عمر، و على، و طلحة، و الزبير، و سعد بن معاذ، و أسيد بن حضير، و سعد بن عبادة «۲».

و فى رواية: لما رأوا قلة أصحابه «صلى اللّه عليه و آله» قالوا: «نقتله، و نأخذ أصحابه أسارى إلى مكة، فنبيعهم من قريش» «۳».

«و لزم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الدرع فبات فيه» «۴».

«و كان سعد بن عبادة يحمل التمر إلى المسلمين» «۵».

و لم يغثهم أحد، و لم يقدر ابن أبى أن يصنع شيئا، فجهدهم الحصار، و ضاقت عليهم الأحوال. فأرسلوا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بقبولهم الجلاء «۶».

و بعد حصارهم، و قطع نخلهم قالوا: «يا محمد نخرج من بلادك، و أعطنا مالنا، فقال: لا، و لكن تخرجون و لكم ما حملت الإبل، فلم يقبلوا

---

(۱) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۵ و راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۵.

(۲) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۵ و المغازى ج ۱ ص ۳۶۴ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳.

(۴) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۲.

(۵) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

(۶) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۷

ذلك، فبقوا أياما ثم قالوا: نخرج و لنا ما حملت الإبل، فقال: لا و لكن تخرجون و لا يحمل أحد منكم شيئا، فمن وجدنا معه شيئا من ذلك قتلناه.

فخرجوا على ذلك» «۱».

و كان منهم جماعة من أولاد الأنصار، لأن المرأة من الأنصار كان إذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها: إن عاش لها ولد، تهوده، فلما أجليت بنو النضير، قال آباء أولئك: لا ندع أبناءنا، و أنزل اللّه: لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ «۲»، و هى مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الإسلام، و إلا .. فإكراه الكفار الحربيين سائغ الخ .. «۳».

و قد ذكر البعض: أن ابن يامين قد جعل لرجل عشرة دنانير، ليقتل عمرو بن جحاش «۴».

(۱) تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و البحار ج ۲ ص ۱۶۹ و ۱۷۰ عنه و راجع حول عدم قبول النبى «صلى اللّه عليه و آله» منهم: لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴- ۲۴۵ و مدارك التنزيل بهامشه نفس الجلد و الصفحة. و غرائب القرآن، مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۳- ۳۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۵.

(۲) الآية ۲۵۶ من سورة البقرة.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۷ و الجامع لأحكام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰ عن أبى داود و لباب التأويل ج ۱ ص ۱۸۵ و فتح القدير ج ۵ ص ۲۷۵ عن أبى داود و النسائى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه و البيهقى فى السنن و الضياء فى المختارة و الدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۸ عنهم و عن ابن مندة فى غرائب شعبة و عن النحاس فى ناسخه و عبد بن حميد و سعيد بن منصور.

(۴) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۸

و ذكر البعض: أن المسلمين قد مشوا إلى بنى النضير على أرجلهم؛ لأنهم كانوا على ميلين من المدينة، و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على حمار فحسب «۱» أو على جمل «۲».

و كانت منازلهم بناحية الفرع، و ما يقربها، بقرية يقال لها: زهرة «۳».

ليخبرن بما هممتم به:

و تذكر النصوص: أنهم حين ائتمروا بإلقاء الصخرة عليه «صلى اللّه عليه و آله» قال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، و اللّه، ليخبرن بما هممتم به، و إنه لنقض العهد الذى بيننا و بينه «۴».

زاد الواقدى: ألا فو اللّه، لو فعلتم الذى تريدون، ليقومن بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة، يستأصل اليهود، و يظهر دينه «۵».

و فى نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» حين قام من بين أصحابه،

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و راجع:

ص ۲۶۱ و ذكر المسافة فى فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۷. و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱.

(۲) غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۸ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱.

(۳) و سيأتى توضيح ذلك مع مصادر أخرى إن شاء اللّه تعالى ..

(۴) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۷ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۵.

(۵) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۵۹

و أبطأ، و لم يرجع قال كنانة بن صوريا: جاءه و اللّه الخبر الذى هممتم به «۱».

و فى نص آخر: أنه قال لهم: هل تدرون لم قام محمد؟!

قالوا: لا و اللّه، ما ندرى، و ما تدرى أنت!

قال: بلى و التوراة إنى لأدرى، قد أخبر محمد ما هممتم به من الغدر، فلا تخدعوا أنفسكم، و اللّه، إنه لرسول اللّه، و ما قام إلا لأنه

أخبر بما هممتم به، و إنه لآخر الأنبياء، كنتم تطمعون أن يكون من بنى هارون، فجعله اللّه حيث شاء.

و إن كتبنا، الذى درسنا فى التوراة التى لم تغيّر و لم تبدل: أن مولده بمكة، و دار هجرته يثرب، و صفته بعينها لا تخالف حرفا مما فى كتابنا، و ما يأتيكم به أولى من محاربته إياكم، و لكأنى أنظر إليكم ظاعنين، يتضاغى «۲» صبيانكم، قد تركتم دوركم خلوفا و أموالكم، و إنما هى شرفكم، فأطيعونى فى خصلتين، و الثالثة لا خير فيها.

قالوا: ما هما؟

قال: تسلمون و تدخلون مع محمد، فتأمنون على أموالكم، و أولادكم، و تكونون من علية أصحابه، و تبقى بأيديكم أموالكم، و لا تخرجون من داركم.

قالوا: لا نفارق التوراة، و عهد موسى.

قال: فإنه مرسل إليكم: أخرجوا من بلدى، فقولوا: نعم، فإنه لا

---

(۱) الثقات ج ۱ ص ۲۴۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۲ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۶۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و زاد: من الغدر، فلا تخدعوا أنفسكم و اللّه، إنه لرسول اللّه، فأبوا أن يقبلوا.

(۲) تضاغى: تضور من الجوع و صاح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۶۰

يستحل لكم دما و لا مالا، و تبقى أموالكم، إن شئتم بعتم، و إن شئتم أمسكتم.

قالوا: أما هذا فنعم.

قال: أما و اللّه إن الأخرى خيرهن لى، قال: أما و اللّه، لولا أنى أفضحكم لأسلمت، و لكن و اللّه، لا تعيّر شعثاء بإسلامى أبدا، حتى يصيبنى ما أصابكم، و ابنته شعثاء التى كان حسان ينسب بها، فقال: سلام بن مشكم: قد كنت لما صنعتم كارها الخ ..» «۱».

ثم أرسل إليهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» محمد بن مسلمة و ذكرهم بما كانوا ذكروه له من علامات النبى الموعود، و المنطبقة على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و تستمر الرواية إلى أن تذكر رفض حيى بن أخطب مغادرة بلادهم، فقال له سلام بن مشكم:

لا تفعل يا حيى، فو اللّه، إنك لتعلم و نعلم معك: أنه رسول اللّه، و أن صفته عندنا، و إن لم نتبعه، حسدناه حين خرجت النبوة من بنى هارون.

فتعال، فلنقبل ما أعطانا من الأمن، و نخرج من بلاده. فقد عرفت أنك خالفتنى فى الغدر به، فإذا كان أوان الثمر جئنا، أو جاءه من جاء منا إلى ثمره. فباعها و صنع ما بدا له، ثم انصرف إلينا. فكأنّا لم نخرج من بلادنا إذا

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۵ و ۳۶۶ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۶- ۴۲۷ و يوجد ملخص عنه فى إعلام الورى ص ۸۸ و ۸۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۳- ۱۶۹ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۶۱

كانت أموالنا بأيدينا الخ .. «۱».

و فى نص آخر: «فجاء عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة، ليطرحها عليه، فأمسك اللّه يده، و جاء فأخبره، فخرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» راجعا إلى المدينة.

ثم دعا عليا، و قال: لا تبرح مقامك. فمن خرج عليك من أصحابى، فسألك عنى، فقل: توجه إلى المدينة، ففعل ذلك على، حتى

انصبوا إليه، ثم تبعوه و لحقوا به» «۲».

كانت تلك طائفة من النصوص الواردة حول قضية بنى النضير، و قد حان الآن وقت تسجيل ما يفيد و يجدى فى الاستفادة منها، أو فى التأييد، أو التفنيد لأى منها، فيما سيأتى فى الفصل الثانى.

---

(۱) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۸ و ۴۲۹.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و راجع البحار ج ۲۰ ص ۱۶۴ عن الكازرونى و غيره و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۶۳

الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۶۵

بداية:

قد تقدمت فى الفصل السابق طائفة من النصوص التى تتحدث عن غزوة بنى النضير، أو عن بعض ما يتصل بها، و سنجد فيما يلى من مطالب و فصول كثيرا من النصوص التى اقتضى البحث إيرادها، لسبب أو لآخر ..

و حيث إن لنا الكثير من الوقفات و التساؤلات، بل و تراودنا شكوك قوية حول عدد منها، فإننا نشير إلى شىء من ذلك ضمن البحوث التى أوردناها فى هذا الفصل و فيما يليه من فصول، فنقول ..

و من اللّه نستمد العون، و منه نطلب التوفيق و التسديد:

إن أول ما يطالعنا فى نصوص قضية بنى النضير هو:

الاختلافات الفاحشة:

إن هناك الكثير من الموارد التى اختلفت فيها النصوص و تناقضت بصورة فاحشة و ظاهرة.

و ما دام: أن المهم هو الإلماح إلى أن الواقع لا يمكن أن يكون هو كل ما تضمنته تلك الروايات و المنقولات، و إنما هو واحد، و واحد فقط .. فإننا نكل أمر تقصى هذه الاختلافات إلى القارئ نفسه، إن وجد ضرورة إلى ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۶۶

و لأجل ذلك، فنحن نصرف عنان الكلام إلى التركيز على مفاصل أساسية، نجد أنها بحاجة لمزيد من البحث، و الجهد. و إن كنا قد اكتفينا فيها بما يتناسب فى حجمه و مستواه مع سائر بحوث الكتاب و فصوله.

و أول ما نبدأ الحديث عنه هنا هو:

تاريخ غزوة بنى النضير:

قالوا: إن غزوة بنى النضير كانت سنة أربع، فى شهر ربيع الأول منها، خرج إليهم عشية الجمعة لتسع مضين من ربيع الأول، ثم راح

إليهم عشية الثلاثاء.

و قد جعلها ابن إسحاق بعد سرية بئر معونة. و هذا مذكور فى معظم المصادر فلا حاجة إلى تعداد مصادره ..

و لكن قال الزهرى، و كذا روى عن عروة و عن عائشة: إنها كانت بعد غزوة بدر بستة أشهر «۱».

---

(۱) راجع: دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۴۴۲- ۴۴۴ و ليراجع فى قول الزهرى وحده، أو منضما إلى غيره المصادر التالية: الروض الأنف ج ۳ ص ۳۵۰ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۴ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۵۹ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۵ و سيرة مغلطاى ص ۵۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و الجامع للقيروانى ص ۲۷۸ و ۲۷۹ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۲ و ۳۳۴ و الأموال ص ۱۵ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳۶ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۱۹ و ۱۹۷ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۷ عن-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۶۷

و هو ما جرى عليه البخارى، و ذهب إليه النووى و غيره «۱».

أما نحن فنقول:

إن هذا هو الصحيح، و ذلك للأمور التالية:

۱- إنهم يقولون: إن أبا سلمة بن عبد الأسد قد استفاد من أرض بنى النضير «۲».

و من المعلوم: أن أبا سلمة قد مات قبل شهر ربيع الأول سنة أربع،

- البيهقى فى الدلائل، و عن ابن مردويه، و عن الحاكم و صححه. و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۳ و ۲۵۵ و ۲۵۶ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ و ۱۶۲ عنه و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱ و ۱۱۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۷۴ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶ و بهجة الحافل ج ۱ ص ۲۱۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۴۵ كلاهما عن: البخارى، و البيهقى، و تفسير ابن حبان، و المصنف ج ۵ ص ۳۵۷ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۸ و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۸ و مرآة الجنان ج ۱ ص ۹.

(۱) راجع: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۲۳- ۲۱۳ و فتح القدير ج ۵ ص ۲۰۵ و راجع:

السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۵۹ و راجع: مرآة الجنان ج ۱ ص ۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳۶ و جوامع الجامع ص ۴۴۸. و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۵ حيث استغرب من السهيلى ترجيحه قول الزهرى و راجع أيضا: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۲- ۱۹۷.

(۲) الطبقات الكبرى ج ۱ ص ۵۸ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۰. و قالا: إنه «صلى اللّه عليه و آله» أعطاه أرضا تسمى «ويلة». و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۵۷ و راجع:

تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۶۸

و قبل بئر معونة.

و قال ابن حبان، بعد ذكره غزوة بنى النضير مباشرة: «ثم رجع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى المدينة، ثم بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبا سلمة بن عبد الأسد إلى ماء لبنى أسد الخ ..» «۱».

۲- إنهم يقولون: إن الحارث بن الصمة قد استفاد هو الآخر من أراضى بنى النضير «۲».

مع أنهم يدعون: أن الحارث هذا قد قتل فى بئر معونة، فكيف تكون غزوة بنى النضير بعدها؟

هذا .. بالإضافة إلى أننا قد قدمنا: أن تاريخ سرية بئر معونة كان قبل السنة الرابعة، فراجع ما ذكرناه هناك.

و جعل قتله فى بئر معونة دليلا على ضعف هذا الخبر «۳»، ليس بأولى من العكس، أى جعل استفادته من أراضى بنى النضير دليلا على عدم صحة

---

(۱) الثقات ج ۱ ص ۲۴۳.

(۲) مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۱ عن المدارك، و عن معالم التنزيل و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و جوامع الجامع ص ۴۸۷ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۵ و الكشاف ج ۴ ص ۵۰۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و راجع ص ۱۴ و ۲۴ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۱ و ۱۷۷۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ عن غير ابن إسحاق، و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۶ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹.

(۳) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۶۹

قتله فى بئر معونة. و لا أقل من أنه يدل على تقدم غزوة بنى النضير على تلك الغزوة التى يقال: إنه قد قتل فيها. و يتأكد ذلك إذا عرفنا أن أحدهما ليس ناظرا إلى الآخر، مع ملاحظة: أنه لا داعى للجعل و الوضع فى أى من الموردين، بالنسبة إلى هذا الرجل بخصوصه.

تذكير بما سبق:

و لنا هنا ملاحظة و هى: أن ابن التين قد قوى أن تكون غزوة بنى النضير بعد سرية بئر معونة، و ذلك استنادا إلى دليل لا يصح، و قد ذكرناه مع جوابه فى سرية بئر معونة فى الجزء السابق من هذا الكتاب، فليراجع هناك.

۳- إنه لا شك فى كون غزوة بنى النضير قد كانت قبل حرب الخندق بثمانية أشهر فى أقل الأقوال.

و قد قوينا: أن تكون الخندق قد حصلت فى السنة الرابعة من الهجرة و ليس فى السنة الخامسة منها «۱»، فتكون غزوة بنى النضير قبلها ..

بل إن ابن إسحاق- الذى ذكر: أن إجلاء بنى النضير قد كان بعد أحد أى فى السنة الرابعة- قد ذكر: أن فتح قريظة كان مرجعه «صلى اللّه عليه و آله» من الأحزاب (أى الخندق)، و بينهما سنتان «۲».

---

(۱) راجع كتابنا: حديث الإفك ص ۹۶- ۱۰۶ و الجزء الثامن من هذا الكتاب حين الحديث عن تحرر سلمان المحمدى (الفارسى) من الرق.

(۲) مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ عنه و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳۶ و راجع أيضا: تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۷۰

فإذا كان بينهما سنتان (و إذا كانت قريظة التى هى بعد الخندق مباشرة) فى السنة الرابعة فلا شك فى كون غزوة بنى النضير قد حصلت فى السنة الثانية، بعد بدر مباشرة، لا بعد غزوة أحد.

۴- إن بعض النصوص تذكر: أن سبب غزوة بنى النضير هو: أن كفار قريش كتبوا- بعد بدر- إلى اليهود يهددونهم، و يأمرونهم بقتال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأجمع حينئذ بنو النضير على الغدر، و أرسلوا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أن اخرج إلينا فى ثلاثين من أصحابك.

ثم تذكر الرواية كيف: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» غدا عليهم بالكتائب فحصرهم، و طلب منهم العهد، فقاتلهم يومه ذاك ثم تركهم و غدا إلى بنى قريظة، و دعاهم إلى أن يعاهدوه ففعلوا. فانصرف عنهم إلى بنى النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء «۱».

و عند العسقلانى: أن هذا أقوى مما ذكره ابن إسحاق من أن سبب غزوة بنى النضير هو طلبه «صلى اللّه عليه و آله» منهم المساعدة فى دية

---

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن المنذر و البيهقى: و أبى داود و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳، و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۶۰ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۵۶ و ۱۵۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۴۴۵ و ۴۴۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۵ عن ابن مردويه، و عبد بن حميد فى تفسيره عن عبد الرزاق و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۰ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۱ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ و حياة الصحابة ج ۱ ص ۳۹۷ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴ و مدارك التنزيل بهامشه نفس الصفحة و أسباب النزول ص ۲۳۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۷۱

العامريين «۱».

۵- إن عددا من النصوص يذكر: أن كعب بن الأشرف كان لا يزال حيا إلى حين غزوة بنى النضير، و أنه قد قتل حينها، أو بعدها ..

و من المعلوم: أن قتل كعب بن الأشرف قد كان على رأس خمسة و عشرين شهرا من الهجرة، و معنى ذلك هو صحة ما ذكر من أن هذه الغزوة قد كانت بعد ستة أشهر من بدر.

و نذكر من الشواهد على دور كعب فى هذه الغزوة ما يلى:

ألف: إن بعض النصوص تقول: إنه لما جاء النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى بنى النضير يستسلفهم فى دية العامريين قصد أولا كعب بن الأشرف، فلما دخل عليه قال كعب: مرحبا يا أبا القاسم و أهلا. و قام كأنه يصف له الطعام، و حدث نفسه بأن يقتل رسول اللّه، و يتبع أصحابه، فنزل جبرئيل إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فأخبره «۲».

ب: إن كعب بن الأشرف ذهب إلى مكة فى أربعين رجلا، فاجتمع بأبى سفيان، و كان فى أربعين رجلا أيضا، و تعاهدا بين الأستار و الكعبة، فنزل جبرائيل بسورة الحشر. فبعث النبى «صلى اللّه عليه و آله» محمد بن مسلمة بقتله، فقتله فى الليل ثم قصد إليهم، و عمد إلى حصارهم، فضرب قبته فى

---

(۱) فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۵.

(۲) تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و إعلام الورى ص ۸۹ و البحار ج ۲ ص ۱۶۳ و ۱۶۹ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۳. و راجع: مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۷۲

بنى خطمة «۱».

ج: و لكن ذكر الشيخ المفيد «رحمه اللّه» و غيره: أن قتل كعب بن الأشرف قد كان حين قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» للعشرة،

الذين خرجوا يلتمسون غرة من المسلمين، قال المفيد «رحمه اللّه»:

«و فى تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف و اصطفى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أموال بنى النضير» «۲».

و يفهم من الأربلى و غيره أيضا: أن قتل ابن الأشرف كان أثناء حصار بنى النضير، فراجع «۳».

د: و لكن آخرين يذكرون: أنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما أمر بقتل كعب حين ذهب إلى بنى النضير، يستعينهم فى دية العامريين، فاطلع على محاولتهم الغدر به، فانصرف راجعا، و أمر بقتل كعب بن الأشرف ثم أصبح غاديا عليهم بالكتائب، و كانوا بقرية يقال لها زهرة، فوجدهم ينوحون على كعب، فقالوا: يا محمد، واعية إثر واعية، ثم حشدوا للحرب، و فى آخره:

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۶۹ و راجع: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و شرحه بهامش نفس الصفحة و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴. و البحار ج ۲۰ ص ۱۵۸ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۳.

(۲) الإرشاد للمفيد ص ۵۰ و كذا فى مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷.

(۳) راجع: كشف الغمة ج ۱ ص ۲۰۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶ و راجع المصادر المتقدمة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۷۳

قالوا: ذرنا نبكى سويعة، ثم ائتمر أمرك «۱».

و على كل حال، فإن عددا من المؤرخين و المؤلفين قد صرحوا بأن غزوة بنى النضير كانت صبيحة قتل ابن الأشرف «۲».

ه: و يؤيد ذلك الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فى هذه المناسبة، فمنها قوله «عليه السلام»:

و أن تصرعوا تحت أسيافه‌كمصرع كعب ابن الأشرف إلى أن قال:

فدس الرسول رسولا له‌بأبيض ذى هبة مرهف

فباتت عيون له معولات‌متى ينع كعب لها تذرف

و قلن لأحمد ذرنا قليلافإنا من النوح لم نشتف

فخلاهم ثم قال اظعنوادحور على رغم الآنف

---

(۱) راجع: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ عن البخارى و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ عن مسلم و أبى داود و الترمذى، و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ عن معالم التنزيل، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶ عن عبد بن حميد فى تفسيره و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۸ و الكشاف ج ۴ ص ۴۹۸ و جوامع الجامع ص ۴۸۶، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳ و المصادر المتقدمة فى الهامش السابق و راجع: مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷ و البحار ج ۲۰ ص ۱۵۸ و ۱۵۹ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ عن عبد بن حميد فى تفسيره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۷۴

و أجلى النضير إلى غربة الخ .. «۱»

فإن هذه الأبيات إنما تقرر القصة المذكورة فيما تقدم ..

و: و يؤيد ذلك أيضا: أن البعض يقول: إن آية: فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا «۲»، يقال: نزلت فى كعب بن الأشرف «۳».

و كذا قوله: وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، قيل: بقتل سيدهم كعب بن الأشرف «۴».

و معنى ذلك: أن قتل كعب كان سببا فى هزيمتهم، و أن قتله قد كان بعد غدرهم، و إعلانهم للحرب على رسول اللّه «صلى اللّه عليه

و آله» كما يفهم من الآيات الشريفة.

ز: و أخيرا، فإن بعض النصوص تقول:- و ذاك أمر غريب حقا- إن كعب بن الأشرف قد اعتزل قتال بنى النضير، و زعم: أنه لم يظاهر على

---

(۱) السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۵۲- ۱۵۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۷۹.

(۲) الآية ۲ من سورة الحشر.

(۳) الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و راجع: مجمع البيان ج ۹ ص ۱۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ عنه و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۴ و مدارك التنزيل المطبوع بهامش لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵.

و راجع: و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳ عن أبى صالح، و السدى، و أبن جريج و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۹ و راجع: الكشاف ج ۴ ص ۴۹۹ و جوامع الجامع ص ۴۸۴ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۵.

(۴) فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۷۵

المسلمين، فتركه النبى «صلى اللّه عليه و آله» ثم انبعث يهجوه و المؤمنين، ثم سار إلى قريش يستعديهم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخ .. «۱».

و لعل المراد: أنه اعتزل قتال بدر، و إلا .. فإن بقاءه إلى ما بعد غزوة بنى النضير مما تضافرت النصوص التاريخية على خلافه فراجع حكاية مقتله فى سيرة ابن هشام، و الطبرى، و تاريخ الخميس، و غير ذلك.

۶- و سيأتى أنهم يقولون: إن آية: لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ «۲» قد نزلت فى غزوة بنى النضير، و معلوم أن هذه الآية قد وردت فى سورة البقرة، التى نزلت فى أوائل الهجرة و يبعد: أن يستمر نزولها إلى ما بعد بدر، حيث نزلت سورة الأنفال.

و لم يرد: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لهم: ضعوا هذه الآية فى السورة الفلانية، فالظاهر: أنها فى جملة الآيات التى نزلت تدريجا، فراجع فى كيفية نزول القرآن ما ذكرناه فى كتابنا: «حقائق هامة حول القرآن الكريم»، فصل:

الترتيب و النزول.

۷- و نشير أخيرا إلى أن الحاكم قد ذكر: أن إجلاء بنى النضير و بنى قينقاع قد كان فى زمان واحد «۳».

---

(۱) تاريخ المدينة ج ۲ ص ۴۶۱ و ۴۶۲ و راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۹ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۵ كلاهما عن البخارى و البيهقى.

(۲) الآية ۲۵۶ من سورة البقرة.

(۳) فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۷۶

تهافت ظاهر:

و بعد ما تقدم، فإن القول: بأن هذه القضية قد حصلت فى السنة الرابعة، لا يجتمع مع القول: بأنها كانت متزامنة مع قتل كعب بن الأشرف- كما صدر من البعض «۱»- لأن ابن الأشرف قد قتل قبل هذا التاريخ بحوالى سنتين، كما يعلم بالمراجعة لكتب التاريخ و الرواية.

سبب غزوة بنى النضير:

لقد ذكرت معظم المصادر: أن سبب هذه الغزوة هو: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد جاءهم يستعينهم فى دية العامريين، اللذين قتلهما بعض أصحابه بعد سرية بئر معونة، فأرادوا الغدر به، فجاءه الخبر من السماء، إلى آخر ما تقدم ذكره.

قال البعض: «و كانوا قد عاهدوا النبى «صلى اللّه عليه و آله» على ترك القتال، و على أن يعينوه فى الديات» «۲».

و لكننا نجد فى مقابل ذلك أقوالا أخرى، و هى:

الأول: أن السبب هو أنهم قد طلبوا من النبى «صلى اللّه عليه و آله»: أن يخرج إليهم فى ثلاثة نفر، ليناقشوه فى أمر الدين، و كانوا قد خبأوا الخناجر، فأرسلت إليه امرأة منهم- بواسطة أخيها- تعلمه بخيانتهم فلما أخبره

---

(۱) راجع على سبيل المثال: ما قاله اليعقوبى فى تاريخه ج ۲ ص ۴۹.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و راجع: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۳، و شرحه للأشخر اليمنى، مطبوع بهامشه، نفس الجلد و الصفحة.

بالأمر، رجع قبل أن يصل إليهم «۱».

و يبدو أن هذه هى نفس الرواية القائلة: إنهم طلبوا إليه أن يخرج إليهم فى ثلاثين رجلا، و هم فى مثلهم، ثم لما رأوا: أنه لا يمكن التفاهم فيما بين هذا العدد الكبير اقترحوا خروجه «صلى اللّه عليه و آله» فى ثلاثة، و منهم كذلك .. و قد كان ذلك بسبب تهديد قريش لهم بعد غزوة بدر «۲».

و قد تقدم: أن العسقلانى قد اعتبر هذه الرواية أقوى مما ذكره ابن إسحاق، و وافقه عليه جل أهل المغازى، من أن السبب هو أنه خرج إليهم فى دية العامريين «۳».

و قد عرفنا فيما تقدم: أن هناك العديد من الدلائل و الشواهد التى تؤكد على أن غزوة بنى النضير، قد كانت قبل بئر معونة ..

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳ و ۲۶۴ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲.

(۲) راجع هذه القضية فى: دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۴۴۵ و ۴۴۶ و المصنف ج ۵ ص ۳۵۹ و ۳۶۱ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴ و مدارك التنزيل مطبوع بهامشه نفس الصفحة و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۱ و حياة الصحابة ج ۱ ص ۳۹۷ عن فتح البارى، و عن بذل المجهود ج ۴ ص ۱۴۲ عن الدر المنثور و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۵ عن ابن مردويه، و عبد بن حميد فى تفسيره عن عبد الرزاق، و أسباب النزول ص ۲۳۶ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۵۶ و ۱۵۷ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عبد الرزاق، و ابن المنذر، و أبى داود، و عبد بن حميد، و البيهقى فى الدلائل، و وفاء الوفاء ج ۲ ص ۲۹۸.

(۳) فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۵.

فإن العامريين المشار إليهما هما اللذان قتلا بعد بئر معونة، فلا ينسجم ذلك مع ما تقدم. و لا يصح ما ذكره ابن إسحاق، و إن كانا قد قتلا قبل ذلك، و فى مناسبة و قضية أخرى، فلا إشكال فيه من هذه الناحية.

الثانى: قيل: إنه إنما ذهب إليهم لأخذ دية العامريين لأن بنى النضير كانوا حلفاء لبنى عامر «۱»، فيسهل الدفع منهم؛ لكون المدفوع لهم

من حلفائهم «۲».

و لكن لا ندرى لماذا يريد أن يأخذ الدية من حلفاء المقتول، فهل جرت عادة العرب على ذلك؟!

أم أنه يريد إذلال بنى النضير فى ذلك؟!

فإذا كان كذلك، فهل المراد الإيحاء بأن ناقض العهد فى الحقيقة هو نفس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و ذلك بغيا منه و تعديا فى أمر لا حق له به؟ نعوذ باللّه من الخطأ و الخطل، فى القول العمل ..

الثالث: إن البعض يقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد ذهب إلى بنى النضير، ليسألهم كيف الدية عندهم، و ذلك للعهد الذى كان بينهم و بين بنى عامر «۳».

و لا ندرى لماذا لم يكتف بإرسال بعض أصحابه إليهم ليسألوهم عن ذلك، و هل كان ثمة اتفاق خاص فى مقدار الدية فيما بين بنى النضير و بنى عامر،

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۳ و ۲۶۴.

(۲) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰.

(۳) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۷۹

يختلف عن مقدارها لدى سائر الناس الذين يعيشون فى تلك المنطقة؟!

و إذا كان كذلك، فكيف يريد هو أن يدفع خصوص هذا المقدار الذى اتفق عليه هؤلاء، و لماذا لا يدفع المقدار المتعارف عليه فيما بين سائر الناس؟!.

و إذا كان يريد أن يدفع المقدار المتعارف عليه بين عامة الناس، فهل كان «صلى اللّه عليه و آله» يجهل هذا المقدار؟!. و إذا كان- و العياذ باللّه- يجهل به، فهل لم يكن أحد من أصحابه، من سائر أهل المدينة، و سائر القبائل و الأقوام الذين يعيشون فيها و حولها، يعلم بمقدار الدية؟! حتى يحتاج إلى المسير مع جماعة من أصحابه إلى خصوص بنى النضير؟! ..

أم أن المقصود هو إظهار: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن يعرف أحكام الشريعة السابقة- شريعة اليهود خاصة- دون غيرهم من سائر أهل الملل، فلا بد أن يتفضل عليه اليهود، و يعلموه مما عندهم، و يصبح مدينا لهم، هو و شريعته، و كل أتباعه من بعده؟

ثم ليثبت من خلال ذلك: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يعمل بشريعة اليهود و أحكامهم!!

مع أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يخالفهم فى كل شىء حتى لقد عبروا عن استيائهم من أنه يريد أن لا يدع من أمرهم شيئا إلا خالفهم فيه «۱».

لا ندرى .. و لعل الفطن الذكى يدرى ..

فإنا للّه و إنا إليه راجعون .. و لا حول و لا قوة إلا باللّه.

---

(۱) راجع حول إصرار النبى «صلى اللّه عليه و آله» على مخالفة اليهود: الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۰

الرابع: قد تقدم أن بنى النضير لما هزم المسلمون فى أحد ارتابوا و نقضوا العهد، فركب كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا من اليهود إلى مكة، و حالفوهم و عاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد، ثم دخل أبو سفيان فى أربعين و كعب بن الأشرف فى أربعين المسجد، و أخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار و الكعبة.

ثم رجع كعب و أصحابه إلى المدينة، و نزل جبرئيل، فأخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بما تعاقد عليه كعب بن الأشرف و أبو سفيان، و أمره بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمة الأنصارى، و كان أخاه من الرضاعة «۱».

الخامس: ورد فى نص آخر ما ملخصه: أنه ذهب مع أصحابه يستقرض مالا من كعب بن الأشرف، فحدث كعب نفسه بقتل النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فأخبره جبرائيل، فقام كأنه يقضى حاجة، و عرف: أنهم لا يقتلون أصحابه و هو حى، و أخذ طريق المدينة، فاستقبله بعض أصحاب كعب، فأخبر كعبا بذلك، و رجع المسلمون.

فأخبرهم ابن صوريا بأن رب محمد أطلعه على ما همّوا به، و أنه سوف يأمرهم بالجلاء إن لم يسلموا، فاختاروا الجلاء «۲».

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۰ ص ۱۵۸ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۶ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و قد تقدمت بقية المصادر حين الحديث عن تاريخ غزوة بنى النضير، فلتراجع هناك.

(۲) راجع: إعلام الورى ص ۸۸ و ۸۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۳ و ۱۶۹ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۳ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۱

و قد أسلفنا: أننا نرجح هذه الرواية التى تنص على وجود كعب بن الأشرف، و على دور له فى قضية بنى النضير، و قد استحق بذلك الدور أن يأمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بقتله فقتل.

و لكننا لا ندرى حقيقة هذا الدور، فلعل كعبا قد عاقد أبا سفيان على حرب النبى «صلى اللّه عليه و آله» ثم هجا المسلمين، و شبب بنسائهم، ثم حاول نقض العهد حين طلب منه النبى «صلى اللّه عليه و آله» الوفاء بتعهداته المالية، حيث قد كان ثمة عهد ينص على التعاون فى الديات.

و كان ذلك من كعب بالتعاون مع قومه، حين انتدب عمرو بن جحاش لتنفيذ المهمة.

فكان أن تركهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قفل عائدا إلى أصحابه، فأمر بقتل كعب بن الأشرف، ثم غدا على بنى النضير بالكتائب.

فإن من الطبيعى أن نجد رسول الإسلام الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» يتحمل منهم نقض العهد أكثر من مرة، من أجل أن يقطع لهم كل عذر و تعلل فى ذلك، و ليتضح لكل أحد ما بيتوه من مكر و خداع، و ما أبطنوه من ختل و غدر، و يحق اللّه الحق بكلماته، و ليخزى الفاسقين، بفضل صبر الرسول «صلى اللّه عليه و آله» و أناته.

ثم جاء أهل الحديث و الرواية فذكروا كل واحدة مما تقدم على أنها سبب مستقل لما جرى على هؤلاء الغدرة الفجرة، مع الذهول عن أن تكرر ذلك منهم قد جعل من مجموع تلك الأسباب و العوامل سببا واحدا لما حصل ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۲

رواية لا يعتمد عليها:

و تقدم فى الفصل الأول من هذا الباب رواية تقول:

إنهم حين جاءهم الرسول «صلى اللّه عليه و آله» و معه بعض أصحابه، فكروا فى أن يقتلوه، و يأخذوا من جاء معه من أصحابه أسرى، و يبيعوهم من أهل مكة.

و نحن نشك فى هذه الرواية أيضا، فإن أسر من جاء معه و بيعهم إلى أهل مكة، معناه إثارة حرب طاحنة فيما بين بنى النضير و بين الأوس و الخزرج، و من معهم من سائر المسلمين، و لن يمكنهم الوصول بهم إلى مكة قبل أن تندر الرؤوس، و تطيح الأيدى، و

تخرب البلاد، و تهلك العباد ..

و قد جرب اليهود حظهم مع الأوس و الخزرج فيما سبق، و استطاع هؤلاء أن يخرجوا أولئك من المدينة ليعيشوا حواليها، و فى أطرافها.

و قد كان هذا و أمر اليهود مجتمع؛ فكيف تكون الحال بعد أن أجلى منهم بنو قينقاع مع كون العلاقات بين بنى قريظة و النضير غير متكافئة و لا طبيعية بسبب التمييز الظالم لبنى النضير عليهم، حسبما أوضحناه حين الحديث حول كونهم بمنزلة بنى المغيرة فى قريش كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى.

و بعد أن أصبح بنو النضير أضعف ناصرا و أقل عددا، فإن التكفير بهذا الأمر يصبح فى عداد المحالات و الممتنعات ..

و ذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان، و لا إلى إقامة برهان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۳

نقض العهد .. و التكبير:

و قد ورد فى بعض النصوص: أنهم حين أبلغوا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بنقض بنى النضير للعهد أظهر التكبير، و قال: اللّه أكبر، حاربت يهود. و كبر المسلمون بتكبيره «۱».

كما تقدم: أن المسلمين باتوا يحاصرون بنى النضير، و يكبرون حتى أصبحوا ..

و نقول: إن إظهار المسلمين للتكبير، و تكبير النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالذات أمر له دلالاته الهامة، و آثاره الظاهرة، و يتضح بعض ذلك ضمن النقاط التالية:

۱- لقد كان من الطبيعى أن يتوقع اليهود: أن يواجه النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمون نقضهم للعهد بكثير من القلق، و عدم الارتياح، بل و حتى بالخوف، و بالوجوم الناجم عن الارتباك، و التزلزل ..

و لكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين قد قابلوا ذلك- و بسرعة غير متوقعة- بموقف لا يمكن أن يخطر لليهود على بال، الأمر الذى من شأنه أن يربكهم، و يوقعهم فى حيرة، و يثير لديهم أكثر من سؤال، ثم يزعزع

---

(۱) راجع فى ذلك ما يلى: الثقات ج ۱ ص ۲۴۲ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۷ و ۵۸ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۹ عنه و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۳ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۴ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۴ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۴

ثباتهم، و يذكى مخاوفهم، بصورة كبيرة و خطيرة

۲- إنه إذا كان يوجد فيما بين المسلمين من ينظر إلى اليهود نظرة إجلال و إكبار، و يكن لهم فى نفسه قدرا من الثقة و الاحترام؛ فإن معنى ذلك هو أن نشاطات المنافقين- و على رأسهم عبد اللّه بن أبى- فى التخذيل عن حربهم، و الصد عن مواجهتهم، لسوف تجد مجالا واسعا، و لسوف تترك آثارها السلبية على تماسك الصف الإسلامى فى مواجهتهم ..

و لعل وجود أبناء للمسلمين فى بنى النضير لسوف يجعل اتخاذ موقف حازم ضدهم على درجة من الصعوبة بالنسبة لكثير من الآباء، و من يتصل بهم بسبب، أو بآخر.

و لأجل ذلك، فإن توفر جو حماسى جماهيرى لسوف يضعف حالة التردد لدى هؤلاء و أولئك، و ينقلهم من أجواء الانسياقات

العاطفيـة، و الانـدهاش و الانبهـار بالانتفاخـات غير الواقعيـة، التى تؤثر فى نشوء حالـة من التقـديس غير المنطقى- ينقلهم- إلى أجواء الشـعور بالقوة، ثم التغلب على عوامل الضـعف النفسى من خلال مساعدة العامل الداخلى، بعامل خارجى يعطيه القدرة على الصمود و التصـدى، كمـا و يعطيه المناعـة و المصونيـة من التـأثر بعامل العاطفـة منفصـلا عن الإحساس بالمسؤوليـة، أو التأثر بعامل التوهمات، و التقديسات، التى لا ترتكز على الدليل المقنع، و لا تقوم على التأمل القاطع لكل الشبهات، و لكل التساؤلات المنطقية التى يثيرها العقل الفطرى السليم و الراشد.

و هكـذا، فإن هذا العامل المساعد للإحساس الواقعى بالمسؤولية، و القادر على المواجهة الحازمة، القائمة على الدراية و العقل، لسوف يضعف

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۵

من قـدرة اليهـود و المنـافقين على التـأثير فى درجـة التصـميم على التصـدى، أو التـأثير فى خلخلـة الوضـع الـداخلى، و تمييع الموقف بالاستفادة من عامل العاطفة أو عامل الانبهار القائم على التخيل و التوهم غير المنطقى و لا المسؤول.

۳- و إذا كان القرآن الكريم، و النبى الأمى «صـلى اللّه عليه و آله» و كـذا التاريـخ الطويل الزاخر بالأحـداث قد قدم للمسـلمين صورة تكاد تكون واضحة عن الحالة الأخلاقية الذميمة لليهود، و عن طموحاتهم اللامنطقية و اللامشروعة و التى كانوا يدعمونها بتعاليم دينية مزيفـة، و يعملون على تحقيقهـا بسـياساتهم الخبيثـة فى مجـال الإعلام و السـياسة، و الاقتصـاد، و كل نشاطاتهم الاجتماعيـة- إذا كان كذلك- فإن صدق هذه النبوءة، المتمثل فى بروز صـفة الغدر و الخيانة فيهم على صعيد الواقع بصورة ملموسة و ظاهرة للعيان، لسوف يمسح عن أعين الكثيرين غبار الخـداع و الانخـداع، و لسوف تكون فى ذلك آيـة أخرى تـدل على صـدق هذا النبى الأكرم، و على حقانية موقفه، و صواب سـياساته منهم و يقطع من ثم كل عذر، و يزيل كل شـبهة، فقد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِ «۱»، وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ «۲».

نقض العهد و المؤامرة:

هذا، و نجد: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد اعتبر تآمرهم على

---

(۱) الآية ۲۵۶ من سورة البقرة.

(۲) الآية ۲۹ من سورة الكهف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۶

حياته، و محاولتهم اغتياله، و إن لم ينجحوا فى مجال تنفيذ ذلك، نقضا للعهد يبرر مواجهتهم بالموقف الصارم و الحازم.

و واضح: أن اغتيال القيادة الإسـلامية هو أجلى مظاهر الخيانة، و أخطرها، و لا يجب أن ننتظر من الخائنين إعلانهم للحرب، و التصدى الفعلى و الظاهر لها، كما ربما يفترضه البعض.

المعاهدات فى الإسلام:

و يحـدثنا التاريـخ: أن رسـول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» قـد عاهـد بنى النضـير، كمـا عاهـد غيرهم، و لعـل أبرز عهـد عقـده هو عهد الحديبيـة، حيث أمر بكتابة نسـختين للكتاب «۱» لأـن بالكتابـة يتم الحفـاظ على النص، و يمكن الالـتزام به، و يكون مرجعـا لاـ يمكن التشكيك و لا المراء فيه فيما إذا ثار خلاف. و قد اعتبر الإسلام هذه العهود وسيلة لإيقاف الحروب، و للمنع من نشوبها، تتوفر للإنسان

المسلم فى ظلها حرية التعبير، و حرية العمل و الحركة كما سنرى.

و هـذا بالـذات هو السر فى أننا نجد الإسـلام قد أولى العهود و الاتفاقات أهمية بالغة، و رسم لها حدودها، و بيّن بوضوح تام مختلف الأصول و الأهداف التى لا بد من رعايتها، و الحفاظ عليها فيها.

و بـديهى: أن دراسـة هـذا الموضوع بعمق، و الإلمـام بجميع جوانبه إسـلاميا و تاريخيـا، يتطلب بـذل جهـد كبير، و يحتاج إلى دارسـة مستقلة و منفصلة، و إلى وقت يتيح الفرصة للاطلاع على قدر كاف من الآيات

---

(۱) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ص ۶۵۹ عن السياسة الشرعية، للبنّا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۷

الشـريفة و النصوص الواردة عن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» و الأئمـة «عليهم السـلام»، ثم دراسـة المعاهـدات التى عقـدت فى صـدر الإسلام و ظروفها، و لا نجد أنفسنا قادرين على توفير ذلك فى ظروفنا الراهنة.

إلا أن ذلك لا يمنع من إيراد إلماحة سريعة، ترتكز- عموما- على بعض ما ورد فى هذا المجال فى خصوص نهج البلاغة، فنقول:

من عهد الأشتر:

قال «عليه السلام» فى عهده لمالك الأشتر:

«.. و لا تـدفعن صـلحا دعاك إليه عدوك و للّه فيه رضا؛ فإن فى الصـلح دعة لجنودك، و راحة من همومك، و أمنا لبلادك، و لكن الحذر كل الحذر من عدوك، بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، و اتهم فى ذلك حسن الظن.

و إن عقدت بينك و بين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، و ارع ذمتك بالأمانة، و اجعل نفسك جنة دون ما أعطيت؛ فإنه ليس من فرائض اللّه شىء الناس أشد عليه اجتماعا، مع تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود.

و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر «۱»؛ فلا تغدرن بذمتك، و لا تخيسن بعهدك، و لا تختلن عدوك؛

---

(۱) هذا يؤيد بما قدمناه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب من أن العرب كانوا أوفياء بعهودهم، و قد فرض عليهم هذا الأمر طبيعة الحياة التى كانوا يعيشونها حيث رأوا: أنه لا يمكنهم العيش بدون ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۸

فإنه لا يجترئ على اللّه إلا جاهل شقى.

و قد جعل عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حريما يسـكنون إلى منعته، و يستفيضون إلى جواره؛ فلا إدغال، و لا مدالسة و لا خداع فيه.

و لا تعقد عقدا يجوز فيه العلل، و لا تعولن على لحن قول بعد التأكيد و التوثقة، و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد اللّه إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر لزمك ترجو انفراجه، و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، و أن تحيط بك من اللّه طلبته، فلا تستقيل فيها دنياك و آخرتك» «۱».

---

(۱) نهج البلاغة (بشـرح عبده) ج ۳ ص ۱۱۷ و ۱۱۸ و معادن الحكمـة ج ۱ ص ۱۰۹ و تحـف العقول ص ۱۲۶ و دعائم الإسـلام ج ۱ ص ۳۵۰ و البحار ج ۸ ص ۶۰۹ ثم شرحه، و ج ۷۷ ص ۲۴۰ عن النهج و التحف، و مستدرك الوسائل ج ۳ ص ۱۹۵ و أضاف العلامة

المحقق الأحمدى: أن بعضه قد نقل فى كنز العمال ج ۱۵ ص ۱۶۵ و ۱۶۶ عن الدينورى، و ابن عساكر، و مآثر الإنافة ج ۳ ص ۶ عن صبح الأعشى، و مفتاح الأفكار. و أشار إليه النجاشى فى رجاله ص ۷ و ذكر سنده أيضا الشيخ فى الفهرست. و قال فى معجم رجال الحديث ج ۳ ص ۲۲۲: طريق الشيخ إلى عهد مالك الأشتر صحيح. و ذكره فى نهج السعادة ج ۵ ص ۵۸ عن جمع ممن تقدم، و قال: روى قطعة منه مسندا فى تاريخ الشام ج ۳۸ ص ۸۷ و فى النسخة المرسلة ص ۱۹۳. و ذكر فى خاتمة المستدرك ص ۲۱۸ عن مجلة المقتطف عدد ۴۲ ص ۲۴۸: أنه نقله عن نسخة السلطان بايزيد الثانى، و فى دستور معالم الحكم ص ۱۴۹ شواهد لهذا العهد، و نقله فى مصادر نهج البلاغة عن جمع ممن تقدم، و عن نهاية الإرب للنويرى ج ۶ ص ۱۹. ثم ذكر فى مصادر نهج البلاغة بعضا من شرح هذا العهد، مثل: آداب الملوك لرفيع الدين التبريزى، و أساس السياسة فى-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۸۹

- تأسيس الرئاسة للكجورى الطهرانى، و التحفة السليمانية للبحرانى، و الراعى و الرعية لتوفيق الفكيكى، و السياسة العلوية لآل مظفر (خطية). و شرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للمجلسى، و شرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للمولى محمد باقر القزوينى، و شرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للميرزا حسن القزوينى، و شرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للميرزا محمد التنكابنى.

و شرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للشيخ هادى القائينى البيرجندى، و شرح الفاضل بدايع نكار المثبت فى المآثر و الآثار، و نصايح الملوك لأبى الحسن العاملى. و مقتبس السياسة و سياج الرئاسة للشيخ محمد عبده، انتزع من شرحه و طبع على حدة، و القانون الأكبر فى شرح عهد الأشتر للسيد مهدى السويج (مخطوط) و مع الإمام فى عهده لمالك الأشتر للشيخ محمد باقر الناصرى. و نزيد هنا فى ما يرتبط بشروحه، ما أورده السيد هبة الدين الشهرستانى فى مقدمته لكتاب الراعى و الرعية ص ۸ و ۹ و الشيخ آقا بزرك الطهرانى فى كتابه الذريعة ص ۳۷۳ و ۳۷۵ و ج ۱۵ ص ۳۵۳، حيث أضافا إلى شروح العهد: شرح الحسين الهمدانى الموسوم بهدية الحسام لهداية الحكام.

و شرح محمد صالح الروغنى القزوينى، من علماء القرن الحادى عشر، و دستور حكمت. و ترجمه الوصال الشيرازى المتوفى سنة ۱۲۷۴ و نظمه شعرا بالفارسية.

و ترجم محمد جلال هذا العهد إلى التركية، و نظمه شعرا بالتركية. فرمان مبارك لجواد فاضل. و عنوان رياست (ترجمة لهذا العهد أيضا للسيد على أكبر بن سلطان العلماء السيد محمد النقوى اللكنهوى). هذا كله عدا عن شرح شراح النهج له فى ضمنه كالمعتزلى و ابن ميثم و غيرهما.

بقى أن نشير إلى أن صاحب الذريعة قد قال فى ج ۱۵ ص ۲۶۲: (نسخة العهد بخط ياقوت المستعصمى موجودة فى المكتبة الخديوية بمصر تاريخ فراغها سنة ثمانين و ستمائة كما فى فهرسها).

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۰

الوفاء بالعهد:

أما بالنسبة إلى ضرورة الالتزام بالعهود و الوفاء بها، حتى لغير المسلمين، فإن اللّه تعالى يقول: فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ «۱».

و يقول سبحانه: وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا «۲».

و يقول: .. وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ «۳».

و فى آية أخرى: وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها «۴». فقد جعل اللّه العهد مع الأعداء عهدا للّه سبحانه ..

الشرط الأساس فى كل عهد:

و بعد .. فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قرر: أن الشرط الأساس فى كل عهد هو أن يكون «للّه فيه رضا» كما ورد فى عهده «عليه السلام» للأشتر «رحمه اللّه».

و واضح: أن رضا اللّه سبحانه إنما هو فى حفظ مصلحة الإسلام العليا، و كرامة المسلمين، و حريتهم فى الدعوة إلى اللّه سبحانه بأمن و دعة و اطمئنان.

و حين يكون الداعى للصلح الذى فيه رضا اللّه سبحانه هو العدو فإن معنى ذلك هو أن العدو قد اعترف بك، و بموقعك، و أصبح على استعداد لأن يقبل شروطك العادلة، و معنى ذلك هو: أنك تكون قد سجلت نصرا

---

(۱) الآية ۴ من سورة التوبة.

(۲) الآية ۳۴ من سورة الإسراء.

(۳) الآية ۹۱ من سورة النحل.

(۴) الآية ۶۱ من سورة الأنفال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۱

من أقرب طريق و أيسره.

و أما إذا دعاك هذا العدو إلى صلح ظالم و فيه ذل للمسلمين، و وهن على الإسلام، فإن من الطبيعى أن ترفض صلحا كهذا لأنه تسجيل انتصار للعدو من أسهل طريق ..

و ثمة شرط آخر: لا بد من توفره فى أى عهد، و ذلك من أجل أن يحتفظ بقيمته، و بفعاليته، فى حسم الصراع، ثم من أجل أن لا يوجب عقد العهد ضعفا فى موقف المسلمين، و فتح باب التشكيك فى حقهم، أو إعطاء فرصة المناورة للباطل.

و هذا الشرط لا بد للجانب المحق من الاهتمام به، و العمل على توفيره بصورة أجلى و أتم، و هو أن: «لا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، و لا تعولن على لحن قول بعد التأكيد و التوثقة».

أى أنه لا بد أن لا تكون فى العهد إبهامات يمكن التشبث بها من قبل العدو، كما أنه لا بد أن يكون نفس العهد هو المعيار و المرجع و الفيصل فى الأمور، فلا يعتمد على مواعيد أو لحن قول، فإن ذلك يوجب وهنا فى العهد نفسه، و فيه فتح باب النقض، و الخيانة، من دون أن يكون ثمة حرج ظاهر فى ذلك.

و ذلك يعتمد على نباهة و دقة ذلك الذى يتصدى لعقد العهد، و هو يتحمل مسؤولية أى تقصير فى هذا المجال.

العهود لا تنقض، و هى ملزمة للجميع:

۱- و نجد فى نص المعاهدة التى كتبها على أمير المؤمنين «عليه السلام»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۲

فيما بين ربيعة، اليمن، ما يدل على أن العهد ملزم لكل الآخرين الذين ينتمى إليهم المباشرون لعقد العهد .. و ذلك يقطع أى عذر، و يمنع من أى تعلل، أو محاولة خداع.

و هذا مطلب عادل، و سليم، فإن كل الأمور التى تمس حياة المجتمعات، لا يمكن أن يعتمد فيها مبدأ موافقة كل فرد منها و لا سيما مع اختلاف المصالح، و تشتت الآراء، و تباين الأهواء، حسبما ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام» فى الفقرة المنقولة عنه فى عهده للأشتر

النخعى «رحمه اللّه» ..

۲- إن عتب العاتبين، و غضب الغاضبين، لا يجوز أن يجعل ذريعة لنقض العهد، ما دام أن إرضاء كل أحد غير ممكن، و لا سيما فى الأمور المرتبطة بمستقبل الجماعات، و علاقاتها و مواقفها، حتى و لو كان العاتبون و الغاضبون فريقا ثالثا، يريد أن يحصل على مكاسب سياسية أو غيرها، و يكون له دور ما فى التحرك السياسى، أو تأثير- إيجابى أو سلبى- على ساحة الصراع.

فإذا كان القانون العام هو عدم نقض العهد بسبب ذلك، فلا بد أن تنقطع أطماع الطامعين، ما دام أن عتبهم لن يجدى نفعا، و لن يؤثر شيئا.

۳- إن العهد لا ينقض لأجل استذلال قوم قوما، و لا لمسبة قوم قوما؛ فإن تعرض فريق للاستذلال من قبل فريق آخر، بسبب عقده للعهد، و كذا اتخاذ عقد العهد من قوم وسيلة لتعييرهم و مسبتهم، لا يبرر للعاقدين له نقض عهدهم ..

و إذا .. فإن من يقدم على عهد، لا بد و أن يعلم مسبقا: أنه لا بد له من الوفاء بما عقده، حتى فى أشق الأحوال، و أصعبها، فهو إذن عالم بما يفعل،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۳

و مطلع على نتائجه مسبقا، و قد أقدم مختارا على ذلك .. فعليه أن يتحمل نتائج ما أقدم عليه ..

و قد أشار على أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى ذلك كله فى العهد الذى كتبه بين اليمن و ربيعة، فقد جاء فيه:

«.. لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب، و لا لغضب غاضب، و لا لاستذلال قوم قوما و لا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم و غائبهم، و سفيههم و عالمهم، و حليمهم و جاهلهم، ثم إن عليهم عهد اللّه الخ ..» «۱».

إحترام أمور المعاهدين:

و حين يكون المعاهدون يتمتعون بحماية دولة الإسلام، فإن أموالهم- كأموال المسلمين- لا تمس، بل تبقى لهم، و يمارسون حريتهم التجارية بصورة تامة ..

قال على أمير المؤمنين «عليه السلام» فى كتاب له إلى عمال الخراج:

«و لا تمسن مال أحد من الناس، مصل، أو معاهد، إلا أن تجدوا فرسا، أو سلاحا الخ ..» «۲».

المعاهدون لا يجفون و لا يقصون:

و قد كتب على أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى بعض عماله: «و اعزز

---

(۱) نهج البلاغة ج ۳ ص ۱۴۸ الرسالة رقم ۷۴.

(۲) نهج البلاغة بشرح عبده ج ۳ ص ۹۰ الرسالة رقم ۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۴

المسلمين، و لا تظلم المعاهدين» «۱».

و كتب أيضا إلى عامل آخر له، يقول:

«أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة و قسوة، و احتقارا و جفوة، و نظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة، و داول لهم بين القسوة و الرأفة، و أمزج لهم بين التقريب

و الإدناء و الإبعاد و الإقصاء» «۲».

من نتائج الصلح و العهد:

و عن نتائج الصلح و العهد، فهى:

۱- دعة الجنود.

۲- الراحة من الهموم.

۳- الأمن لبلاد المسلمين.

و ذلك معناه: أنك أصبحت قادرا على التخطيط للمستقبل لأنك قد ارتحت من همومك، و أصبحت قادرا أيضا على تنفيذ خططك، لأنك تملك الوقت الكافى، و الطاقات الفاعلة، المهيأة للعمل الجاد و الدائب، دونما مانع أو رادع ..

كما أن هذا السلم و الأمن لسوف يجنب بلادك التعرض للأزمات الإقتصادية الحادة، و يحفظ مرافقها الإقتصادية و الحيوية من التدمير، أو

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۰۰ و ۲۰۱.

(۲) نهج البلاغة ج ۳ ص ۲۱ الرسالة رقم ۱۹، و أنساب الأشراف ج ۲ ص ۱۶۱ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۰۳. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۹ ۹۵ من نتائج الصلح و العهد: ..... ص : ۹۴ هذا، عدا عن حفظ القوى الفاعلة و المؤمنة من أن تتعرض للتدمير، أو للتشويه، ثم ما ينشأ عن ذلك من آثار إجتماعية لا تجهل.

و يجب أن لا ننسى أن حالة عدم الاستقرار، بل و الخوف و عدم الأمن فى أحيان كثيرة، من شأنها أن تشل حركة المجتمع فى المجالات المختلفة، و تمنعه من أن يقوم بدوره على النحو المطلوب و المؤثر.

ثم هناك الحالة الفكرية و النفسية و كثير من السلبيات الأخرى، التى تنشأ عن ظروف الحرب، و تتفاعل بصورة تصاعدية فى كثير من المجالات، و القطاعات ..

و كل ذلك يمثل هموما حقيقية لأى حاكم يشعر بمسؤولياته الإلهية، و الإنسانية تجاه مجتمعه و أمته.

العهد .. و الحذر:

و إذا كان عقد العهد مع العدو لا يعنى أن العدو قد تنازل عن كل طموحاته، و صرف النظر عن كل مراداته و خططه، فإنه ربما يكون قد قارب ليجد الفرصة للوثوب، و إيراد الضربة القاصمة ..

فقد جاء النهى عن الاطمئنان لهذا العدو، حيث قد تقدم قول أمير المؤمنين «عليه السلام» فى عهده للأشتر: «و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم و اتهم فى ذلك حسن الظن».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۶

و قال تعالى: وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ «۱».

الخيانة فى حجمها الكبير:

و بما أن اللّه سبحانه قد جعل عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حريما يسكنون إلى منعته، و يستفيضون إلى جواره، فإن

الشرط الأساس فيه هو أنه لا إدغال، و لا مدالسة و لا خداع فيه؛ فإذا رأى أن العدو لا يعمل بشروط الصلح و مقتضيات العهد، و إنما هو يتآمر، و يعد العدة للغدر، فإن نفس هذه الأعمال تكون نقضا منه للعهد، و تخليا عن شروطه، فلا معنى حينئذ للالتزام بهذا العهد من طرف واحد، و إنما لا بد من نبذ العهد إليه و معاملته معاملة الخائن المجرم، قال تعالى: وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ «۲».

و عن على «عليه السلام»: الوفاء لأهل الغدر غدر عند اللّه، و الغدر بأهل الغدر وفاء عند اللّه «۳».

و بالنسبة إلى بنى النضير، فإنهم قد مارسوا الخيانة فى أبشع صورها و أفظعها، حين تآمروا على القيادة الإسلامية و الإلهية، فرد اللّه كيدهم إلى

---

(۱) الآية ۱۰۲ من سورة النساء.

(۲) الآية ۵۸ من سورة الأنفال.

(۳) نهج البلاغة ج ۳ ص ۲۱۰ الحكمة رقم ۲۵۹ و غرر الحكم ج ۱ ص ۶۰ و روض الأخيار ص ۱۱۱ و ربيع الأبرار ج ۳ ص ۳۷۵ و مستدرك الوسائل ج ۲ ص ۲۴۹.

و غرر الخصائص الواضحة ص ۵۹ و مصادر نهج البلاغة ج ۴ ص ۴ و ص ۴۰۱ عن بعض من تقدم و عن شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۲۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۷

نحورهم، و حفظ اللّه نبيه، و أعز دينه، و أدال المسلمين من أعدائهم، من أسهل الطرق، و أيسر السبل.

الوفاء بالعهد ضرورة حياتية:

و نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أوجب على و اليه الوفاء بالعهد، بل هو قد طلب منه أن يجعل نفسه جنة دون ما أعطاه.

و قد علل ذلك: بأنه من الأمور التى اتفقت عليها جميع الناس، رغم تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم، و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم، و ذلك انطلاقا من إحساسهم بضرورة ذلك، حين رأوا: عواقب الغدر الوخيمة، التى من شأنها أن تدمر حياتهم، و تقضى على كل نبضات الراحة و الاستقرار فيها.

و لكنهم قد خالفوا ضميرهم و وجدانهم، و كل المعايير الأخلاقية، و العقلية فى تعاملهم مع المسلمين، حيث أجازوا لأنفسهم نقض عهودهم معهم، و تحمل كل ما لذلك من تبعات و نتائج .. و ذلك يدلل على عدم انسجامهم مع قناعاتهم و لا مع فطرتهم فى مواقفهم تجاه الإسلام و المسلمين.

و قد اعتبر «عليه السلام»: من يخيس بعهده، و يغدر بذمته، و يختل عدوه، و يجترى على اللّه جاهلا لا يعرف الأمور و مواردها، و لا الصالح من الطالح، و هو شقى أيضا، لأنه بالإضافة إلى أنه يكون متجرئا على اللّه سبحانه فى ذلك، فإنه يكون قد جر على نفسه الكثير من المصائب و البلايا نتيجة لسياساته الخاطئة هذه.

و خلاصة الأمر: أن العهد فى الإسلام ليس وسيلة للمكر و الخداع

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۸

بهدف الإيقاع بالعدو، و إنما هو أمانة ضميرية، ذات قاعدة إيمانية أساسية؛ فلا بد من رعايتها و الوفاء بها و لا يسوغ نقض العهد «بغير حق» حتى و لو كان فيه ما يوجب الضيق كما تقدم فى عهد على «عليه السلام» للأشتر، و روى عن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قوله: «لا دين لمن لا عهد له» «۱».

و قد مدح اللّه من يفى بعهده فقال: وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا .. «۲».

و قد ذم على «عليه السلام» عمرو بن العاص فقال: «و يسأل فيبخل، و يخون العهد» «۳».

و قد ذم «عليه السلام» أهل البصرة بقوله: «و عهدكم شقاق» «۴».

و قال «عليه السلام»: «و قد ترون عهود اللّه منقوضة فلا تغضبون و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون» «۵».

الغدر عجز و عدم ورع:

و قد قال على «عليه السلام»: «إن الوفاء توأم الصدق، و لا أعلم جنة أوقى منه، و لا يغدر من علم كيف المرجع. و لقد أصبحنا فى زمان قد اتخذ

---

(۱) السنن الكبرى ج ۹ ص ۲۳۱ و غرر الخصائص الواضحة ص ۶۰.

(۲) الآية ۱۷۷ من سورة البقرة.

(۳) نهج البلاغة ج ۱ ص ۱۴۵ الخطبة رقم ۸۰.

(۴) نهج البلاغة الخطبة رقم ۱۲ ج ۱ ص ۴۰ و الأخبار الطوال ص ۱۵۱ و ربيع الأبرار ج ۱ ص ۳۰۸.

(۵) نهج البلاغة الخطبة رقم ۱۰۲ ج ۱ ص ۲۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۹۹

أكثر أهله الغدر كيسا، و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم؟

قاتلهم اللّه. قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة، و دونه مانع من أمر اللّه و نهيه؛ فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجة له فى الدين» «۱».

الغادر هو الذى يعاقب:

و طبيعى أن ينال العقاب خصوص أولئك الذين ينقضون العهد، و يخونون أماناتهم، و قد أوضح ذلك أمير المؤمنين «عليه السلام» حينما قال:

«مع أنى عارف لذى الطاعة منكم فضله، و لذى النصيحة حقه، غير متجاوز متهما إلى برىء، و لا ناكثا إلى وفىّ» «۲».

السلاح فى أيدى المعاهدين:

كما أن من الطبيعى: أن يحتاط الحاكم الإسلامى، فلا يترك فى أيدى المعاهدين، الذين يعيشون فى ظل حكمه، و تحت حمايته، من السلاح و التجهيزات ما يشكل خطرا على أمن الدولة، مع التأكيد على احترام كل ما يعود إليهم من أموال و ممتلكات، و عدم المساس بها فى أى حال. قال على أمير المؤمنين «عليه السلام»: «.. و لا تمسن مال أحد من الناس، مصل و لا معاهد، إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام؛ فإنه لا ينبغى للمسلم أن يدع ذلك فى أيدى أعداء الإسلام؛ فيكون شوكة عليه

---

(۱) نهج البلاغة بشرح عبده ج ۱ ص ۱۸۸ الخطبة رقم ۴۰.

(۲) نهج البلاغة، بشرح عبده ج ۳ ص ۴۱ الرسالة رقم ۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰۰

الخ ..» «۱».

موقف له دلالاته:

و من المعلوم: أن مواقف على أمير المؤمنين تعتبر التجسيد الدقيق و الحى لمفاهيم الإسلام، و أحكامه، و سياساته. و التاريخ يحدثنا: أنه حين بلغه «عليه السلام» إغارة خيل معاوية على بلاد المسلمين، خطب «عليه السلام» خطبة الجهاد المعروفة، و قد جاء فيها: «هذا أخو غامد، و قد وردت خيله الأنبار، و قد قتل حسان بن حسان البكرى، و أزال خيلكم عن مسالحها.

و لقد بلغنى: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، و الأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها، و قلبها، و قلائدها، و رعاثها «۲» ما تمنع منه إلا- بالاسترجاع و الاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلا منهم كلم، و لا أريق لهم دم؛ فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندى جديرا» «۳».

و نحن نسجل هنا ما يلى:

---

(۱) نهج البلاغة ج ۳ ص ۹۰ الرسالة رقم ۵۱.

(۲) الرعاث: جمع رعثة: القرط، و الحجل: الخلخال، و القلب: السوار.

(۳) نهج البلاغة، بشرح عبده ج ۱ ص ۶۴ و ۶۵ خطبة رقم ۲۶ و الأخبار الطوال ص ۲۱۱ و ۲۱۲ و الغارات ج ۲ ص ۴۷۵ و ۴۷۶ و المبرد فى الكامل ج ۱ ص ۲۰ و العقد الفريد ج ۴ ص ۷۰ و معانى الأخبار ص ۳۱۰ و أنساب الأشراف (ط مؤسسة الأعلمى) ج ۲ ص ۴۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰۱

۱- إن هذا الموقف منه «عليه السلام» يوضح لنا قيمة الإنسان فى الإسلام، و اهتمامه البالغ فى الحفاظ على موقعه، و على كرامته و وجوده.

حتى إن الرجل الأول فى الدولة الإسلامية ليعانى من الألم و الأسى بسبب الاعتداء على كرامة الإنسان ما يجعل الموت أسفا على ما جرى أمرا مقبولا، بل يجعله هو الجدير و اللائق به. ثم هو «عليه السلام» يقرر: أن هذا الحدث لا بد أن يؤثر بهذا المستوى أيضا فى كل إنسان مسلم، من كان و مهما كان.

۲- إنه يعطى: أن أمير المؤمنين «عليه السلام»- و هو الذى يمثل نظرة الإسلام الأصيلة- ينظر بعين المساواة إلى كل من هم تحت سلطته، أو تحت حمايته، فهو يتألم للمرأة كما يتألم للرجل، و هو يتألم كذلك للمعاهدة و التى هى على غير دينه، بنفس المستوى الذى يتألم فيه للمسلمة، و هو يطلب موقفا حازما تجاه الاعتداء على كرامتهما معا من كل مسلم، بنفس القوة و الفعالية و التأثير فى رفع الظلامة و إعادة الحق إلى نصابه.

۳- إنه «عليه السلام» قد حاول إثارة الناس و تحريكهم بأسلوب عاطفى يلامس مشاعرهم و أحاسيسهم؛ فتحدث عن سلب المغيرين حلى النساء المسلمات و المعاهدات، و فى ذلك إثارة عاطفية، و تحريك لا شعورى للناس، الذين سوف يسوؤهم الاعتداء على هذا الموجود الذى يمثل جانب الرقة و الحنان فى المجتمع.

۴- إنه «عليه السلام» إنما توقع من المرء «المسلم» أن يموت أسفا، و اعتبره جديرا بذلك، و حريا به .. و لعل هذا الأمر يشير إلى أن الإسلام هو ذلك الدين الذى يغرس فى الإنسان معانى إنسانيته، و يربيه تربية إلهية يحيا بها وجدانه، و تتنامى فيها خصائصه و مزاياه الإنسانية، فيصبح حى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰۲

الشعور، صافى النفس، سليم الفكر، إلهى المزايا ..

۵- كما و نجده صلوات اللّه و سلامه عليه .. قد أهدر دماء المعتدين، و اعتبر أن أدنى جزاء لهم هو أن ينالهم كلم و جرح، و تهرق دماؤهم، رغم أن ما ارتكز عليه بيانه، و جعله منطلقا له فى تقريره هذا الجزء القاسى هو أمر لا- يزيد على سلب الحجل و القلب و الرعاث من امرأة مسلمة و أخرى معاهدة.

و ذلك لأن الميزان فى العقاب إنما هو درجة الجرأة على اللّه و على المحرمات، ثم ما ينشأ عن ذلك من فساد و إفساد، فى البلاد و العباد.

۶- إنه «عليه السلام» إنما ركز على الجانب الإنسانى؛ فحاول أن يؤكد للناس لزوم نصرة الضعيف، و الدفاع عنه و الحفاظ عليه، و أن ذلك هو مسؤولية كل فرد قادر بالنسبة إليه .. و قد أثار انتباه الناس إلى جانب الضعف هذا حين قال: «ما تمنع منه إلا بالاسترجاع و الاسترحام» .. و ليكن من ثم مبدأ نصرة الضعيف و الدفاع عنه من الأوليات التى يفرضها الوجدان الحى، و الضمير الإنسانى.

۷- ثم هناك الجانب التربوى، الذى يستهدف تركيز مفهوم العدالة فى التعامل، فلا يفرق بين مسلم و معاهد، ثم مفهوم عدم التغاضى عن المعتدين و المجرمين، و عدم التواكل فى رد العدوان. إلى غير ذلك مما لا مجال لتفصيله هنا.

وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن:

و بعد .. فإننا حين نقرأ التاريخ، فما يلفت نظرنا هو تكرر الغدر من اليهود، و استمرارهم فى نقض العهود و المواثيق، مرة بعد أخرى، كما كان الحال بالنسبة لبنى قينقاع، و بنى النضير، و بنى قريظة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰۳

و نجد فى مقابل ذلك التزاما تاما من قبل النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالعهود و المواثيق المعقودة.

و نحن نشير هنا إلى الأمور الثلاثة التالية:

الأول:

بالنسبة لعدم التزام اليهود فى عهودهم نقول: إن ذلك طبيعى بالنسبة إلى قوم يزنون الأمور بموازين الربح و الخسارة فى الدنيا؛ فإن من كان كذلك لا يلتزم بالصدق- مثلا- لأجل أن له قيمة أخلاقية أو إنسانية، أو لأن فيه رضا اللّه سبحانه و تعالى و إنما يلتزم به لأنه يجلب له نفعا دنيويا ملموسا، أو يدفع عنه ضررا كذلك .. و بدون ذلك؛ فإنه لا يجد مبررا و لا دافعا للالتزام به، بل هو حين يلتزم بصدق لا يشعر بنفعه الدنيوى يجد نفسه متناقضا مع مبدئه، و مع منطلقاته فى التفكير و فى العمل، التى رضيها لنفسه.

و كذلك الحال بالنسبة لسائر الكمالات و الفضائل الإنسانية، و بالنسبة لكل الالتزامات، و العهود، و المواثيق، التى يفرضها عليه واقع دنيوى معين؛ فإنه إذا تجاوز ذلك الواقع، فسوف لا يجد ما يبرر التزامه بذلك الكمال، و تلك الفضيلة، أو وفاءه بهذا العهد و الميثاق، أو ذاك. بل كل المبررات متضافرة لديه، و كل القناعات حاكمة عليه بلزوم نقضها، و النكث بها، و الالتزام بضدها.

الثانى:

بالنسبة لالتزام النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين بعهودهم و مواثيقهم:

فقد اتضح: أنهم لا بد أن يكونوا فيها على العكس من اليهود تماما، إذ قد أصبح من البديهى: أن العهد، و الميثاق و كل شىء آخر يفرضه عليهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰۴

الشرع، و العقل، و الإنسانية، إنما يمثل لهم قيمة أخلاقية و إنسانية، وحدا شرعيا، لا بد لهم من الالتزام به، و الوقوف عنده: إن ذلك

يمثل جزءا من وجودهم، و من شخصيتهم، و إن الإخلال به سوف يوقعهم فى تناقض مع أنفسهم بالدرجة الأولى، و لسوف يجعلهم وجها لوجه مع أحكام العقل، و مقتضيات الفطرة.

الثالث:

أما بالنسبة لموقف المسلمين الصارم و الحازم من ناقضى العهود و المواثيق، فإن ذلك هو ما تفرضه عليهم المسؤوليات الإنسانية و الإسلامية أيضا، بعد أن رضى أولئك المعتدون و الناقضون للعهود بتحمل نتائج عملهم، و أصبحوا و باء يريد أن يغتال فرص الخير من بين أيدى أهلها، و أحق الناس بها.

و ذلك لأن نقض العهود معناه: استخدام مناشئ القوة فى سبيل ضرب مواقع الخير، و مناشئه، و تكريس الامتيازات لجهة الشر، و الانحراف، الذى لا بد أن تنال سلبياته، و يمتد و باؤه إلى كل مواقع الخير، و السلامة و يقضى عليها.

فتصبح الحركة لضرب الشر فى مواقعه و مناشئه حالة طبيعية يمارسها الإنسان المسلم، و مسؤولية إلهية و إنسانية، و عقلية، و فطرية، يفرضها واقع الحياة، و حق الدفاع عن الوجود، و عن الإنسانية و الفطرة.

الجرأة و مبرراتها:

و بعد كل ما تقدم، فإن السؤال الذى ربما يراود ذهن البعض هو: أنه قد تقدم: أن اليهود، و كل من لا يؤمن بالآخرة، و كذلك كل من يرى: أن الدنيا هى كل شىء بالنسبة إليه .. لا يمكنهم أن يقدموا على الموت و على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰۵

التضحية بالنفس إلا فى حالات نادرة، تتدخل فيها عناصر من شأنها أن تلقى و لو فى فترات قصيرة و خاطفة تأثيرات تلك الرؤية، و ذلك الفهم الخاطئ، لموضوع المعاد و الجزاء، و للآخرة، و انعكاسات ذلك الفكر، أو حيث لا يكون لهم ثمة خيار آخر يمكنهم اللجوء إليه، و الاعتماد عليه.

و معنى ذلك هو: أن اليهود، و كذلك المشركين، سوف لا يكونون قادرين على اتخاذ قرار الحرب، و هم يرون أنها سوف تحرق الأخضر و اليابس؛ فكيف يمكن فهم غدرهم بعهودهم، و نقضهم لمواثيقهم، ثم سعيهم لإثارة الحروب مع الآخرين، ثم تحالفهم مع المشركين و المنافقين لحرب المسلمين؟! أليس الأنسب بطريقتهم فى التفكير، و الأحرى و الأجدر بهم، فى ظل ماديتهم، و عدم إيمان الكثيرين منهم بالآخرة، أن يعيشوا بسلام مع المسلمين، و مع غيرهم، و أن يبتعدوا بأنفسهم عن كل ما يثير، و يوجب تأزما فى العلاقات، مع أى طرف كان؟!

و الجواب:

أن ذلك صحيح فى حد نفسه لو لا أن اليهود كانوا واقعين تحت تأثير التصورات و الأمور التالية:

۱- إنهم يرون: أن الخطر الذى يتهددهم من جهة المسلمين، أعظم و أشد، و هو حتمى بالنسبة إليهم .. أما الخطر الآتى من قبل نكث العهود، و ما ينشأ عنه من حروب، و مشاكل، فليس- بنظرهم- بهذه الدرجة من الحتمية، و لا هو بهذا المستوى من الخطورة، فقد كانت الحرب نفسها تخضع لاحتمالات إيجابية بالنسبة إليهم سواء على مستوى القرار لديهم- لاحتمال مساعدة المشركين و المنافقين لهم، أو على مستوى القرار لدى الفريق الآخر،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰۶

و هم المسلمون- و لا سيما بملاحظة وجود المنافقين فيهم- حيث يرون أن الوضع العام للمسلمين لا يسمح لهم باتخاذ قرار الحرب، الأمر الذى يجعل ارتكاب أخطار الحرب أهون عليهم، و أقرب إلى احتمالات السلامة لهم. أو على مستوى النتائج، و الآثار، بالنسبة لكلا الفريقين على حد سواء.

۲- إن المسلمين، و إن كانوا قد أثبتوا- و لا سيما فى حرب بدر- أنهم مقاتلون من الدرجة الأولى، و أنهم لا يهمهم شىء سوى رضا

اللّه سبحانه ..

فإن هـذا الامتياز يمكن أن يصبح غير ذى أهمية، حينما تكون ثمة حصون قادرة على جعل كل هذه الكفاءات بدون أثر و لا جدوى، و هو ما أشار إليه سبحانه بقوله: .. وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ .. «۱».

و من الواضح: أن المسلمين لم يثبتوا بعد: أن لديهم قدرات، و كفاءات لمواجهة حصون اليهود، أو غيرهم.

۳- إن اليهود يعتقـدون: أنهم أبناء اللّه و أحباؤه، و أنهم شـعب اللّه المختار، و معنى ذلك هو: أن دعوة محمـد «صـلى اللّه عليه و آله» سوف تصبح خطرا أكيدا على امتيازهم هذا الذى يرون فيه مبرر وجودهم، و رمز كل عزتهم، و خلاصة مجدهم.

فكانوا يجـدون أنفسـهم ملزمين بإضـعاف أمر هـذه الدعوة، و إسـقاطها، بقدر ما هم مكلفون بالحفاظ على حياتهم و وجودهم، و كل خصائصهم.

و هم معنيون أكثر من أى فريق آخر بذلك؛ لأن خسارتهم هذه الورقة، و فقدانهم هذا الأمر إنما يعنى خسارتهم لكل شىء.

---

(۱) الآية ۲ من سورة الحشر.

و مـا ذلك إلا لأنهم يزنون الأمور بميزان مادى بحت من جهـة و لأن الحالـة الشـعورية الانفعاليـة قـد أصـبحت هى المهيمنـة على كل تفكيرهم، و على كل تصوراتهم، و هى التى تحركهم فى هذا الاتجاه تارة، و فى ذاك الاتجاه من جهة أخرى.

التصوير الحاقد، و التزوير الرخيص:

و يحاول البعض أن يقول: إن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» قـد ذهب إلى بنى النضـير، ليطلب منهم مساعـدة لـدفع دية العامريين، و لما كانت النضير حليفة عامر؛ فلا شك أن تعقيدات نتجت عن ذلك، و إن كانت المصادر لا تتحدث عنها.

و لربما فكر محمد بأن على اليهود أن يدفعوا أكثر مما يدفعه متوسط سكان المدينة، فراق لليهود أن يدفعوا أقل «۱».

و نقول:

إن ملاحظة العبارات الآنفة الذكر تعطينا: أن الهدف هو الإيحاء بأن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» كان يطلب من بنى النضـير دفع شـىء لم يكونوا ملزمين بدفعه.

و أنه قد أحرجهم بطلبه ذاك، للحلف الذى كان بينهم و بين بنى عامر.

و إذا، فبنو النضير يصبحون ضحية أطماع مالية لا مبرر لها، و لا يصح مطالبتهم بها، لا واقعا، و لا أخلاقيا.

---

(۱) محمد فى المدينة ص ۳۲۲.

كما أن إحراجهم بسبب الحلف المشار إليه، يصبح عملا لا إنسانيا و لا أخلاقيا.

فكيف إذا كانت المساومة فيما بين المسـتجدى و الضـحية قد بلغت حدا نتجت عنه تعقيدات نزل الوحى الشيطانى بها على هؤلاء رغم أن المصادر لم تتحدث عنها؟!

و فوق ذلك، فقـد بلغ الصـلف، و الظلم، و الابتزاز حـدا من الدناءة و السوء جعل محمدا- و العياذ باللّه- يفكر فى أن يحملهم القسـط الأكبر فى ديّـة رجلين لم يكن لهم فى قتلهما يـد، لا من قريب، و لا من بعيد، و ينزل الوحى الشـيطانى أيضا على هؤلاء ليقول لهم: إن محمدا قد فكر فى ذلك، لكن راق لليهود أن يدفعوا أقل.

و لكن اليهود المظلومين (!!) الـذين وقعوا فى فـخ الأطمـاع الرخيصـة (!!) عـادوا فاستسـلموا لهـذا الظلم المقيت (!!) و أعلنوا أنهم على استعداد لإعطاء جواب مرض.

ثم تعاملوا مع هذا الذى يريد أن يبتزهم بأخلاقية عالية و نبيلة، حين طلبوا منه أن يستريح، بينما كانوا يعدون له الطعام.

مزيد من التجنى:

ثم يتـابع هـذا الحاقـد كلامه عن ذكر إرسال النبى «صـلى اللّه عليه و آله» إليهم يأمرهم بمغادرة المدينـة، تحت طائلـة الموت فى مـدة عشرة أيام، على أن يبقى نخلهم لهم؛ و يحتفظوا بنصف المحصول، فيقول:

«إن هذا الإنذار لا يتناسب مع الإهانة، أو الادعاءات الغامضة، بصدد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۰۹

خيانة مقصودة ..

و مع ذلـك، يمكن لهـذه الادعـاءات: أن لاـ تبـدو غامضـة لرجـل غربى فى أيامنـا هـذه. فقـد كان الفريقان يعلمان كيف عامل بعض المسلمين كعب بن الأشرف.

و كان محمد يعلم جيدا- حسب الآراء السائدة فى الجزيرة العربية آنذاك- أنه إذا سـنحت الفرصة المناسـبة انتهزها أعداؤه، و قتلوه. و كان التأخير فى إعطاء الجواب لإتاحة الفرصة لقتله، و لهذا اعتبر عملا عدائيا ..» «۱».

و نقول:

إننا لم نفهم السبب فى وضوح هذه الادعاءات، و خروجها عن الغموض لخصوص الرجل الغربى فى أيامنا هذه (!!)

كما أن هـذا الباحث (!!) لم يقل لنا: ما هو حجم الإنـذار الـذى يتناسب مع الإهانـة و الخيانة، إذا كان إنذاره «صـلى اللّه عليه و آله» لا يتناسب معهما (!!).

فهل يقصد هذا الباحث (!!) أن المفروض هو أن يكون قتل بنى النضير هو الجزاء العادل لخيانتهم، و تآمرهم، و نقضهم للعهد؟

أم أنه يقصـد: أن طلب الجلاء منهم مع احتفـاظهم بنخلهم، و يكون لهم نصف المحصول، كان جزاء ظالما، لا يصـح طلبه من الخائن المتآمر، الناقض للعهود، و المواثيق؟! ..

و بعـد .. فإن هـذا الباحث (!!) يريـد أن يوحى لقرائه بأن كعب بن الأشـرف قـد قتل مظلوما أيضا، و أن المسـلمين قد عاملوه بقسوة لا يستحقها.

و لا ندرى إن كان قبل أن يظهر تعاطفه مع هذا الرجل قد اطلع على

---

(۱) محمد فى المدينة ص ۳۲۲ و ۳۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۰

سلسلة خيانات ابن الأشرف، و مواقفه الظالمة، و سعيه الحثيث للإيقاع بالمسلمين، أم لم يطلع على شىء من ذلك ..

و هل يستطيع: أى نظام حكم غربى- يدّعى لنفسه الحضارة و الرقى- فى هذا العصر، أن يحكم على أمثال كعب بن الأشرف و يجازيه بأقل مما حكم عليه به المسلمون، و جازوه به؟! ..

و بعد كل ما تقدم، لماذا اعتبر هذا الباحث: أن ما يذكره النبى «صـلى اللّه عليه و آله» و المسـلمون عن خيانات بنى النضير، و تآمرهم، و نقضـهم العهد مجرد ادعاءات غامضة؟! و ها نحن نراها واضحة وضوح الشمس، و تقدم تفصيلات وافية، مستندها الوحى الإلهى عن خطط اليهود، و مواقفهم.

و لم يستطع اليهود: أن يدفعوا التهمة عن أنفسهم، و لا حاولوا ذلك و لو مرة واحدة.

هذا كله، عدا عما تقدم من أن أخبار المؤامرة و الخيانة قد وصلت إلى المسلمين أيضا عن طريق بعض اليهود أنفسهم «۱».

و نكتفى بهذا القدر من الأسئلة، التى لن تجد لها لدى هؤلاء الحاقدين جوابا مقنعا و مفيدا.

فإنما هى: «شنشنة أعرفها من أخزم».

---

(۱) تقدم ذلك مع مصادره حين الكلام عن إخبار المرأة أخاها المسلم عن تآمر اليهود على حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۱

الفصل الثالث: القرار و الحصار

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۳

القرار الحكيم:

لقد كان من المتوقع- بعد نقض بنى النضير للعهد، و خيانتهم الظاهرة-:

أن يكون قرار النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو حربهم و قتالهم، و إبادة خضرائهم؛ فإن ذلك هو الجزاء العادل لكل خائن و غادر، و لا سيما إذا كان يخطط و يتآمر، ثم يعمل على تنفيذ خططه بضرب الإسلام فى الصميم، على مستوى ضرب مقام النبوة و القيادة فى أعلى مستوياتها، و أخلص تجلياتها.

و لكن الملاحظ هو: أن الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» قد آثر أن يعامل بنى النضير- كما عامل بنى قينقاع قبلهم- بمزيد من الرفق و التسامح، و لعل ذلك يرجع إلى الأمور التالية:

۱- إن هؤلاء القوم قد عاشوا دهرا فى هذه المنطقة، و أصبحت لديهم الكثير من العلاقات الإقتصادية و التجارية، و غيرها، إلى جانب علاقات الصداقة و المحبة مع سائر أهل البلاد الذين قبل كثير منهم الإسلام دينا و هداهم اللّه للإيمان ..

و إذا .. فقد يعز على الكثيرين ممن لهم معهم علاقات كهذه أن يروهم و قد حاقت بهم المصائب و البلايا، و اختطفت الكثيرين منهم أيدى المنايا، فيعتبرون أنهم قد عوملوا بقسوة بالغة، و بلا شفقة و لا رحمة، و قد كان

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۴

يمكن أن يكون الموقف أكثر مرونة و انعطافا و ملاءمة من ذلك.

۲- إن الكثيرين من الناس كانوا مبهورين بأهل الكتاب و اليهود بالذات، و ينظرون إليهم على أنهم مصدر العلوم و المعارف، و عندهم الكثير من الخفايا و الأسرار .. و على هذا فقد يفسر ضربهم بقسوة على أنه ناشئ عن حالة من التخوف منهم، أو الحسد و البغى عليهم.

و إذا كان كذلك فلا حرج من أن يتخيلهم المتخيلون شهداء و أبطالا، لا بد من التأسف عليهم، بل و الحنين إليهم ..

۳- و من جهة أخرى، فإن رؤية ذلهم و صغارهم، ثم مراقبة ما يصدر منهم خلال ذلك من مواقف ماكرة و غادرة، و من مخالفات صريحة للأعراف، و لأحكام العقل و الفطرة، و الضمير، لسوف يساهم فى كشف زيفهم و خداعهم و غشهم للإسلام و للمسلمين.

كما أن رؤية الكرامات الإلهية الظاهرة، و التأييدات الربانية الخفية منه تعالى لنبيه و للمسلمين، و نصره تعالى عليهم لسوف يرسخ

حقانية موقف الإسلام، و نبى الإسلام منهم.

هذا .. مع توفر المزيد من الفرص للإنسان المسلم الواعى للتأمل و التدبر فى ذلك كله، بعيدا عن الانفعالات و التشنجات، و فى منأى عن أعمال التضليل و التزوير، التى ربما يمارسها الكثيرون من المنافقين، و باقى اليهود الذين يتعاطفون معهم.

و من هنا .. فقد جاء قرار إجلائهم عن المدينة ليكون القرار الحكيم و الصائب، و ليكون هو الأوفق و الأنسب و الأقرب لتحقيق الأهداف الإلهية السامية و الكبرى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۵

و قد أبلغهم النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» بقراره هذا، عن طريق رسول أرسله إليهم، ليرى ماذا يكون جوابهم و يعلم الناس حقيقة موقفهم ..

۴- كما أن فى ذلك التفافا أيضا على المنافقين، و على كل المتربصين بالمسلمين و الإسلام سوءا، من أن يجعلوا ذلك ذريعة للتحريض و التشهير بالإسلام و بنبيه الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» ..

لماذا كان الرسول أوسيا؟:

إن النص التاريخى يقول: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حين أراد أن ينذر بنى النضير، قال: ادعوا لى محمد بن مسلمة، فحين أتى أرسله إليهم ينذرهم بوجوب مغادرتهم مساكنهم «۱». و لا بد لنا من وقفة هنا، لنعلم السر فى اختياره «صلى اللّه عليه و آله» هذا الرجل بالذات- محمد بن مسلمة- ليكون رسوله إلى يهود بنى النضير، فنقول: إن الأوس كانوا حلفاء لبنى

---

(۱) الثقات ج ۱ ص ۲۴۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۲، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۶۷ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۷. و إرسال محمد بن مسلمة إليهم موجود فى مختلف المصادر، فراجع على سبيل المثال: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۴ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و إعلام الورى ص ۸۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۴۷ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ و ۱۶۴ و ۱۶۹ عن بعض من تقدم، و عن الكازرونى و غيره. و راجع سائر المصادر التى سلفت و ستأتى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۶

النضير «۱»، و لربما كان يدور بخلدهم أن يكون للأوس دور إيجابى لصالحهم، و لا أقل من أن يكون لهم موقف فيه شىء من العطف، و عدم القسوة تجاههم ..

إذا عرفنا ذلك: فإن اختيار رجل من الأوس ليحمل رسالة النبى «صلى اللّه عليه و آله» إليهم يأمرهم فيها بالجلاء، لسوف يزيد من يأسهم، و يضاعف من تخوفاتهم و هو يمثل ضربة روحية موفقة ساهمت فى المزيد من إضعاف معنوياتهم، و جعلتهم يراجعون حساباتهم بجدية، ثم يرضخون للأمر الواقع.

و يكفى أن نذكر شاهدا على ذلك: أنهم حين جاءهم محمد بن مسلمة الأوسى بالخبر، قالوا:

«يا محمد، ما كنا نظن: أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس، فقال محمد بن مسلمة: تغيرت القلوب، و محا الإسلام العهود.

فقالوا: نتحمل.

فأرسل إليهم عبد اللّه بن أبى: لا تخرجوا الخ ..» «۲».

بل فى بعض النصوص: أن محمد بن مسلمة هو الذى تولى إخراجهم من ديارهم «۳».

و قال الواقدى: «كان محمد بن مسلمة الذى ولى قبض الأموال

(۱) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۵ و راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۴.

(۲) الثقات ج ۱ ص ۲۴۱ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۶۷.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۷

و الحلقة، و كشفهم عنها» «۱».

و واضح: أن ذلك أيضا يضاعف ذلهم و خزيهم، و يزيد من آلامهم، و قد كان يفترض فيهم: أن يأخذوا من ذلك عظة و عبرة، و أن يراجعوا حساباتهم بشأن هذا الرسول و دعوته؛ فقد تبين لهم أن الإسلام قد هيمن على القلوب و غيّرها، و محا الإسلام العهود.

و معنى ذلك هو: أن ثمة رعاية إلهية له «صلى اللّه عليه و آله»، و لدينه، و رسالته الظافرة، و قد تجاوزت هذه الرعاية كل التوقعات، و قلبت جميع الموازين لديهم، و لدى غيرهم من المشركين، الذين كانوا يعيشون فى المنطقة، و كانوا يتعاملون مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» و مع الدين الذى جاء به من موقع التحدى، و المكابرة، و الجحود ..

فما كان أحراهم بعد أن عاينوا ما عاينوا من آيات بينات، و من كرامات و معجزات، أن يسلموا و يشهدوا لنبى الإسلام بالرسالة و النبوة، و لكنهم لم يفعلوا .. بل جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا.

حامل اللواء:

و قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لعلى «عليه السلام»: تقدم إلى بنى النضير، فأخذ أمير المؤمنين الراية، و تقدم، و جاء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أحاط بحصنهم «۲».

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۷.

(۲) تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و عنه فى البحار ج ۲۰ ص ۱۶۹ و الصافى ج ۵ ص ۱۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۸

و حسب نص آخر: و حمل لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على بن أبى طالب «۱».

و لكن الواقدى قال: «و قد استعمل عليا «عليه السلام» على العسكر، و قيل: أبا بكر» «۲».

و نقول: لا بد من الإشارة هنا إلى أمرين:

الأول: بالنسبة لاستعمال أبى بكر على العسكر، فإنه قول منسوب إلى مجهول، لم يجرؤ الواقدى على ذكر اسمه، و لا مستنده، و نحن نشك فى كونه مختلقا و موضوعا على أبى بكر؛ و ذلك لما قدمناه من أن عليا كان صاحب لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى بدر و فى كل مشهد «۳».

(۱) الثقات ج ۱ ص ۲۴۲ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و الوفاء ص ۶۸۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره، و راجع:

الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۷۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۵ و زاد المعاد ج ۱ ص ۷۱ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۴ و ۲۶۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱.

(۲) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

(۳) راجع: ترجمة الإمام على أمير المؤمنين، من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودى) ج ۱ ص ۱۵۴. و ذخائر العقبى ص ۷۵ عن أحمد فى المناقب، و الطبقات الكبرى ج ۳ قسم ۱ ص ۱۴ و كفاية الطالب ص ۳۳۶ و فى هامشه عن كنز العمال ج ۶ ص ۳۹۸ عن الطبرانى، و راجع: هامش ص ۱۸۰ من احتجاج الطبرسى عن الرياض النضرة ج ۲ ص ۲۶۷ و ۲۰۲ عن نظام الملك فى أماليه. و راجع أيضا:

مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلى ص ۲۰۰ و المناقب للخوارزمى ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و عمدة القارى ج ۱۶ ص ۲۱۶ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵۰۰ و تلخيصه-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۱۹

و قد صرحوا: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يؤمّر على على أحدا «عليه السلام» «۱»، و قد كان «عليه السلام» فى غزاة بنى النضير، فكيف يكون قد أمّر أبا بكر عليه؟!

و عدا عن ذلك كله .. فإن أبا بكر لم يكن معروفا بالشجاعة و الإقدام، إن لم نقل: إن الأمر كان على عكس ذلك تماما، حسبما أو ضحناه فى الجزء الثالث من هذا الكتاب، حين الكلام حول حرب بدر، و ما يذكر من شجاعة أبى بكر فيها، لبقائه مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى العريش.

و من الواضح: أن إمارة الجيوش و راياتها إنما تكون بيد الشجعان و أصحاب النجدة، قال على «عليه السلام»: و هو يحث أصحابه على القتال:

«و رايتكم فلا تميلوها، و لا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم، و المانعين الذمار منكم؛ فإن الصابرين على نزول الحقائق، هم الذين يحفون برايا تهم و يكتنفونها؛ حفا فيها، و وراءها، و أمامها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، و لا يتقدمون عليها، فيفردوها» «۲».

- بهامش نفس الصفحة للذهبى و صححاه على شرط الشيخين و المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۲۸۸ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۱۴ و ۵۱۵ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۳۴ و فتح البارى ج ۶ ص ۸۹ عن أحمد و أسد الغابة ج ۴ ص ۲۰ و أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج ۲ ص ۱۰۶ و شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۶ ص ۲۸۹، و الغدير للعلامة الأمينى ج ۱۰ ص ۱۶۸ عنه.

(۱) المناقب لابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۲۳ و البحار ج ۴۷ ص ۱۲۷ عنه.

(۲) نهج البلاغة ج ۲ ص ۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۵ ص ۱۷ و الفتوح لابن أعثم ج ۳ ص ۷۳ و صفين ص ۲۳۵ و الكافى ج ۵ ص ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۰

و لعل الهدف من تلك الأكذوبة التى نسبها الواقدى إلى القيل: هو التشكيك فيما هو حق و صدق فيما يرتبط بعلى «عليه السلام»، و التخفيف من حدة النقد الموجه إلى أبى بكر، بسبب ما عرف عنه من إحجام عن خوض الغمرات، و الفرار فى مواطن الخطر، و التحدى الحقيقى، كما جرى له فى أحد و خيبر و غيرهما، مما هو مسطور فى كتب الحديث و التاريخ.

الثانى: إن من الواضح: أن حمله «عليه السلام» لراية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قيادته للعسكر لمما يزيد فى رعب اليهود، و يهزمهم نفسيا.

كيف لا .. و قد كانت أخبار مواقفه و بطولاته فى بدر- و كذا فى أحد، لو صح كون غزوة بنى النضير بعدها، و قد استبعدناه- قد أرهبت و أرعبت القاصى و الدانى، من أعداء اللّه و أعداء رسوله و دينه.

فهو قد قتل نصف قتلى المشركين، و شارك فى قتل النصف الثانى فى حرب بدر، و فى أحد- لو كانت القضية بعدها- كان الفتح و

حفظ الإسلام على يديه، و قد آثرت قريش الفرار على البقاء و القرار، حينما علمت أنه «عليه السلام» يلاحقها فى غزوة حمراء الأسد، رغم ما كانت تشعر به من زهو و خيلاء بالنسبة للنتائج التى تمخضت عنها حرب أحد.

الفتح على يد على عليه السلام:

اشارة

لما توجه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى بنى النضير عمد إلى حصارهم، فضرب قبته فى أقصى بنى خطمة من البطحاء.

فلما أقبل الليل رماه رجل من بنى النضير بسهم، فأصاب القبة، فأمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن تحول قبته إلى السفح، و أحاط بها المهاجرون

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۱

و الأنصار. (و عند الواقدى: أنها حولت إلى مسجد الفضيخ).

فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين «عليه السلام»؛ فقال الناس: يا رسول اللّه، لا نرى عليا.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أراه «۱» فى بعض ما يصلح شأنكم.

فلم يلبث أن جاء برأس اليهودى الذى رمى النبى «صلى اللّه عليه و آله»- و كان يقال له: عزورا- فطرحه بين يدى النبى «صلى اللّه عليه و آله».

فقال له النبى «صلى اللّه عليه و آله»: كيف صنعت؟

فقال: إنى رأيت هذا الخبيث جريّا شجاعا؛ فكمنت له، و قلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل، يطلب منا غرة.

فأقبل مصلتا بسيفه، فى تسعة نفر من اليهود؛ فشددت عليه، و قتلته، فأفلت أصحابه، و لم يبرحوا قريبا؛ فابعث معى نفرا فإنى أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» معه عشرة، فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة، و سهل بن حنيف؛ فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن؛ فقتلوهم، و جاؤوا برؤوسهم إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فأمر أن تطرح فى بعض آبار بنى خطمة.

و كان ذلك سبب فتح حصون بنى النضير.

و فى ذلك يقول حسان بن ثابت:

للّه أى كريهة أبليتهاببنى قريظة و النفوس تطلع

---

(۱) فى مغازى الواقدى و السيرة الحلبية: دعوه فإنه فى بعض شأنكم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۲ أردى رئيسهم و آب بتسعةطورا يشلهم «۱» و طورا يدفع و حسب نص الواقدى و دحلان: أن القبة كانت من غرب (ضرب من الشجر) عليها مسوح، أرسل بها إليه سعد بن عبادة فأمر بلالا، فضربها فى موضع المسجد الصغير الذى بفضاء بنى خطمة و صلى بالناس فى ذلك الفضاء، فلما رماها، «عزوك»- كما فى الواقدى- بالسهم حولت إلى مسجد الفضيخ.

إلى أن تقول الرواية: فيئسوا من نصرهم، فقالوا: نحن نخرج من بلادك الخ .. «۲».

و نحن نسجل هنا الأمور التالية:

۱- الحكمة .. و المعجزة:

إن تحويل النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» قبته إلى السفح، حتى لا تنالها يد العدو، يعطينا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يتحرك من موقع الحكمة و التدبير، وفقا لأحكام العقل و جريا على مقتضيات الفطرة.

و أما المعجزة، و التصرف الإلهى الغيبى، فإنما كان فى حالات خاصة، حيث تمس الحاجة لذلك، و تفرضه ضرورة حفظ الإسلام، و رمزه الأول، كما كان الحال بالنسبة لإخبار جبرئيل «عليه السلام» للنبى «صلى اللّه عليه

---

(۱) يشلهم بالسيف: يضربهم و يطردهم.

(۲) راجع ما تقدم فى المصادر التالية: الإرشاد للمفيد ص ۴۹- ۵۰ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۲ و ۱۷۳ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۶ و ۱۹۷ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۱ و ۳۷۲ و كشف الغمة للأربلى ج ۱ ص ۲۰۱ و ۲۵۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۳

و آله» بتآمر بنى النضير على حياته «صلى اللّه عليه و آله»، حينما ذهب إليهم يستمدهم فى ديّة العامريين، حسبما تقدم ..

و كما كان الحال بالنسبة إلى الإمداد بالملائكة فى حرب بدر، إلى غير ذلك من موارد فرضت التدخل الإلهى، و حدوث المعجزة و الكرامة، من أجل حفظ الإسلام فى منطلقاته الأساسية، و فى رموزه الأولى و الكبيرة.

و لعل تحول النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى السفح بعد وصول النبل إلى تلك الخيمة كان يهدف إلى تعليم المسلمين هذا الدرس بالذات بالإضافة إلى دروس أخرى تأتى.

۲- الشعور بالمسؤولية:

إن تحرك أمير المؤمنين «عليه الصلاة و السلام» لمواجهة الخطر اليهودى إنما جاء من منطلق الإحساس بالمسؤولية، و نتيجة للشعور بالواجب، و الثقة باللّه سبحانه .. حتى و لو لم يصدر الأمر به من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، تفاديا لبعض السلبيات.

و هذا الإحساس و الشعور لم نجده عند سائر الصحابة، الذين كانوا حاضرين مع النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و شهدوا ما شهده على «عليه السلام»، و عاينوا ما عاينه.

۳- الأسرار العسكرية:

إن سرية تحرك أمير المؤمنين «عليه الصلاة و السلام»، و عدم إفصاح النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن طبيعة المهمة التى كان أمير المؤمنين بصدد تحقيقها، حتى إنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يشر إلى أن طابعها كان عسكريا أو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۴

استطلاعيا، أو تموينيا، أو غير ذلك ..

إن هذه السرية مطلوبة فى كل عمل عسكرى- إلا ما كان ذا طبيعة خاصة- ليمكن تحقيق الأهداف المتوخاة من ذلك العمل على النحو الأفضل و الأكمل.

و قد كان من الطبيعى أن يتسرب الخبر فى ظروف كهذه إلى بنى النضير- لو أفصح به النبى «صلى اللّه عليه و آله»- عن طريق المنافقين، و لعل ذلك يؤدى إلى تفويت الكثير من الفرص، و إلى أن تفقد العملية عناصر هامة من شأنها أن تساعد على إحراز نصر كبير فيها، كأن يتمكن بنو النضير من نجدة سريتهم العاملة، و لا أقل من تمكن المنافقين من مساعدة عناصر السرية اليهودية على الفرار و النجاة، أو الاختفاء فى الأمكنة المناسبة لذلك ..

۴- دراسة شخصية العدو:

إن قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إنى رأيت هذا الخبيث جريّا شجاعا؛ فكمنت له، و قلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل، فيطلب منا غرة» يعطينا: أنه لا بد من دراسة حالات العدو، و خصائصه النفسية، فإن لذلك أثرا كبيرا فى العمل العسكرى، و له دور هام فى تعيين مستقبل الحرب، و أسلوب حركتها و نتائجها.

۵- إستباق مخططات العدو:

إن كلمة أمير المؤمنين «عليه السلام»، الآنفة الذكر، لتعطينا: أنه لا بد من أن تكون لدى الكوادر القيادية القدرة على التنبؤ بما يمكن أن يخطط له العدو، و طرح الافتراضات و الخيارات كافة التى يمكن أن يلجأ إليها،
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۵
لمواجهتها من موقع الوعى و الدراسة و التخطيط، حتى لا تتحول إلى مفاجأة يتعامل معها من موقع العفوية و الارتجال، وردة الفعل، و الانفعال.

۶- العمليات الوقائية:

و بعد .. فلم تكن مبادرة أمير المؤمنين لإفشال المخططات المحتملة للعدو إلا إيذانا بضرورة القيام بعمليات وقائية، و ضرب العدو فى مواقعه، و بصورة مفاجئة، و قوية، فإن ذلك من شأنه أن يلحق به هزيمة نفسية، فضلا عن الهزيمة العسكرية الساحقة.

۷- إرهاصات:

إن شعر حسان الآنف الذكر يدل على: أن عليا «عليه الصلاة و السلام» هو الذى آب بالتسعة، و أنه قد قتل بعضهم، و آب بالبعض الآخر أحياء.
و لعل دور العشرة الذين أرسلهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» معه قد اقتصر على أمور ثانوية و هامشية فى عملية أسر التسعة، أو قتلهم، و إن الدور المصيرى و الأهم إنما كان لأمير المؤمنين «عليه السلام».
و لأجل ذلك لا يصغى إلى ما ذكره الحلبى، حينما ذكر إرسال العشرة مع على «عليه السلام» لقتل التسعة فقتلوهم، و طرحوهم فى بعض الآبار، حيث قال الحلبى: «.. و فى هذا رد على بعض الرافضة حيث ادّعى: أن عليا هو القاتل لأولئك العشرة» «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۶

۸- الفتح على يد على عليه السّلام:

و كان من الطبيعى: أن يكون لهذه الضربة تأثير كبير على معنويات بنى النضير، و أن يضج الرعب فى قلوبهم. فإن تصدى رجل واحد من المسلمين لعشرة منهم، ثم قتل العشرة جميعا، يؤذن بأن المسلمين قادرون على إبادتهم، و استئصال شأفتهم بسهولة و يسر.

و إذا كان يمكن اعتبار حرق الأشجار و قطعها تهديدا، و ممارسة لمستوى من الضغط، قد يتم التراجع عنه، حين يؤول الأمر إلى سفك الدماء، و إزهاق الأرواح، فإن هذا التراجع قد أصبح غير محتمل على الإطلاق، بعد أن باشر المسلمون عملا عسكريا بهذا المستوى، و بهذه الشدة و الصلابة و التصميم.

و لقد باشر هذا الأمر رجل هو أقرب الناس إلى رسول اللّه، و أعرفهم بنواياه و آرائه، و أشدهم اتباعا له. رجل عرفوا بعض مواقفه المرعبة فى بدر و ربما فى أحد .. و هو على بن أبى طالب «عليه الصلاة و السلام».

إذا .. و بعد أن تخلى عنهم حلفاؤهم، و لم يف لهم المنافقون بما و عدوهم به، فإنهم لم يبق لهم إلا هذه الأحجار التى يختبئون خلفها كالفئران. و لكن إلى أى حد يمكن لهذه الحجارة أن تدفع عنهم، و كيف و أنى لهم برد هجوم الجيش الإسلامى عنها حين يصمم على تدميرها؟!

فقد جاءهم ما لم يكن بالحسبان، فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ «۱» و «كان ذلك سبب فتح حصون بنى النضير» كما تقدم فى النص السابق.

---

(۱) الآية ۲ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۷

و من جهة أخرى: فإن الضربة الموفقة لا بد أن تقوى من معنويات الجيش الإسلامى. و قد حصنته من أن يصاب بالضعف و الوهن لدى المواجهة الأولى مع عدو لا يرى سبيلا إليه، ما دام بالحصون المنيعة، بالإضافة إلى قدرات قتالية عالية لديه بنظر الكثيرين.

و مما ذكرناه: يتضح معنى العبارة المنقولة عن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هنا، حينما سئل عن على «عليه السلام» حيث يقول: «أراه فى بعض ما يصلح شأنكم».

فإن هذه العملية كان لها أثر كبير فى إصلاح شأن المسلمين- كل المسلمين- و إفساد أمر أعدائهم، و دحرهم و كسر شوكتهم، حيث أتاهم اللّه من حيث لم يحتسبوا.

۹- قتل قائد المجموعة:

و نلاحظ أيضا: أن الهدف العسكرى الذى وضعه على «عليه السلام»، هو قتل قائد المجموعة بالذات.

و هذا العمل يعتبر نموذجيا، و ناجحا عسكريا مائة فى المائة، فإن حدوث فراغ على مستوى القيادة يزعزع كل الثوابت، و يفقد المجموعة بأسرها كل فاعليتها و حيويتها، و تتحول إلى ركام خاو و رماد خامد.

۱۰- الإشكال فى شعر حسان:

و يلاحظ: أن شعر حسان قد ذكر: أن هذه القضية وقعت فى بنى قريظة، لكن الرواية تنص على حدوث ذلك فى بنى النضير. و هذا تناقض ظاهر، و لعل ملاءمة كلمة: «بنى قريظة» لوزن الشعر، أكثر من كلمة «بنى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۸

النضير» يؤيد: أن يكون الشعر صحيحا و غير محرّف ..

و لكن هذا المقدار لا يكفى للحكم على الرواية بالتلاعب و التصرف فيها.

و ذلك لأن الرواية قد صرحت: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» فى حصار بنى النضير قد ضرب قبته فى أقصى بنى خطمة من البطحاء.

و هذا يعنى: أن بنى خطمة كانوا يسكنون فى مجاورة بنى النضير.

و إذا، فمن المفيد: أن نحدد موقع بنى خطمة، و بنى النضير، و بنى قريظة؛ ليتضح من ثم أن حصول التلاعب فى الشعر هو الأقرب و الأنسب فنقول:

تحديد المواقع:

اشارة

أما بالنسبة لبنى قريظة، فإنهم يقولون: إنهم نزلوا بالعالية على وادى مهزور «۱» و ذلك حيث يقع مسجد بنى قريظة، الذى هو شرقى مسجد الشمس (أعنى مسجد الفضيخ) الذى يقع هو الآخر شرقى مسجد قباء «۲» فى الحرة الشرقية، المعروفة بحرة و اقم، و تسمى حرة بنى قريظة أيضا، لأنهم كانوا بطرفها القبلى «۳».

أما بنو النضير، فقد نزلوا بالعالية أيضا على وادى مذينب، و هو شعبة

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۶۱ و ج ۳ ص ۱۰۷۶ و راجع: معجم البلدان ج ۱ ص ۳۴۶ و ج ۵ ص ۲۳۴.

(۲) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۳ و ۸۲۱ و راجع: مرآة الحرمين ج ۱ ص ۴۱۹.

(۳) راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۲۹

من سيل بطحان «۱».

و قد نقل ابن عساكر و الحموى عن الواقدى: أن منازلهم كانت بناحية الغرس و ما والاها مقبرة بنى حنظلة «۲» أو خطمة «۳».

قال السمهودى: «الظاهر: أنهم كانوا بالنواعم، و تمتد منازلهم و أموالهم إلى ناحية الغرس، و إلى ناحية الصافية، و ما معها من صدقات النبى «صلى اللّه عليه و آله». و بعض منازلهم كانت بجفاف، لأن فاضحة (أطم لبنى النضير، معجم البلدان ج ۴ ص ۲۳۱) به، و رأيت بالحرة فى شرقى النواعم آثار حصون و قرية بقرب مذينب، يظهر أنها من جملة منازلهم» «۴».

و أما منازل بنى خطمة، فإن المطرى يقول: إنها قرب مسجد الشمس بالعوالى «۵».

لكن السمهودى قد رد على ذلك بقوله: «و الأظهر عندنا: أنهم بقرب الماجشونية، لقول ابن شبة فى سيل بطحان: إنه يصب فى جفاف، و يمر فيه، حتى يفضى إلى فضاء بنى خطمة، و الأغرس، و قوله فى مذينب: إنه يلتقى هو و سيل بنى قريظة بالمشارف، فضاء

بنى خطمة.

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۶۱ و ج ۳ ص ۱۰۷۶ و راجع: معجم البلدان ج ۱ ص ۴۴۶ و ج ۵ ص ۲۹۰ و ۲۳۴.

(۲) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۱۰۷۵ و ۱۰۷۶ و ج ۱ ص ۱۶۱ و معجم البلدان ج ۴ ص ۱۹۳.

(۳) التنبيه و الأشراف ص ۲۱۳.

(۴) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۶۳.

(۵) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۹۸ و ج ۳ ص ۸۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۰

و سيأتى: أن ذلك عند تنور النورة، الذى فى شامى الماجشونية، و قد رأيت آثار القرية و الآطام هناك» «۱».

إذا عرفت هذا فإننا نقول:

إن الرواية هى الصحيحة، و إن شعر حسان هو الذى تعرض للتلاعب العفوى أو المتعمد؛ و ذلك لأن الرواية قد صرحت- كما صرح غيرها-: بأن فضاء بنى خطمة ملاصق للمواقع المحاصرة، لأن السهام كانت قد نالت القبة التى ضربها النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى أقصى بنى خطمة.

و قد كان بنو خطمة قرب بنى النضير لا قرب بنى قريظة .. و كان الفاصل بين قريظة و النضير شاسعا جدا. فقد كان بنو قريظة جنوبى المدينة شرقى مسجد قباء، و مسجد الشمس، فى الطرف القبلى للحرة الشرقية.

أما بنو النضير، فقد كانوا شرقى المدينة المتمايل إلى جهة الشام شمالا ..

و نحن فى مقام التدليل على هذين الأمرين: أعنى بعد قريظة عن النضير، و قرب بنى خطمة من هؤلاء لا أولئك نقسم الكلام إلى قسمين؛ فنقول:

۱- بنو النضير شرقى المدينة:

اشارة

أما بالنسبة لكون بنى النضير شرقى المدينة؛ فيدل على ذلك:

أولا: قال ابن كثير: «كانت منازل بنى النضير ظاهر المدينة على أميال منها، شرقيها» «۲».

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۷۳ و راجع ص ۱۰۷۵ و ۱۰۷۷.

(۲) تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۱

ثانيا: إن الصافية، و برقة، و الدلال و الميثب متجاورات بأعلى الصورين، من خلف قصر مروان بن الحكم «۱».

و هذه المواضع المشار إليها هى من أموال مخيريق، التى أوصى بها إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله». و كان هذا الرجل من بنى النضير، و كانت حوائطه سبعة، و هى الأربعة المتقدمة بالإضافة إلى: حسنى، و الأعواف، و مشربة أم إبراهيم.

و قيل: بل هو من يهود بنى قينقاع، كان نازلا ببنى النضير، و كانت أمواله فيهم، و هى عامة صدقات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

و عليه .. فإذا كانت تلك المواضع الأربعة متجاورات بأعلى الصورين، و كانت من أموال بنى النضير، فنقول: إنهم يقولون: إن الصورين يقعان فى أدنى الغابة، و الغابة فى عوالى المدينة من جهة الشام «۳».

و حسب نص آخر: أنها كانت على بريد من المدينة على طريق الشام «۴».

(و الصوران أيضا موقع فى البقيع «۵»، و البقيع يقع داخل المدينة)، و ليس هذا الموضع قرب قصر مروان، فلا يتوهم ذلك.

ثالثا: قد صرحوا: بأن مشربة أم إبراهيم، و هى من أموال بنى النضير،

---

(۱) راجع: تاريخ المدينة ج ۱ ص ۱۷۳ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۳.

(۲) راجع: فتح البارى ج ۶ ص ۱۴۸ و معجم البلدان ج ۵ ص ۲۹۰ و ۲۹۱ و تاريخ المدينة ج ۱ ص ۱۷۵ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۸۹ و ۹۹۰ عنه و عن ابن زبالة.

(۳) راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۷۵.

(۴) معجم البلدان ج ۴ ص ۱۸۲.

(۵) معجم البلدان ج ۳ ص ۴۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۲

من مخيريق، قد كانت فى «القف»، كما أن سائر أموال مخيريق قد كانت بقرب القف أيضا «۱».

و معلوم: أن القف يقع فى شرقى المدينة، لأن زهرة مما يليه، كما سنرى «۲».

رابعا: قد صرحوا: بأن بنى النضير كانوا يسكنون فى قرية يقال لها:

زهرة «۳».

و زهرة تقع فى شرقى المدينة، و بها تقع الصافية «۴»، التى كانت من أموال مخيريق، و صارت إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

كما أنهم قد ذكروا: أن زهرة هى الأرض السهلة بين الحرة و السافلة مما يلى القف «۵».

و لعل التعبير الأدق، أن يقال: إن زهرة مما يلى طرف العالية، و ما نزل عنها، فهو السافلة و أدنى العالية ميل من المسجد «۶».

خامسا: إن سهم عثمان الذى أعطاه إياه رسول اللّه «صلى اللّه عليه عليه

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۲۹ و ۱۲۳۰ و فى ج ۳ ص ۸۲۶ عن الإستيعاب.

(۲) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۷۸.

(۳) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۰ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۴ عن الكازرونى و غيره، و فى هامشه عن: المنتقى فى مولود المصطفى ص ۱۲۵. و راجع أيضا: بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴.

(۴) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۳.

(۵) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۲۹.

(۶) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۳

و آله» من بنى النضير أيضا «۱».

و غافر و البرزتان أيضا، و هما من طعم أزواج النبى «صلى اللّه عليه و آله» من بنى النضير «۲»، و فى بئر أريس أيضا «۳».

و لعل كيدمة هى نفس الجزع الذى بقرب مشربة أم إبراهيم، و المعروف بالحسينيات، (و هو قرية فى زهرة) و يعرف بلفظ (كيادم)

بصيغة الجمع «۴».

ثم إن السمهودى بعد أن ذكر: أن المعروف اليوم هو بئر أريس غربى مسجد قباء، و أنها ليهودى من بنى محمم،

قد رد ذلك: بأن ما تقدم من كون سهم عثمان و عبد الرحمن بن عوف من بنى النضير موجودا فيها يدل على خلاف ذلك؛ لأن بنى النضير و بنى محمم لم يكونوا بقباء، لا سيما و أن ابن زبالة يذكر: أن مهزورا يشق فى أموال عثمان، يأتى على أريس، و أسفل منه، حتى يتبطن الصورين، فصرفه عثمان مخافة على المسجد الذى فى بئر أريس.

و من الواضح: أن الموضع المعروف بقباء لا يمكن وصول شىء من مهزور إليه «۵».

سادسا: روى عن جعفر: أن سلمان كان لناس من بنى النضير؛ فكاتبوه

---

(۱) راجع: وفاء و الوفاء ج ۳ ص ۹۴۴ و ستأتى بعض المصادر لكيدمة و كونها سهم ابن عوف من بنى النضير فى فصل: كى لا يكون دولة بين الأغنياء.

(۲) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۲ عن ابن زبالة و راجع ص ۹۹۳.

(۳) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۲ و ج ۴ ص ۱۱۳۹.

(۴) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۴۵ و ۹۴۶.

(۵) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۴

على أن يغرس لهم نخلا، ثم أفاءها اللّه على نبيه، فهى الميثب صدقة النبى «صلى اللّه عليه و آله» بالمدينة «۱».

و فى رواية أخرى: أن امرأة من بنى النضير قد كاتبت سلمان على أن يحيى لها موضعا اسمه «الدلال»، فأعلم النبى «صلى اللّه عليه و آله» بذلك، فجاء، فجلس على «فقير»، ثم جعل يحمل إليه الودى؛ فيضعها «صلى اللّه عليه و آله» بيده، فقال: «و الذى تظاهر عندنا: أنها (أى الدلال) من أموال بنى النضير، و مما يدل على ذلك: أن مهزورا يسقيها، و لم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال بنى النضير» «۲».

قال السمهودى: «الذى يتحصل من مجموع ما تقدم: أن نخل سلمان الذى غرسه هو «الدلال» و قيل: برقة، و الميثب «و قيل: الميثب» «۳».

مناقشة للسمهودى لا تصح:

و قد ذكر السمهودى هنا: أن «الفقير» الذى جلس عليه النبى اسم الحديقة بالعالية، قرب بنى قريظة، ثم أورد على ذلك: بأن «الفقير» ليس من صدقات النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و إنما هو من صدقات على «عليه السلام» «۴».

و نقول: إننا نلاحظ هنا: أن التعبير الوارد هو: «جلس على فقير»، فإذا كان هذا اللفظ اسما لحديقة، لم يصح قوله: جلس عليه، بل يقال: ذهب

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۱.

(۲) تاريخ المدينة ج ۱ ص ۱۷۴.

(۳) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۱.

(۴) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۲ و ج ۴ ص ۱۲۸۲ و تاريخ المدينة ج ۱ ص ۲۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۵

إليه، و جلس فيه، أو فى بعض جوانبه و نواحيه.

و الصحيح هو: أن «الفقير» هو الحفرة التى توضع فيها النخلة حين غرسها، فالنبى «صلى اللّه عليه و آله» قد جلس فوقها بانتظار أن يأتيه سلمان بالودى ليضعه فيها؛ فصح أن يقال حينئذ: جلس على فقير ..

مناقشة أخرى وردها:

و لكن يبقى إيراد آخر، و هو: أن رواية رواها أحمد و الطبرانى و غيرهما تفيد: أن الذى اشترى سلمان هو رجل من بنى قريظة «۱».

و يدل على ذلك أيضا: نفس كتاب المفاداة الذى صرح باسم ذلك الرجل، و أنه قرظى «۲».

و نقول: إنه يمكن أن يكون ذلك القرظى زوجا لمالكة سلمان، التى كانت نضيرية، و كانت أموالها فى منطقة قبيلتها، و قد تولى زوجها كتب الكتاب عنها، و ذلك ليس بالأمر الغريب، و لا البعيد عن المألوف.

۲- قرب بنى خطمة إلى بنى النضير:

ألف: و أما بالنسبة للقسم الثانى، أعنى قرب بنى خطمة من منازل بنى النضير، و بعدهم عن منازل بنى قريظة، فيدل على ذلك بالإضافة إلى صراحة نفس الرواية التى هى موضع البحث فى ذلك:

أولا: قول المسعودى: «كانت منازل بنى النضير، بناحية الغرس، و ما

---

(۱) الثقات ج ۱ ص ۲۵۴ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۱.

(۲) راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهة التحدى، الفصل الثانى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۶

والاها و مقبرة بنى خطمة» «۱».

ثانيا: تصريحهم بأن بئر غرس، حيث منازل بنى النضير، إنما تقع فى جهة بنى خطمة «۲»، فبنو خطمة إذا هم فى منطقة زهرة منازل بنى النضير ..

ثالثا: إن فضاء بنى خطمة يقع شامى الماجشونية- كما ذكره السمهودى «۳»- و الماجشونية تقع قرب تربة صعيب و بلحارث، كما أن منازل بنى النضير تقع بناحية الغرس، و هى قرب تربة صعيب أيضا «۴».

و ذلك يعنى: أن بنى خطمة كانوا قرب بنى النضير، لا قرب بنى قريظة.

رابعا: إن ما يدل على بعد بنى خطمة عن بنى قريظة: أن البويرة التى وقع الحريق فيها قد كانت قرب تربة صعيب و دار بلحارث بن الخزرج، و ليست هى البويرة المعروفة فى قبلة مسجد قباء.

و يدل على ذلك ما رواه ابن زبالة: من أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد وقف على السيرة التى على الطريق، حذو البويرة؛ فقال: إن خير نساء و رجال فى هذه الدور، و أشار إلى دار بنى سالم، و دار بلحبلى، و دار بلحارث بن الخزرج.

و هذا الوصف لا يطابق الموضع الذى فى قبلة مسجد قباء؛ لبعده

---

(۱) التنبيه و الأشراف ص ۲۱۳.

(۲) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۷۸.

(۳) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۷۳ و راجع ص ۱۰۷۵ و ۱۰۷۷.

(۴) راجع: وفاء الوفاء ج ۱ ص ۱۹۷ و ۱۹۸ و ج ۴ ص ۱۱۵۷ و ۱۲۹۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۷

جدا «۱».

و قد أكد السمهودى: فى غير موضع من كتابه على هذا الأمر، ورد القول بأن البويرة هى فى قبلة مسجد قباء، فراجع «۲».

بل لقد ذكر البعض: أن البويرة موضع بين المدينة و تيماء «۳» و لكن العسقلانى قد زاد على ذلك قوله: «و هى من جهة قبلة مسجد قباء إلى الغرب» «۴».

و معلوم: أن تيماء موضع بين المدينة و الشام، و منازل بنى قريظة إنما هى قبلى المدينة شرقى مسجد قباء أى فى الجهة المقابلة لجهة الشام، فكيف يتلاءم قول العسقلانى هذا مع قوله بأنها إلى جهة تيماء؟!

و مما يؤكد قول السمهودى المتقدم: أنهم يقولون فى قصة إجلاء بنى النضير: «فخرجوا على بلحارث بن الخزرج، ثم على الجبلية، ثم على الجسر، حتى مروا بالمصلى، ثم شقوا سوق المدينة، و النساء فى الهوادج» «۵».

و حين هم اليهود بالغدر برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و رجع إلى المدينة، و تبعه أصحابه لقوا رجلا خارجا من المدينة، فسألوه: هل لقيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۱۱۵۷.

(۲) المصدر السابق.

(۳) شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶.

(۴) فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶.

(۵) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۸

قال: لقيته بالجسر داخلا «۱».

خامسا: و مما يدل على ذلك أيضا: أن وادى مهزور يأتى من شرقى الحرة، و من هكر، و حرة صفة، حتى يأتى على حلاة بنى قريظة. ثم يسلك منه شعيب؛ فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى واد يقال له مذينب، ثم يلتقى و سيل بنى قريظة بفضاء بنى خطمة، ثم يجتمع الواديان: مهزور، و مذينب، فيفترقان بالأموال «۲»، و يدخلان فى صدقات رسول اللّه كلها إلا مشربة أم إبراهيم، ثم يفضى إلى الصورين على قصر مروان بن الحكم «۳».

و نص آخر يقول: إن دار بنى أمية بن زيد شرقى دار الحارث بن الخزرج، أى أنهم كانوا قرب النواعم، و يمر سيل مذينب بين بيوتهم ثم يسقى الأموال.

و يشهد لذلك: أن ابن إسحاق ذكر فى مقتل كعب بن الأشرف- و كان من بنى النضير- أن محمد بن مسلمة و من معه بعد أن قتلوه سلكوا حسب قول ابن مسلمة على بنى أمية بن زيد، ثم على بنى قريظة ثم على بعاث إلى آخره «۴».

فقد اتضح من هذا النص: أن فضاء بنى خطمة متصل بالأموال و الصدقات (التى هى فى زهرة، و من أموال بنى النضير) و أن قريظة

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۶۶.

(۲) هى أموال مخيريق التى أوصى بها إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و يعبرون عنها بالصدقات لما سيأتى فى فصل: كى لا يكون دولة بين الأغنياء.

(۳) راجع وفاء الوفاء ج ۳ ص ۱۰۷۷.

(۴) راجع: وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۷۴ و ج ۴ ص ۱۱۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۳۹

منفصلة عن فضاء بنى خطمة ببنى أمية بن زيد.

خلاصة أخيرة:

و أخيرا: فإن المتحصل مما تقدم هو: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد نصب قبته فى أقصى بنى خطمة، و كانت نبال المحاصرين تناله، فانتقل إلى السفح، و هناك صلى بأصحابه.

و أن بنى النضير كانوا أقرب إلى بنى خطمة من بنى قريظة ..

و كان بنو قريظة قبلى المدينة شرقى مسجد قباء. أما بنو النضير فكانوا شرقى المدينة إلى جهة الشام و شتان ما بينهما .. و كل ذلك يؤيد أن يكون الشعر هو المحرف، و الرواية هى الصحيحة ..

مناقشة مع الواقدى:

و يبقى أن نشير هنا: إلى أن ما ذكره الواقدى، و دحلان، من أن المسلمين قد جعلوا القبة أولا عند مسجد بنى خطمة، فلما رماها (عزوك)- كما فى الواقدى و غيره- اليهودى بالسهم، حولت إلى مسجد الفضيخ:

إن هذا لا يصح، و ذلك:

أولا: لأن مسجد الفضيخ يقع شرقى مسجد قباء، على شفير الوادى، على نشز من الأرض «۱».

و قد عرفنا: أن منازل بنى النضير بعيدة عن هذا الموضع جدا، كما أن فضاء بنى خطمة كان بعيدا أيضا.

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۱ و مرآة الحرمين ج ۱ ص ۴۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۰

إلا أن يقال: إن كون مسجد الفضيخ فى قباء موضع شك، و لا يصح، و إنما هو فى بنى خطمة، و سيأتى ما يدل على هذا حين الكلام عن تحريم الخمر.

ثانيا: إن النصوص تصرح: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد ضرب قبته فى أقصى بنى خطمة، على مرمى سهم من بنى النضير ..

و يبعد أن يختط بنو خطمة مسجدهم فى أقصى ديارهم، إلى جانب بنى النضير.

قطع النخل، أو حرقه:

و تذكر الروايات: أن النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر المسلمين بقطع نخل بنى النضير، و التحريق فيه، و كان ذلك فى موضع يقال له: البويرة؛ فناداه اليهود: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد، و تعيب من صنعه، فما بال قطع النخل و تحريقها، فأنزل اللّه: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ «۱».

(۱) الآية ۵ من سورة الحشر.

و أمر الرسول «صلى اللّه عليه و آله» بحرق و قطع النخيل موجود فى المصادر التالية:

جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۳ و أسباب النزول للواحدى ص ۲۳۷ و ۲۳۸ و مسند الحميدى ج ۲ ص ۳۰۱ و مسند أبى عوانة ج ۴ ص ۹۷ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۹ و ۲۰ و الجامع الصحيح ج ۴ ص ۱۲۲ و ج ۵ ص ۴۰۸ و مسند أحمد ج ۲ ص ۸ و ۵۲ و ۸۰ و ۸۶ و ۱۲۳ و ۱۴۰ و مسند الطيالسى ص ۲۵۱ و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۳۱ و ۳۲ و سنن الدارمى-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۱

- ج ۲ ص ۲۲ و المحلى ج ۷ ص ۲۹۴ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۰ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۹ و سيرة مغلطاى ص ۵۳ و معجم البلدان ج ۱ ص ۵۱۲ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۱ و ۱۲۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۰ و ۱۴۷ و ۱۴۹ و ۱۵۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۷۹ و ۷۷ و الثقات ج ۱ ص ۲۴۲ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷، و الأحكام السلطانية ص ۶۴ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۴ و ۲۵۶ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۰ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۹۴۸ و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۱ و ۳۷۲ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۵ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۸ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۳۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۸ و ۶ و ۷ عن مسلم و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۳ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱ و الكشاف ج ۴ ص ۵۰۱ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۴ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۱ و ۳۳۳ و ۳۳۴ و الإكتفاء ج ۱ ص ۱۴۷ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۲ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۴۵ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۹ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۴ و ۲۱۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و منهاج السنة ج ۴ ص ۱۷۳ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۲ و الأموال ص ۱۵ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۶ و البحار ج ۲ ص ۱۵۹ و ۱۶۵ و ۱۶۹ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۳ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۸ عن بعض من تقدم، و عن سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و ابن مردويه و النسائى و ابن أبى حاتم، و ابن إسحاق، و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۱۰ و مسند أبى يعلى ج ۱۰ ص ۲۰۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۲

زاد البعض: أن أهل التأويل قالوا: «وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء، حتى أنزل اللّه: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ .. «۱».

عدد النخلات المقطوعة؟!

قال ابن شهرآشوب: «أمر بقطع نخلات ..

إلى أن قال: ثم أمسك عن قطعها بمقالهم، و اصطلحوا أن يخرجوا» «۲».

و قيل: أحرقوا نخلة، و قطعوا نخلة، و قيل: كان جميع ما قطعوا و أحرقوا ست نخلات» «۳».

و نحن نشك فى أن يكونوا قد قطعوا هذا العدد القليل من النخل، أو أحرقوه، فإن قطع نخلة واحدة، و حتى ست نخلات، لا يوجب خضوع بنى النضير، و قبولهم بالجلاء، و خزى الفاسقين بصورة عامة، كما نصت عليه الآية الكريمة.

كما أنه لا يوجب نزول آية قرآنية تتحدث عن هذا الأمر، و تخلده كأسلوب ناجح فى إرعاب العدو و إرهابه ..

فإنه لا بد أن يكون القطع قد بلغ حدا جعلهم يجنحون إلى الاستسلام،

(۱) راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۰ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و تعليقات محمد فؤاد عبد الباقى على سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۹۴۹.

(۲) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره، و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۶ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۶ و القول الأول ذكره فى الأحكام السلطانية ص ۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۳

و القبول بما يريده الرسول، ثم نزلت آية كريمة تتحدث عن هذا الموضوع، و تفصل الأمر فيه، و تحسم فيه النزاع.

تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل:

اشارة

و جزعوا على قطع العجوة، فجعل سلام بن مشكم يقول: يا حيى العذق خير من العجوة، يغرس فلا يطعم ثلاثين سنة، يقطع.

فأرسل حيى إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: يا محمد، إنك كنت تنهى عن الفساد، لم تقطع النخل؟ نحن نخرج من بلادك.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لا أقبله اليوم الخ .. «۱»، «و كانت النخلة ثمن و صيف، و أحب إليهم من وصيف» «۲».

و جاء فى نص آخر: أن الذى حرق نخلهم و قطعها عبد اللّه بن سلام، و عبد الرحمن بن كعب، أبو ليلى الحرانى، من أهل بدر، فقطع أبو ليلى العجوة، و قطع ابن سلام اللون، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لم قطعتم العجوة؟!

قال أبو ليلى: يا رسول اللّه، كانت العجوة أحرق لهم و أغيظ، فنزل:

ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها .. «۳» الآية ..

فاللينة: ألوان النخل.

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۳.

(۲) البحار ج ۲۰ ص ۱۶۵ عن الكازرونى و غيره، و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و إرشاد الساری ج ۷ ص ۳۷۵.

(۳) الآية ۵ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۴

و القائمة على أصولها: العجوة.

فنادوا: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد الخ .. «۱».

و صرحت بعض النصوص: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد استعمل ابن سلام، و أبا ليلى المازنى على قطع النخل «۲»، أو أمرهما «۳»، أو أشار إليهما بذلك «۴».

و أضاف الديار بكرى قوله: «أما أبو ليلى فكان يقطع أجود أنواع التمر، و هى العجوة، و يقول: قطع العجوة أشد عليهم.

و أما عبد اللّه بن سلام، فكان يقطع أردأ أنواع التمر، و هو تمر يقال له:

اللون، و يقول: إنى أعلم: أن اللّه سيجعلها للمسلمين الخ ..» «۵».

فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب، و ضربن الخدود، و دعون بالويل؛ فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: ما لهن؟!

---

(۱) الثقات ج ۱ ص ۲۴۲ و راجع التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۳ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۵ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۵.

(۲) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۱ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۵ و الإصابة ج ۲ ص ۴۲۰.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ عن روضة الأحباب و راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۲.

(۴) حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۵.

(۵) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۲ و ليراجع:

الكشاف ج ۴ ص ۵۰۱ و ۵۰۲ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۳ لكنهما لم يسميا الرجلين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۵

فقيل: يجزعن على قطع العجوة.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: إن مثل العجوة جزع عليه.

إلى أن قال: فلما صحن صاح بهن أبو رافع: إن قطعت العجوة ههنا، فإن لنا بخيبر عجوة.

قالت عجوز منهن: خيبر يصنع بها مثل هذا.

فقال أبو رافع: فض اللّه فاك، إن حلفائى بخيبر عشرة آلاف مقاتل؛ فبلغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فتبسم.

و نحن نسجل هنا الأمور التالية:

۱- لماذا ابن سلام؟!

إننا نجد: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد استعمل ابن سلام- و هو كان من اليهود، من علمائهم- مع ذلك الرجل البدرى على قطع نخل يهود بنى النضير .. و من الطبيعى أن يكون لذلك أثر ظاهر فى بث اليأس فى نفوسهم، و فى إذلالهم و خزيهم، و يساهم فى كسر شوكتهم، و يثير فيهم المزيد من الحنق، و الغيظ و الألم، و هم ذوو الغطرسة، و العنجهية و الخيلاء، كما سيأتى توضيحه فى موضعه إن شاء اللّه تعالى.

۲- شكوك تصل إلى حد التهمة:

اشارة

و نلاحظ هنا: كيف أن ابن سلام قد اختار أردأ أنواع التمر، على الرغم من أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر بقطع النخل بصورة مطلقة، و لم يقيد بشىء، و رغم أنه قد كان من الواضح: أن الهدف من هذا الإجراء هو الضغط على هؤلاء القوم، و إغاظتهم، و إذلالهم، و ذلك إنما يتحقق بقطع ما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۶

له أثر ظاهر فى ذلك، كما فهمه و عمل به ذلك الرجل البدرى، الذى جعله الرسول إلى جانب ابن سلام.

و لا نريد أن نسترسل فى شكوكنا حول ابن سلام هذا و نواياه؛ فنتهمه بالتعاطف مع اليهود الذين كان فى وقت ما أحد علمائهم و كبرائهم، حسبما يذكره التاريخ عنه.

و لعل هذه الشكوك تجد لها أكثر من مؤيد و شاهد فيما ينقل عن هذا الرجل من مواقف، و أقوال، و اتجاهات، و أحوال، و لا سيما بعد وفاة الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

و لسنا هنا فى صدد عرض ذلك و استقصائه، فلنكف عنان القلم- إذا- إلى ما هو أهم، و نفعه أعم و أتم.

البعض لم يفهم الآية:

و من العجيب هنا قول البعض: «لما أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بقطع النخيل، و إحراقها ترددوا فى ذلك، فمنهم الفاعل، و منهم الناهى، و رأوه من الفساد و عيّرهم اليهود بذلك، فنزل القرآن العظيم بتصديق من نهى، و تحليل من فعل، فقال تعالى: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ «۱».

مع أن الآية ظاهرة الدلالة فى تأييد أولئك الذين امتثلوا أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و أن أمره إنما كان بإذن اللّه، و ليس من عند نفسه.

---

(۱) بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۷

فالآية فى الحقيقة قد جاءت لتقريع و تأنيب المخالفين لأمر الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله». لكن هذا الرجل قد عكس الآية فى مفادها و مدلولها، و لم يلتفت إلى المراد منها.

۳- الحرق أم القطع؟!

اشارة

و بعد .. فإننا نجد النصوص التاريخية تكاد تكون مجمعة على أنه «صلى اللّه على و آله» قد حرق النخيل. و لكن الآية الكريمة التى نزلت فى هذه المناسبة لم تشر إلى ذلك أصلا، و إنما سجلت القطع فقط. فلربما يكون الأمر منه «صلى اللّه عليه و آله» قد صدر بالقطع دون الحرق، فكان الحرق من بعض المسلمين، اجتهادا منهم، و لعله لم يكن ثمة حرق أصلا، و اللّه أعلم.

الحكم الفقهى فى قطع الأشجار و حرقها:

لقد أفتى عدد من الفقهاء بحرمة قطع الأشجار فى الحرب، إلا فى حال الضرورة «۱». و حكم كثير من الفقهاء بالكراهة «۲».

---

(۱) راجع: المهذب لابن البراج (مطبوع ضمن الينابيع الفقهية) كتاب الجهاد ص ۸۸ مقيدا للأشجار ب «المثمرة» و فى منتهى المطلب ج ۲ ص ۹۰۹ عن أحمد، و قد حكى القول بعدم الجواز عن الليث بن سعد، و أبى ثور، و الأوزاعى فراجع: فتح البارى ج ۵ ص ۷ و الجامع الصحيح ج ۴ ص ۱۲۲ و فقه السيرة ص ۲۸۰ و عن شرح النووى على صحيح مسلم ج ۱۲ ص ۵۰.

(۲) تذكرة الفقهاء ج ۱ ص ۴۱۲ و ۴۱۳ و راجع: السرائر ص ۱۵۷ و تحرير الأحكام ج ۱ ص ۱۳۵ و شرائع الإسلام ج ۱ ص ۳۱۲ و القواعد (المطبوع مع الإيضاح) ج ۱ ص ۳۵۷ و الجامع لأحكام الشرائع ص ۲۳۶ و منتهى المطلب ج ۲ ص ۹۰۹-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۸

و قيد البعض بصورة ما لو رجى صيرورته للمسلمين، و كان مما يقتات به «۱».

حرق النخيل، و الفساد فى الأرض:

و قد عرفنا فى ما تقدم: أن التاريخ يؤكد على أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى أمر بحرق نخل بنى النضير، أو قطعه. و قد تحدث القرآن عن القطع هذا بأسلوب الرضا و القبول، حسبما تقدم.

و روى أيضا: أنهم قد قطعوا الشجر و النخل بالطائف، بالإضافة إلى قطع النخل بخيبر، و روى أيضا قطع شجر بنى المصطلق و إحراقه «۲».

و عن أسامة بن زيد قال: بعثنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى قرية يقال لها: «أبنى».

فقال: «ائت أبنى صباحا ثم حرق». أى بيوتهم و زروعهم، و لم يرد تحريق أهلها «۳».

- و الوسيلة (المطبوع ضمن الجوامع الفقهية) ص ۶۹۶ و الخراج لأبى يوسف ص ۲۱۰ و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۳۱ عن الأوزاعى و المبسوط للشيخ الطوسى رحمه اللّه ج ۲ ص ۱۱ و عون المعبود ج ۷ ص ۲۷۵ و مجمع الأنهر ج ۱ ص ۵۹۰.

(۱) الروض الأنف ج ۳ ص ۳۵۰.

(۲) راجع: تذكرة الفقهاء ج ۱ ص ۴۱۲ و راجع أيضا: السرائر ص ۱۵۷ و الجواهر ج ۲۱ ص ۶۷ و منتهى المطلب ج ۲ ص ۹۰۹ و المبسوط للشيخ الطوسى ج ۲ ص ۱۱ و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۳۲.

(۳) سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۹۴۸ و هامشه لمحمد فؤاد عبد الباقى، و المبسوط للسرخسى ج ۱۰ ص ۳۱ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۳۸ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و مسند أحمد ج ۵ ص ۲۰۵ و ۲۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۴۹

و فى مجال آخر: فإنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر بحرق مسجد الضرار و هدمه «۱».

و أمر «صلى اللّه عليه و آله» بتحريق متاع الغال «۲».

و روى أنه «صلى اللّه عليه و آله» هم بحرق بيوت تاركى صلاة الجماعة «۳».

و قد بلغه «صلى اللّه عليه و آله»: أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى غزوة تبوك فبعث إليهم نفرا، و أمرهم أن يحرقوا عليهم بيت سويلم «۴».

و بعد ما تقدم .. فإن السؤال الذى يتطلب منا الإجابة هنا هو: أنه إذا

---

(۱) راجع: زاد المعاد ج ۳ ص ۱۷ و التنبيه و الإشراف ص ۲۳۷ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۰۹.

(۲) زاد المعاد ج ۲ ص ۶۶ و سنن الدارمى ج ۲ ص ۲۳۱ و الجامع الصحيح ج ۴ ص ۶۱ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۶۹ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۲.

(۳) زاد المعاد ج ۳ ص ۱۷ و السنن الكبرى ج ۳ ص ۵۵ و ۵۶ و سنن أبى داود ج ۱ ص ۱۵۰ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۲۹۲ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۹۲ و ۴۰۲ و ۴۲۲ و ۴۴۹ و ۴۵۰ و ج ۲ ص ۲۲۴ و ۲۹۲ و ۲۱۴ و ۳۱۹ و ۳۶۷ و ۳۷۶ و ۳۷۷ و ۴۱۶ و ۴۲۴ و ۴۷۲ و ۴۷۹ و ۵۳۱ و ۵۳۹ و ج ۵ ص ۲۰۶ و صحيح مسلم ج ۲ ص ۱۲۳ و ۱۲۴ و فيض البارى ج ۲ ص ۱۹۱ و صحيح البخارى ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹ و ج ۲ ص ۴۰ و ج ۴ ص ۱۵۹ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۸۹ و ۹۰ و المعجم الصغير ج ۲ ص ۵۷ و ج ۱ ص ۱۷۲. و الجامع

الصحيح ج ۱ ص ۴۲۲ و سنن النسائى ج ۲ ص ۱۰۷ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۲۹۶ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالک) ج ۱ ص ۱۵۰.

(۴) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۶۰ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۰

كان رسول اللّه قد أمر بذلک كله، أو همّ به؛ فكيف نوفق بين أمره هذا و بين فتوى الفقهاء بالحرمة، أو بالكراهة، حسبما تقدم؟!!.

بل لقد ورد: أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان حين يرسل سرية، يوصيهم بأن لا يقطعوا شجرا إلا أن يضطروا إليها «۱».

و عن ثوبان: أنه سمع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول: «من قتل صغيرا، أو كبيرا، أو أحرق نخلا، أو قطع شجرة مثمرة، أو ذبح شاة لإهابها، لم يرجع كفافا» «۲».

أضف إلى ذلک كله: أن اليهود أنفسهم قد اعترضوا على النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأنه ينهى عن الفساد، فلم يقطع النخل؟! و قد تقدم ذلک ..

جواب السهيلى لا يصح:

فقد يقال: فى مقام الإجابة على ذلک استنادا إلى رواية ثوبان المتقدمة:

أن المنهى عنه هو قطع الشجر المثمر، و على حد تعبير السهيلى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» إنما أحرق ما ليس بقوت للناس.

قال السهيلى: «لينة: ألوان التمر، ما عدا العجوة، و البرنى؛ ففى هذه الآية: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت

---

(۱) الكافى ج ۵ ص ۳۰ و البحار ج ۱۹ ص ۱۷۷ و ۱۹۹ و تذكرة الفقهاء ج ۱ ص ۴۱۲ و ۴۱۳ و منتهى المطلب ج ۲ ص ۹۰۸ و ۹۰۹ و جواهر الكلام ج ۲۱ ص ۶۶ و الوسائل ج ۱۱ ص ۴۳ و ۴۴ و المحاسن للبرقى ص ۳۵۵ و فى هامشه عن الوسائل، و عن التهذيب ج ۲ ص ۴۶.

(۲) مسند أحمد ج ۵ ص ۲۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۱

للناس، و كانوا يقتاتون العجوة .. (ثم ذكر أهمية العجوة و البرنى، ثم قال):

فى قوله تعالى: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ .. «۱» (و لم يقل: من نخلة، على العموم) تنبيه على كراهة قطع ما يقتات، و يغذو من شجر العدو. إذا رجى أن يصير إلى المسلمين.

و قد كان الصديق (رض) يوصى الجيوش ألا يقطعوا شجرا مثمرا.

و أخذ بذلک الأوزاعى؛ فإما تأولوا حديث بنى النضير، و إما رأوه خالصا للنبى «عليه السلام» «۲».

و لكننا لا نوافق السهيلى على ما قاله، و ذلک لما يلى:

ألف: بالنسبة لما ذكره فى معنى اللينة، نجد كثيرا من أهل اللغة لا يوافقونه على ما ذكره فى معناها، فقد:

قال الراغب و غيره: «ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ..: أى من نخلة ناعمة، و مخرجه مخرج فعلة، نحو حنطة، و لا يختص بنوع منه دون نوع.

و كذا نقل عن ابن زيد، و عمرو بن ميمون، و مجاهد» «۳».

و قال: «سعيد بن جبير، و مالک، و الخليل، و يزيد بن رومان، و رجحه النووى، و كذا قال الفراء و الزهرى، و عكرمة، و قتادة، و ابن عباس، و نسب إلى أهل المدينة: اللينة كل شىء من النخل سوى العجوة؛ فهو من اللين،

(۱) الآية ۵ من سورة الحشر.

(۲) الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۰ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶ و ۲۵۷ و أشار إلى أن العجوة كانت قوت بنى النضير فى السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۶.

(۳) المفردات للراغب ص ۲۵۷ و راجع: التبيان ج ۹ ص ۵۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۲

واحدته لينة» «۱».

و قال الزبيدى: كذا عن ابن عباس و مقاتل، و عن الحسن، و مجاهد و عطية: «اللينة- بالكسر-: النخل» «۲».

و قيل: هى كل الأشجار «۳».

(۱) راجع: لسان العرب ج ۱۳ ص ۳۹۳ و ۳۹۵، و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۷ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۲ و شرح المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و التبيان ج ۹ ص ۵۵۹ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۲ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۷، و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۱ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۸ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۸ و يلاحظ: أن المذكورين فى المتن قد ذكرت أسماؤهم فى بعض المصادر دون بعض.

(۲) راجع: تاج العروس ج ۹ ص ۳۳۸ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۷ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۸ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۶ و إرشاد السارى ج ۷ ص ۳۷۵ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۲ و ۲۳ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۹ و ۱۹۷ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۹ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۴۰۸ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۳ و الأحكام السلطانية ص ۶۵.

(۳) شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۸ و الأحكام السلطانية ص ۶۵. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۹ ۱۵۳ جواب السهيلى لا يصح: ..... ص : ۱۵۰ و قال آخر، و نسب ذلك إلى مجاهد، و عطية: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ «۲»:

أى من نخل، و النخل كله، ما عدا البرنى «۳».

و عن مقاتل، هى: «ضرب من النخل يقال لتمرها: اللون، و هى شديدة الصفرة، يرى نواها من خارج، تغيب فيها الأضراس، و كانت من أجود تمرهم، و أحبها إليهم، و كانت النخلة الواحدة ثمن وصيف، و أحب إليهم من وصيف؛ فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم» «۴».

و قيل: هى الدقل «۵»، إلى غير ذلك من أقوال.

(۱) عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۸ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۱ عنه و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۹ و الأحكام السلطانية ص ۶۵ و التبيان ج ۹ ص ۵۵۹ و مدارك التنزيل بهامش لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۳ و غرائب القرآن مطبوع بهامشه ج ۲۸ ص ۳۷ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۸ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۳ و الكشاف ج ۴ ص ۵۰۰.

(۲) الآية ۵ من سورة الحشر.

(۳) الدر النظيم فى لغات القرآن الكريم ص ۲۰۷ و راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ عن مجاهد و عطية.

(۴) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۱ و إرشاد السارى ج ۷ ص ۳۷۵ و راجع: الأحكام السلطانية ص ۶۴.

(۵) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۷۶۹ و الدقل: نوع من التمر، قيل: هو أردأ أنواعه. راجع: لسان العرب ج ۱۱ ص ۲۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۴

ب: قولهم: إنه قطع اللين و ترك العجوة، لا تؤيده النصوص التاريخية.

فقد قال دحلان: «.. فقطع لهم نخل يسمى: «العجوة»، و آخر يسمى:

«اللين»، و كان ذلك أحرق لقلوبهم؛ لأن ذلك خير أموالهم؛ فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب، و ضربن الخدود، و دعون بالويل».

و كذا قال غيره «۱».

زاد الحلبى قوله: و كانت العجوة خير أموال بنى النضير لأنهم كانوا يقتاتونه «۲».

و عن الماوردى: و كانت العجوة أصل الإناث كلها، فلذلك شق على اليهود قطعها «۳».

و عن الإمام الصادق «عليه السلام» فى تفسير اللين: أنها العجوة خاصة «۴».

و تقدم: أن أبا ليلى قطع العجوة، و أن ابن سلام قطع اللون، و تقدم أنهم جزعوا على قطع العجوة، فراجع ما جاء تحت عنوان «تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل».

ج: و لو قبلنا تفسير السهيلى لكلمة «لينة» فإن ما ذكره لا يحل الإشكال؛ ما دام أنه كان ينهى سراياه عن قطع مطلق الشجر، فكان يقول لهم: «و لا تقطعوا شجرا»، و لا يختص ذلك بالشجر الذى يقتات منه، و لا

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱. و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۶.

(۳) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۹.

(۴) فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۷ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۹ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۸ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۵

بالشجر المثمر ..

د: و لو قبلنا أيضا أن المراد هو خصوص ما يقتات منه، فإن ما عدا العجوة و البرنى كان أيضا مما يقتات به، و يؤكل .. غاية الأمر أن جودة ثمره لم تكن فى مستواهما و إنما هو رديء بالنسبة إليهما.

ه: و لو قبلنا كل ما ذكره السهيلى فإننا نقول: إن قوله بكراهة قطع الشجر فى صورة ما لو رجى أن يصير للمسلمين، فى غير محله؛ فإن النهى عن قطع الشجر مطلق، و لم يقيد بصورة الرجاء المذكور.

نعم، هو قد جاء على لسان الحبر اليهودى عبد اللّه بن سلام، و لم يعلم من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أنه قبله و رضيه.

و: و أما قوله، إن الأوزاعى و أبا بكر: قد تأوّلا حديث بنى النضير، أو أنهما رأيا أنه مختص برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حيث منعا من قطع الشجر المثمر مطلقا. فليس فى محله أيضا؛ فإنهما قد فهما ذلك من كلامه «صلى اللّه عليه و آله» فى نهيه عن قطع الشجر، فحكما بمقتضاه، و لم يخصصا حكمهما هذا بشخص و لا بشيء، و إنما هما قد وجدا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد اضطر إلى قطع شجر بنى النضير، فأجازا ذلك للضرورة؛ فإن قطع الشجر لأجل الضرورة مما رخص به النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى نفس وصاياه

لسراياه، حسبما ألمحنا إليه «۱».

و إذا .. فهما لم يريا أن ذلك من الأحكام المختصة به «صلى اللّه عليه و آله».

---

(۱) قد تقدم ما يفيد فى ذلك و راجع أيضا: ج ۳ من هذا الكتاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۶

ضرورة قطع الأشجار و حرقها:

لقد نزل القرآن ليرد على الذين عابوا قطع الأشجار، و ليؤكد على أن ذلك كان بإذن من اللّه سبحانه، تماما كما كان ترك ما ترك منها بإذن اللّه تعالى ..

إذا، فلا بد لنا من التعرف على السر الكامن وراء تجويز هذا العمل، و صيرورته مقبولا، بعد أن كان مرفوضا، و مأذونا به بعد أن كان ممنوعا عنه.

فنقول:

إن الذى يبدو لنا هو: أن بنى النضير أهل الزهو و الخيلاء، و العزة «۱» كانوا يحسون فى أنفسهم شيئا من القوة، و المنعة فى قبال المسلمين، و يجدون:

أن بإمكانهم مواجهة التحدى، فيما لو أتيح لهم إطالة أمد المواجهة، حيث يمكنهم أن يجدوا الفرصة لإقناع حلفائهم بمعونتهم، و لا سيما إذا تحرك أهل خيبر الذين كان لديهم العدة و العدد الكثير، حسبما تقدم فى كلمات سلام بن مشكم. كما أن ابن أبى و من معه قد يراجعون حساباتهم، و يفون لهم بما وعدوهم به من النصرة و العون.

و لا أقل من أن يتمكن ابن أبى و أتباعه من إحداث بلبلة داخلية، من شأنها إرباك المسلمين و زعزعة ثباتهم من الداخل.

و قد يمكن لقريش، و لمن يحالفها من قبائل العرب، أن يتحركوا أيضا لحسم الموقف لصالح بنى النضير، و صالحهم بصورة عامة.

---

(۱) سيتضح ذلك حين الكلام عن كونهم فى قومهم بمنزلة بنى المغيرة فى قريش، فانتظر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۷

و لا أقل من أن يتمكن يهود بنى النضير من الاحتفاظ بمواقعهم، و بأرضهم و ديارهم، حين يجد المسلمون: أن مواصلة التحدى لهم لن تجدى نفعا، ما داموا قادرين على الاحتماء بحصونهم، و الدفاع عنها مدة طويلة، فيتراجعون عن حربهم، و يتركونهم و شأنهم، من أجل التفرغ إلى ما هو أهم، و أولى.

و إذا كانت قضية بنى النضير قد حصلت بعد وقعة أحد- و إن كنا لم نرتض ذلك- فلا بد أن يكون اليهود قد فكروا: أن محمدا «صلى اللّه عليه و آله» و أصحابه قد أصبحوا الآن فى موقف الضعف و التراجع. و لعل فى تسويف الوقت معهم، فى الوقت الذى يحس فيه المسلمون بالفشل و بالكارثة، نتيجة لما نزل بهم فى أحد، لسوف يجعلهم يفكرون فى انتهاج سبيل السلامة، و الانسحاب من موقع التحدى إلى موقع المساومة، و من سبيل الحرب إلى سبيل السلم، و توفير الأمن، و مراعاة جانب هؤلاء و أولئك، و عدم إثارة العداوات الكبيرة داخل بلادهم، و فى قلب مواضعهم و مواقعهم.

و أما إذا كانت قضية بنى النضير قد حصلت قبل ذلك، و بعد ستة أشهر من حرب بدر، حسبما قويناه، استنادا إلى العديد من الدلائل و الشواهد:

فلعل يهود بنى النضير قد فكروا: أن المسلمين لسوف لا يفرطون بهذا النصر الكبير الذى حققوه، و لعلهم على استعداد لمداراة هؤلاء و

أولئك فى سبيل الحفاظ على صلابة الموقف و ثباته، و لسوف لا يقدمون على أى عمل من شأنه إحداث خلخلة فى بنية مجتمعهم. و لعل اليهود يعتقدون: أن حرب بدر كانت أمرا اتفاقيا صنعته الصدفة، و الحظ السيء للمشركين، و ليس نتيجة قدرات حقيقية كانت لدى المسلمين. و إذا فليس ثمة ما

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۸

يخيف، و ليس هنالك ما يثير قلقا.

أما هم- أعنى بنى النضير- فيجدون فى أنفسهم القوة و المنعة، و لهم حلفاء كثيرون، و كثيرون جدا.

و بعد كل ما تقدم، فقد جاء موقف الإسلام، المتمثل فى موقف رسوله الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»، فى دقته، و فى ثاقب بصيرته- قد جاء- على خلاف ما يتوقعون، و بغير ما يريدون و يشتهون.

فقد رأى المسلمون، من خلال الموقف النبوى الحازم و القوى: أن النصر فى بدر، و كذلك الضربة القاسية التى نزلت فى أحد، لا بد أن تعمق فيهم إيمانهم، و ارتباطهم باللّه سبحانه، و تقوى من صمودهم، و تشد من عزائمهم. و قد جعلهم هذا النصر، و تلك المأساة يشعرون بمسؤولية أكبر تجاه الرسالة، حيث أصبحوا فى موقع التحدى السافر لكل مظاهر الظلم و الجبروت و الطغيان و مصادره.

و عليهم من الآن فصاعدا أن يطردوا من آفاقهم كل مظاهر الضعف، و أن ينقوا أجواءهم من جميع عوامل التشر ذم و التشتت، و أن يبعدوا عن واقعهم و عن علاقاتهم، جميع مصادر الخلل، و عدم الانسجام.

فالتحدى كبير، و المسؤوليات جليلة و خطيرة، فلا بد من الاستعداد و لا بد من التصدى، بصورة أعمق، و أوثق و أوفق، ما دام أنهم قد وصلوا إلى نقطة اللارجوع، و أصبح الثمن غاليا، و هو دماء زكية، و أرواح طاهرة، و نقية، فالحفاظ على القضية، و على منجزاتها، التى دفعوا ثمنها جزء من وجودهم و من ذواتهم و أرواحهم أمر حتمى، إذ إن التخلى عنها يساوق التخلى عن الحياة و عن الوجود، و عن كل شيء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۵۹

و قد اتضح لديهم: أن أى تراجع أمام التحديات الكبيرة الراهنة، لسوف تلحقه تراجعات أعظم، و يستتبع انحسارا أكبر عن كثير من المواضع و المواقع الحساسة، لصالح كل الأعداء و الطامعين، فى منطقة العمل و الكفاح الإسلامى المقدس.

كما أن هذا التراجع و الانحسار لسوف يزيد من اشتهاء الآخرين للحصول على المزيد من المكاسب، و يضاعف من تصلبهم و شدتهم فى مواجهة المد الإسلامى العارم. و لسوف تنتعش الآمال، و تحيا الأمانى، بإضعاف هذا المد تدريجا، ثم القضاء عليه قضاء مبرما و نهائيا فى الوقت المناسب. و أما بالنسبة إلى أولئك الذين يميلون إلى الدخول فى هذا الدين الجديد، فإنهم حين يرون ضعفه، و تراجعه، و قوة خصومه و شوكتهم، لسوف يجدون فى أنفسهم المبررات الكافية للتأنى و التريث بانتظار المستجدات، و ما ستؤول إليه الأمور.

و لربما يتشجع الكثيرون أيضا على نقض تحالفاتهم، التى كانوا قد عقدوها مع المسلمين ما دام أن ذلك لن يستتبع خطرا، و لا يصطدم بصعوبات ذات بال.

كما أن الآخرين الذين يعيشون حالة الترقب سوف لا يجدون فى أنفسهم حاجة لعقد تحالفات و معاهدات مع المسلمين فى هذه الظروف المستجدة.

و أخيرا .. فإننا نضيف إلى كل ما تقدم: أن من الطبيعى أن يكون خوض معركة كبيرة مع اليهود- و ربما مع كثير من حلفائهم، الذين قد يتشجعون لمساعدة اليهود بعد طول المدة، و بعد إحساسهم بقوتهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶۰

و صلابتهم فى وجه الحصار، و بضعف فى موقف المسلمين- سوف يوجب أن تلحق بالمسلمين خسائر كبيرة، مادية و بشرية، لو

أمكن توفيرها لما هو أهم لكان أجدر و أولى.

فإذا استطاع النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمون كسر عنجهية بنى النضير و غزوهم قبل أن يستفحل الأمر، و إفهامهم- و من هو على مثل رأيهم- مدى التصميم على المواجهة و التحدى، حتى يفقدوا الأمل بجدوى المقاومة، و ليفهموا- بصورة عملية- أنهم إذا كانوا يطمعون بالبقاء فى أرضهم، فإن عليهم أن يقبلوا بها أرضا محروقة، جرداء، ليس فيها أى أثر للحياة، و لا تستطيع أن توفر لهم حتى لقمة العيش التى لا بد منها- هذا فيما لو قدر لهم أن يحتفظوا بالحياة، و يخرجوا أو بعضهم سالمين من هذه الحرب التى جروها على أنفسهم-.

نعم .. إنه «صلى اللّه عليه و آله» إذا استطاع ذلك، فإنه يكون قد وفر على نفسه، و على الإسلام و المسلمين الكثير من المتاعب، و المصاعب، و المصائب، التى ألمحنا إليها.

و هذا هو ما اختاره رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فعلا، و بادر إليه عملا. فكان قطع النخيل و حرقه يمثل قطع آخر آمالهم، و تدمير كل أمانيهم، و غاية ذلهم و خزيهم.

و رأوا حينئذ: أن لا فائدة من الاستمرار فى اللجاج و التحدى إلا تكبد المزيد من الخسائر، و مواجهة الكثير من النكسات.

و هذا بالذات، هو ما يفسر لنا قوله تعالى فى تعليل إذن اللّه سبحانه بقطع النخل: .. وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶۱

فقد كان قطع النخل ضروريا و لازما، من أجل قطع آمال بنى النضير، و كل آمال غيرهم أيضا، و خزيهم و خزى سائر حلفائهم، و على رأسهم ابن أبى، و من معهم من المنافقين، ثم كل من يرقب الساحة، و يطمع فى أن يستفيد من تحولاتها فى تحقيق مآربه ضد الإسلام، و المسلمين.

و من هنا نعرف السر فى قوله تعالى: .. وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ بدل:

«الكافرين»، من أجل أن يشمل الخزى كل من يسوءه ما جرى لبنى النضير، حتى أولئك الذين يتظاهرون بالإسلام، أو بالمودة الكاذبة للمسلمين.

و هذه ما يفسر لنا: الاهتمام الكبير الذى أولاه سبحانه لموضوع قطع النخل، حتى لقد خلده فى آية قرآنية كريمة، فإن القضية كانت أكبر من بنى النضير، و أخطر، حسبما أوضحناه.

المهاجرون!! و قطع النخل:

بقى علينا أن نشير هنا إلى أن البعض يذكر: أن المهاجرين هم الذين اختلفوا فيما بينهم حول قطع النخل.

فعن مجاهد، قال: نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل، قالوا:

إنما هى مغانم للمسلمين «۱».

و نلاحظ: أن هذا بالذات كان رأى عبد اللّه بن سلام، الذى كان يهوديا

---

(۱) جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۳ و ۲۲ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۳ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۸ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد و ابن المنذر، و البيهقى فى الدلائل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶۲

فأسلم، رغم أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان قد أمره بقطع النخل، فعلل اختياره للردىء بذلك كما ذكرنا.

و لنا أن نتساءل هنا:

لما ذا المهاجرون هم الذين ينهون عن ذلك؟!

و لما ذا لم يكن فيهم أحد من الأنصار؟

سوى ابن سلام!!

و ربما رجل آخر أيضا!!

فهل أدرك المهاجرون أمرا عجز الأنصار عن إدراكه؟! أم أنهم قد اتخذوا هذا الموقف انطلاقا من مصالح رأوا أنها لربما تفوتهم، لو استمر الأمر على النحو الذى خطط له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

أم أنه قد كانت ثمة خلفيات أخرى، لم يستطع التاريخ أن يفصح لنا عنها، لسبب، أو لآخر؟!

و إذا كانت النصوص كلها تقريبا تؤكد على: أن الرسول الأعظم نفسه هو الذى أمر بقطع نخلهم «۱» .. فإن معنى ذلك هو: أن اعتراض هذا الفريق من المهاجرين قد كان متوجها إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالذات.

و أن الفريق الآخر منهم إنما كان ينفذ أمره «صلى اللّه عليه و آله».

و لا نملك هنا إلا التذكير بأنه قد سبق لبعض المهاجرين: أن اعترضوا على رسول اللّه، حينما أراد قتل أسرى بدر، و أصروا عليه فى ترك ذلك، حتى نزل القرآن مصوّبا رأيه «صلى اللّه عليه و آله».

---

(۱) قد تقدمت المصادر لذلك.

و لكنهم لم يقنعهم ذلك، رغم أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أخبرهم: أنه سيقتل بعدتهم فيما بعد، لو تم إطلاق سراحهم .. و هكذا كان.

و قد سجلنا بعض الشكوك و التساؤلات حول موقف بعض المهاجرين فى حرب أحد «۱» فلا نعيد.

و مهما يكن من أمر، فإننا لا نستطيع أن نفهم موقف هذا الفريق من المهاجرين هنا، و كذلك موقف بعضهم فى بدر، و أحد، بصورة ساذجة و لا أن نفسره بطريقة سطحية، ما دام أن الدلائل تشير إلى خلفيات، و دوافع غير معلنة، و لا ظاهرة، يؤثر الوقوف عليها فى استجلاء كثير من الحقائق، و الوقوف على بواطن و كوامن كثيرة، و لربما على مبهمات خطيرة، تؤثر على فهمنا العام لكثير من المواقف فى حياة العديد من الشخصيات التى كان لها دور مرموق فى كثير من الأحداث الخطيرة فى التأريخ الإسلامى.

و خلاصة الأمر: أن البحث الموضوعى يقضى بتقصى النصوص و المواقف و استنطاقها، لمعرفة مدى تعاطف بعض المهاجرين مع قومهم المكيين، و مع يهود المدينة، ليمكن لنا تقييم مواقفهم، و فهم معانى كلماتهم، و إشاراتها و مراميها، بصورة أدق و أعمق، و ليكون تصورنا أقرب إلى الواقع، و أكثر شمولية، و أتم و أوفى.

و فى إشارة خاطفة نذكّر: بأننا قد تحدثنا عن أن المهاجرين كانوا يشكلون تكتلا مستقلا، له تطلعاته و طموحاته، و له فكره المتميز فى آفاقه و فى خصائصه، و لا سيما فى ما يرتبط بالسياسة و الحكم و التخطيط له.

---

(۱) راجع هذا الكتاب ج ۸ عنوان: من مشاهد الحرب.

أما الأنصار، فلم يكونوا كذلك، بل كانوا فريقا آخر، يحرم من اهتمامات الحكام، و يستثنى من مختلف الامتيازات، إلا حيث يحرج الحاكم، و لا يجد من ذلك بدا و لا مناصا.

و قد روى عن الخليفة الثانى، عمر بن الخطاب قوله:

«أوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم، و يحفظ لهم حرمتهم. و أوصيه بالأنصار، الذين تبوؤوا الدار و الإيمان من قبلهم: أن يقبل من محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم» «۱».

فيلاحظ: الفرق النوعى فيما يطلبه ثانى الخلفاء ممن يلى الأمر بعده بالنسبة لهؤلاء، و بالنسبة لأولئك.

و على هذا الأساس، و من منطلق هذه الفوارق، جاء قول ابن أبى ليلى:

الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، و الذين تبوؤوا الدار و الإيمان، و الذين جاؤوا من بعدهم: فاجهد: ألا تخرج من هذه المنازل.

و قال بعضهم: كن شمسا، فإن لم تستطع، فكن قمرا فإن لم تستطع فكن كوكبا مضيئا؛ فإن لم تستطع فكن كوكبا صغيرا، و من جهة النور لا تنقطع.

و معنى هذا: كن مهاجريا، فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريا، فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم الخ .. «۲».

و لا ندرى من أين جاءت هذه الطبقية، و كيف قبل الناس هذا التمييز

---

(۱) فتح القدير ج ۵ ص ۲۰۲ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۲۸ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۷ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۵ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۵ عن البخارى، و ابن أبى شيبة، و ابن مردويه.

(۲) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶۵

الذى لا يقوم على تقوى اللّه، و إنما على عناوين و خصوصيات فرضتها طبيعة التحرك فى مجال نشر الدعوة و تركيزها؟ و يوضح ذلك أن عمر بن الخطاب حين خطب بالجابية قال: «و من أراد أن يسأل عن المال فليأتنى، فإن اللّه تعالى جعل له خازنا و قاسما.

ألا- و إنى بادئ بأزواج النبى «صلى اللّه عليه و آله» فمعطيهن، ثم المهاجرين الأولين، أنا و أصحابى، أخرجنا من مكة من ديارنا و أموالنا» «۱».

و مهما يكن من أمر، فإنك تجد فى كتابنا هذا إشارات و نصوصا كثيرة فى مواضع مختلفة توضح ما عانى منه الأنصار، و اختص به المهاجرون.

و استيفاء البحث فى هذا يحتاج إلى توفر تام، و تأليف مستقل.

التصويب فى الاجتهاد:

لقد استدل البعض بقوله تعالى: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ «۲» على جواز الاجتهاد، و على تصويب المجتهدين «۳».

كما و استدلوا على جواز الاجتهاد بحضرة الرسول، و على أن كل مجتهد

---

(۱) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲۰ و حول مصادر تمييز عمر بين الناس فى العطاء، و تفضيل بعضهم على بعض راجع كتابنا: «سلمان الفارسى فى مواجهة التحدى».

(۲) الآية ۵ من سورة الحشر.

(۳) فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۷ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۸ عن الماوردى، و عن الكيا الطبرى و راجع: غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ۲۸ ص ۳۷ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶۶

مصيب، بالرواية التى تقول:

إن رجلين، أحدهما كان يقطع العجوة، و الآخر اللون، فسألهما «صلى اللّه عليه و آله» فقال هذا: تركتها لرسول اللّه.

و قال هذا: قطعتها غيظا للكفار «۱».

و نقول:

إن الاستدلال بما ذكر لا يصح، و ذلك لما يلى:

۱- بالنسبة للاستدلال بالرواية على التصويب فقد قال ابن العربى:

«و هذا باطل، لأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان معهم، و لا اجتهاد مع حضور رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

۲- إن الرواية المذكورة لم تصرح بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أمضى اجتهادهما أم لا. حيث إنها ذكرت اعتذارهما للنبى «صلى اللّه عليه و آله» بهذا الشأن، فهل أيد هذا الفريق؟ أو ذاك؟ أو لم يؤيد أيا منهما؟ كل ذلك لا دليل عليه، و لا شىء يشير إليه.

۳- إنه- لو فرض أن هذا اجتهاد- فإنما هو اجتهاد بالتطبيق، فواحد يرى: أن هذا جائز، لأن فيه نكاية فى العدو، و النكاية فى العدو، و إغاظته مطلوبة منه و واجب عليه.

و ذاك يرى: أن تقوية المسلمين مطلوبة، و أن فى الاحتفاظ بالنخل تقوية

---

(۱) التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۳ و الكشاف ج ۴ ص ۵۰۱ و ۵۰۲ و قد تقدم اسم هذين الرجلين، و مصادر موقفهما هذا فليراجعه من أراد.

(۲) أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶۷

لهم، و عملا بالحكم الشرعى.

فليس ثمة اجتهاد فى حكم شرعى كلى من الأحكام الخمسة، و إنما هم مختلفون فى تشخيص موضوع الحكم الشرعى أى فيما هو المصلحة لهم، و ما فيه نكاية فى العدو.

۴- من الذى قال: إن هؤلاء الذين اختلفوا فى قطع النخل و عدمه، كانوا قد بلغوا رتبة الاجتهاد؟ فلعل أحدا منهم لم يكن قد بلغ هذه المرتبة الشريفة، و لعل أحد الفريقين قد بلغها دون الآخر، و لعل، و لعل.

۵- إنه إذا كان الرسول «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى أمر بقطع النخل، كما صرحت به النصوص المتقدمة عن مصادر كثيرة جدا، فإن الاستدلال على جواز الاجتهاد و التصويب فيه بالآية الكريمة يصبح فى غير محله، و ذلك لأن عدم القطع يصير اجتهادا فى مقابل النص، بل هو عصيان لأمر الرسول، و شك فى صواب ما يصدر منه «صلى اللّه عليه و آله».

و لعله «صلى اللّه عليه و آله» قد أمرهم بقطع نوع من النخيل، فلم يعجبهم ذلك، فعصوا الأمر.

۶- إن التصويب باطل، و لا يصح، لا عقلا، و لا شرعا، و قد تكلم الأصوليون على هذا الأمر بالتفصيل، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع المطولات «۱».

هذا الشعر لمن؟!

قال السمهودى- كما قال غيره-: «و لما حرق رسول اللّه «صلى اللّه عليه

(۱) فوائد الأصول، للشيخ الأنصارى ص ۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶۸

و آله» نخلهم، قال حسان رضى اللّه عنه يعير قريشا من أبيات:

و هان على سراة بنى لؤىحريق بالبويرة مستطير فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و لم يكن أسلم حينئذ:

أدام اللّه ذلك من صنيعو حرق فى نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزهو تعلم أى أرضينا تضير أى ستعلم أينا منها ببعد، و أى الأرضين أرضنا أو أرضكم يحصل لها الضير، أى الضرر، لأن بنى النضير إذا خرجت أضرت بما جاورها، و هو أرض الأنصار، لا أرض قريش.

و نقل ابن سيد الناس، عن أبى عمرو الشيبانى: أن الذى قال البيت المتقدم، المنسوب لحسان هو: أبو سفيان بن الحارث، و أنه لما قال:

و عز على سراة بنى لؤى، بدل: هان قال: و يروى (بالبويلة) بدل (بالبويرة) و أن المجيب له بالبيتين المتقدمين هو حسان.

و ما قدمناه هو رواية البخارى.

قال ابن سيد الناس: و ما ذكره الشيبانى أشبه.

قلت: كأنه استبعد أن يدعو أبو سفيان فى حالة كفره على أرض بنى النضير، و قد قدمنا وجهه «۱». انتهى كلام السمهودى.

و لكننا بدورنا نؤيد ما ذكره ابن سيد الناس، و ذلك لأن تفسير

(۱) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۸ و ۲۹۹ و راجع: شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۵، عن ابن سيد الناس، و الجواب عن ابن حجر و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۹ و راجع:

فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۷ و ۲۵۸ و معجم البلدان ج ۱ ص ۵۱۲ و ۵۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۶۹

السمهودى للبيت الثانى غير مفهوم، فإن حريق النخل لا يلزم منه لحوق الضرر بأراضى الأنصار.

كما أن تفسيره، الذى ذكره لا يدفع كلام ابن سيد الناس، و ذلك لأن البيت الأول من بيتى الجواب، فيه الدعاء و الطلب من اللّه أن يديم هذا الصنيع.

و ظاهره: أن ذلك الدعاء يصدر من رجل محب و موال و موافق على هذا الحريق.

كما أن من البعيد أن يكون قد وصل خبر حرق النخل إلى مكة، ثم وصل شعر حسان إليهم، و أجابوا عليه بالطلب من اللّه إدامة هذا الأمر من أجل أن تحترق أراضى الأنصار، فإن أمر بنى النضير قد فرغ منه خلال أيام.

و من جهة أخرى: فإن البيت الأول يناسبه كلمة و عز؛ لأن سراة بنى لؤى- و هم مشركو مكة- يعز عليهم حدوث هذا الحريق فى بنى النضير، و لا يهون عليهم .. إلا إذا كان يقصد بسراة بنى لؤى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و من معه.

أو كان يقصد: أن هذا الحريق لا تهتم له قريش و لا يضرها بشىء، فأجابه حسان بأن ذلك سوف يضيرهم قطعا، و لن تتضرر أرض الأنصار منه.

و مهما يكن من أمر، فإنه لم يتضح لنا وجه تقويته لأن يكون البيت الأول لحسان .. و البيتان الآخران لأبى سفيان بن الحارث ..

و لعل كلام ابن سيد الناس أولى بالقبول، و أقرب إلى اعتبارات العقول.

و أخيرا .. فقد قال العينى: فى ترجيح قول ابن سيد الناس: «يصلح للترجيح قول أبى عمرو الشيبانى، لأنه أدرى بذلك من غيره على ما لا يخفى على أحد» «۱».

(۱) عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷۱

الفصل الرابع: الجزاء الأوفى

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷۳

تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى:

قال تعالى: لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِى قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ «۱».

قد أعطت هذه الآية الشريفة تصورا متكاملا عن حالة أولئك الذين لا يملكون صفة الإيمان، حيث أرجعت هذه الحالة إلى عللها و أسبابها، و ربطتها بمناشئها الحقيقية، بصورة واضحة و دقيقة.

و لا نريد أن نستعرض هنا كل ما تعرضت له الآية تصريحا، أو تلويحا، فإن ذلك يحتاج إلى توفر تام، و تأمل و دقة و جهد، لا نجد لدينا القدرة على توفيره فعلا، و إنما نريد أن نسجل هنا حقيقة واحدة، نحسب أن الإلفات إليها يناسب ما نحن بصدده، و هى:

أن النظرة المادية للحياة، و عدم الإيمان بالآخرة، أو عدم تعمق الإيمان بها يجعل الإنسان يقيس الأمور بمقياس الربح و الخسارة فى الدنيا. و هذا- بنظره- هو الذى يعطيها القيمة، أو يفقدها إياها، و لتصبح الحياة الدنيا-

(۱) الآية ۱۴ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷۴

من ثم- هى الغاية، و هى النهاية، و هى كل شىء بالنسبة إلى هذا النوع من الناس، فإذا فقدها، فلا شىء له بعد ذلك على الإطلاق. و يصبح شخصه كفرد هو المعيار و الميزان للصلاح و الفساد، و للحسن و القبيح، و للواجب و الحرام. فهو لا يمارس شيئا و لا يرتبط بشىء إلا بمقدار ما يجر إليه نفعا، أو يدفع عنه شرا و ضرا. و تفقد الحياة الاجتماعية معناها و مغزاها، إلا فى الحدود التى تخدم وجود الفرد، و مصالحه. فهو مع الناس، و إنما لأجل نفسه، و هو وحده لا شريك له، و كل ما فى الوجود يجب أن يكون من أجله و فى خدمته. و يجب أن يضحى بكل غال و نفيس فى سبيله، فهو القيمة لكل شىء، و ليس لأى شىء آخر أية قيمة تذكر.

و على هذا، فإن جميع القيم تسقط، و يبقى هو. فلا معنى للتضحية إلا إذا كانت من الآخرين من أجله، و لا معنى للإيثار إلا إيثار الآخرين له على أنفسهم. و لا معنى للشهادة فى سبيل اللّه إلا إذا نالت الآخرين دونه، و لا معنى للحق و للباطل، و للغدر و الوفاء، و للصدق و الكذب و .. و .. الخ ..

إلا من خلال ما يجلب له نفعا، أو يدفع عنه ضرا و شرا.

و إذا كان مع الجماعة فإنه لا يشاركهم فى شىء، و لا يهمه من أمرهم شىء، بل هو يريد منهم أن يدفعوا عنه، و يموتوا من أجله و فى سبيله.

و هذا بالذات ما يفسر لنا قوله تعالى: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى «۱».

نعم .. إن قلوبهم (شتى) بكل ما لهذه الكلمة من معنى لأنهم لا

---

(۱) الآية ۱۴ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷۵

يفكرون فى شىء واحد، و إنما هم يفكرون بأشياء متباينة، و متعددة، بعددهم جميعا. فنفس كل فرد منهم تخضع لفكرين متناقضين فصاحبها يفكر فى حفظها، و بقائها، و كل من معه يفكرون فى إتلاف هذه النفس من أجل حفظ وجودهم هم دونه.

و هكذا الحال بالنسبة لنفس كل فرد منهم، و إذا فكر أحد منهم بحفظ نفوس الآخرين، فإنما ذلك حين يرى فيه ضمانة لبقائه، و حفظ نفسه هو أولا.

و ذلك يوضح لنا أيضا: السر فى أن هؤلاء لا يقاتلون المؤمنين إلا من وراء جدر، أو فى قرى محصنة، حسبما أوضحته الآية الشريفة.

و ما ذلك إلا- لأن هؤلاء لا يعقلون معنى الحياة و أسرارها، و لا حكمة الخلق و أهداف الوجود. فإن ذلك إنما جاء وفق المعايير و الأحكام العقلية و الفطرية، فهو لا يشذ عنها، و لا يختلف و لا يتخلف عن أحكامها و مقتضياتها.

و لو أنهم فكروا و أطلقوا عقولهم من عقال الهوى، لأدركوا ذلك كله، و لتغيرت نظرتهم للكون و للحياة، و لعرفوا بعضا من أسرار الخلق و الوجود، و لتبدلت المعايير و القيم التى كانت تستند إلى أوهام و خيالات، و تؤكدها و تفرضها الفطرة الخالصة عن الشوائب، و البعيدة عن تجاذب الأهواء.

إذا .. فعدم التزامهم بهدى العقل، و رفضهم الانصياع لأحكامه، هو أصل البلاء، و سبب العناء، و هو ما أكدته الآية الكريمة، التى أرجعت حالتهم التى هى غاية خزيهم و ذلهم إلى ذلك، فهى تقول: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ «۱».

---

(۱) الآية ۱۴ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷۶

اليهود و المنافقون لا ينصرون حلفاءهم:

و نلاحظ هنا: أن المعاهدات التى كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يبرمها مع اليهود، لم يظهر اليهود فيها وحدة متكاملة، بل كانوا شيعا و أحزابا. فقد عاهد «صلى اللّه عليه و آله» كل قبيلة منهم على حدة: النضير، و قينقاع، و قريظة، و كذلك الحال بالنسبة لخيبر و فدك و غير ذلك، و معنى ذلك هو أنهم كانوا فيما بينهم شيعا و أحزابا.

و يلاحظ أيضا: أن أيا من قبائلهم لم تنهض للدفاع عن القبيلة الأخرى. كما أن أحلافهم من غطفان، و من المنافقين، لم يهبوا لنصر أى من القبائل و الجماعات التى حالفوها و وعدوها النصر، و هو ما نص عليه اللّه تعالى حين قال عنهم: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ، لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ «۱» ..

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ «۲».

و قد علم معنى الآيات مما قدمناه.

و عن على «عليه السلام» أنه قال: المؤمنون بعضهم لبعض نصحاء، و إن افترقت منازلهم، و الفجرة بعضهم لبعض غششة خونة، و إن اجتمعت

---

(۱) الآيتان ۱۱ و ۱۲ من سورة الحشر.

(۲) الآية ۱۳ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷۷

أبدانهم «۱».

و كان مما قاله سلام بن مشكم لحيى بن أخطب حول وعد ابن أبى لهم بالنصر:

«ليس قول ابن أبى بشىء، إنما يريد ابن أبى: أن يورطك فى الهلكة، حتى نحارب محمدا، ثم يجلس فى بيته و يترككك. قد أراد من كعب بن أسد النصر، فأبى كعب، و قال: لا ينقضن العهد رجل من بنى قريظة و أنا حى، و إلا فإن ابن أبى قد وعد حلفاءه من بنى قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا و نقضوا العهد، و حصروا أنفسهم فى صياصيهم، و انتظروا نصرة ابن أبى، فجلس فى بيته، و سار محمد إليهم، فحصرهم حتى نزلوا على حكمه.

فابن أبى لا ينصر حلفاءه، و من كان يمنعه من الناس كلهم، و نحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الأوس فى حربهم كلها، إلى أن تقطعت حربهم، فقدم محمد فحجز بينهم. و ابن أبى لا يهودى على دين يهود، و لا على دين محمد، و لا على دين قومه، فكيف تقبل منه قولا قاله؟

قال حيى: تأبى نفسى إلا عداوة محمد و إلا قتاله ..

قال سلام: «فهو و اللّه جلاؤنا من أرضنا الخ ..» «۲».

و يلاحظ من كلام سلام: أنه كان يشك فى نوايا عبد اللّه بن أبى تجاههم.

و مما يؤكد هذه التهمة قول الواقدى بعد ذكره إرسال ابن أبى إلى قريظة يطلب منهم نصر إخوانهم من بنى النضير، و رفضهم لذلك: «فيئس ابن أبى من قريظة، و أراد أن يلحم الأمر فيما بين بنى النضير، و رسول اللّه، فلم يزل

---

(۱) الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۹ عن الديلمى.

(۲) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷۸

يرسل إلى حيى، حتى قال حيى: أنا أرسل إلى محمد أعلمه: أنا لا نخرج من دارنا و من أموالنا الخ ..» «۱». فصدق اللّه العظيم، و صدق رسوله الكريم «صلى اللّه عليه و آله»، و صدق أمير المؤمنين على «عليه الصلاة و السلام» و صدق الأئمة من ولده صلوات اللّه عليهم أجمعين.

يخربون بيوتهم بأيديهم:

هناك أقوال كثيرة فى بيان المراد من قوله تعالى عن بنى النضير:

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ «۲».

و نحن نشير هنا إلى بعضها، فنقول:

قال البعض: «يخربونها من داخل (أى ليهربوا) و يخربها المؤمنون من خارج (أى ليصلوا إليهم).

و قيل: معنى بأيديهم: بما كسبت أيديهم من نقض العهد، و أيدى المؤمنين، أى بجهادهم» «۳».

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۸.

(۲) الآية ۲ من سورة الحشر.

(۳) راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ و ۱۶۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴ و ۵ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۶ و راجع: الكشاف ج ۴ ص ۴۹۹ و القول الأول موجود فى: التبيان ج ۹ ص ۵۵۸ و كذا فى جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۰ و راجع: غرائب القرآن بهامشه ج ۲۸ ص ۳۵ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارك التنزيل بهامش نفس الصفحة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۷۹

و لعل هذا القول هو الذى أشار إليه الزجاج، حين قال: معنى تخريبها بأيدى المؤمنين: أنهم عرضوها لذلك «۱».

و كان المسلمون يخربون ما يليهم و يحرقون حتى وقع الصلح «۲».

و قال البعض: «كانوا ينظرون إلى منازلهم فيهدمونها، و ينزعون منها الخشب، ما يستحسنونها، فيحملونها على إبلهم، و يخرب المؤمنون بواقيها ..

إلى أن قال: قال ابن زيد: كانوا يقلعون العمد، و ينقضون السقف، و ينقبون الجدر، و ينزعون الخشب حتى الأوتاد، و يخربونها، حتى لا يسكنها المؤمنون، حسدا و بغضا» «۳».

و قيل: إن سبب خرابهم لبيوتهم حاجتهم إلى الخشب و الحجارة، ليسدوا بها أفواه الأزقة، و أن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها للمسلمين، و أن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب، و الساج المليح. أما المؤمنون فداعيهم

---

(۱) مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۱ عنه، و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و راجع: مدارك التنزيل (بهامش لباب التأويل) ج ۴ ص ۲۴۵ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۱ و الكشاف ج ۴ ص ۵۰۰.

(۲) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۴.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۶ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴ عن الزهرى و عروة بن الزبير، و ابن زيد و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۱ و ۲۸۰ و قول ابن زيد فى: غرائب القرآن المطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۵ و كذا فى فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸۰

إزالة متحصنهم و ممتنعهم، و أن يتسع لهم مجال الحرب «۱».

و قال القمى: «و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إذا ظهر بمقدم بيوتهم، حصنوا ما يليهم، و خربوا ما يليه، و كان الرجل ممن كان له بيت حسن خربه ..» «۲».

وثمة أقوال أخرى فى المقام، و بعضها يرجع إلى ما تقدم.

منها: قول عكرمة: إن منازلهم كانت مزخرفة، فحسدوا المسلمين أن يسكنوها، فخربوها من داخل، و خربها المسلمون من خارج «۳».

و قول آخر: إنه كلما هدم المسلمون شيئا من حصونهم، جعلوا ينقضون بيوتهم، و يخربونها ليبنوا ما هدم المسلمون «۴».

و قول ثالث: إنهم كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها، لتتسع لهم المقاتل، و جعل اليهود ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التى بعدها، فيتحصنون فيها، و يكسرون ما يليهم، و يرمون بالتى خرجوا منها أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلما كادت اليهود أن تبلغ آخر دورها، و هم ينتظرون المنافقين، حتى يئسوا منهم طلبوا

---

(۱) الكشاف ج ۴ ص ۴۹۹ و ۵۰۰ و مدارك التنزيل، مطبوع بهامش لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و راجع: غرائب القرآن بهامش جامع

البيان ج ۲۸ ص ۳۵.

(۲) تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۹ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۴ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳.

(۳) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۵ و راجع: التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۰.

(۴) فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۶ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۱ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸۱

الصلح «۱».

وثمة قول رابع: إنهم دربوا الأزقة و حصونها، فنقضوا بيوتهم، و جعلوها كالحصون على أبواب الأزقة، و كان المسلمون يخربون سائر الجوانب «۲». إلى غير ذلك من أقوال لا مجال لتتبعها و استقصائها.

نجاف الباب و وصية موسى:

تنص الروايات: على أن الرجل من بنى النضير كان يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره، فينطلق به «۳».

و قد فسر البعض هذه الظاهرة، فكتب يقول: «هدم نجاف «۴» البيوت يتعلق بعقيدة تلمودية معروفة، هى: أن كل يهودى يعلق على نجاف داره صحيفة تشتمل على وصية موسى لبنى إسرائيل: أن يحتفظوا بالإيمان بإله

---

(۱) راجع المصادر التالية: تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۲ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۷ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۷ عن البيهقى فى الدلائل، و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۰ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۲ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارك التنزيل بهامشه، نفس الصفحة، و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۴ و ۵ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۵.

(۲) التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۰.

(۳) راجع على سبيل المثال: تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۴ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۸ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۴۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۲ و منهاج السنة ج ۴ ص ۱۷۳ و راجع: المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۰ و ۳۷۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۶.

(۴) النجاف: ما بنى ناتئا فوق الباب، مشرفا عليه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸۲

واحد، و لا يبدلوه و لو عذبوا و قتلوا.

فاليهود حين ينزحون عن منازلهم يأخذونها معهم، و هى عادة متبعة عند اليهود إلى يومنا هذا.

و يظهر: أن يهود بلاد العرب كانوا يضعون تلك الصحيفة داخل النجاف، خوفا من إتلاف الهواء، أو مس الأيدى فلما رحلوا عن ديارهم هدموا نجاف البيوت، و أخذوها ..» «۱».

روايات غير موثوق بصحتها:

و نحن نشك كثيرا فى عدد من الروايات التى تقدمت فى الفصل الأول من هذا الباب، و فى غيره من الفصول، و التى تحاول أن تعطى لغزوة بنى النضير طابعا حربيا عنيفا، حتى ليذكر البعض منها: أن المسلمين كانوا يخربون بيوت بنى النضير من الخارج ليتسع لهم ميدان القتال، و كان بنو النضير يخربون بيوتهم من الداخل لأجل التحصين بها، و أنهم قد بلغوا أقصى دورهم، و هم على هذه الصفة،

إلى غير ذلك من نصوص و روايات تصب فى هذا الاتجاه.

فإننا و إن كنا نقول: إنه قد كان ثمة حصار، و قطع للأشجار، و رشق بالنبل من قبل بنى النضير، و خراب للبيوت بأيدى بنى النضير، و بأيدى المؤمنين، ثم قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» عشرة منهم، فدب الرعب فى قلوبهم، و اقتنعوا:

أن لا طاقة لهم بالحرب، فآثروا الاستسلام و القبول بالجلاء.

---

(۱) اليهود فى القرآن ص ۷۸ عن كتاب: اليهود فى بلاد العرب ص ۱۳۸ تأليف:

ولفنسون.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸۳

و أفاء اللّه على رسوله أراضيهم، و سوغه أموالهم.

و لكن الإصرار على إظهار جانب العنف و القتال و الحرب القوية و الضارية من البعض، إنما هو لأجل الإيحاء بأن أرض بنى النضير قد فتحت عنوة، و أن المسلمين قد أخذوها عن استحقاق، و لم يكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» متفضلا عليهم فى إعطائهم إياها!!

و معنى ذلك هو: أن المطالبة بها من قبل الورثة الحقيقيين للرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» بعد وفاته تصبح بلا معنى، و بلا مبرر ظاهر ..

رغم أن القرآن قد صرح: بأن أرضهم كانت فيئا، و أنها خاصة برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». ولكن تبرير موقف السلطة، و التعتيم على مظالمها أهم و أولى من الحفاظ على القرآن، و أحكامه، بنظر هؤلاء المتحذلقين، الذين يستخدمون كل وسائل التزوير و التحوير و الإبهام فى خدمة أهوائهم و مصالحهم و اتجاهاتهم.

ضيعوا حقها المبين بتزويرو هل عندهم سوى التزوير؟!

لأول الحشر:

قد ذكرت سورة الحشر- التى يرى المؤرخون و المفسرون: أنها تتحدث عن حادثة بنى النضير، الذين أخرجهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»- أن هذا هو أول الحشر لهم ..

و قد اختلفوا فى المراد من ذلك.

فروى موسى بن عقبة: أنهم قالوا: إلى أين نخرج يا محمد؟

قال: إلى الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸۴

يعنى: أرض المحشر، و هى الشام ..

هذا فى الدنيا، و الحشر الثانى يوم القيامة إلى الشام أيضا «۱».

و قيل: إن أول الحشر هو إخراجهم من حصونهم إلى خيبر، و آخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام «۲».

و قيل: إنما قال لأول الحشر؛ لأن اللّه فتح على نبيه «صلى اللّه عليه و آله» فى أول ما قاتلهم «۳».

و قيل: المراد بالحشر؛ الجلاء، و قد كان بنو النضير من سبط من بنى إسرائيل لم يصبهم جلاء.

زاد الطبرسى، و غيره: أن الحشر الثانى هو إخراج إخوانهم من جزيرة العرب (أى على يد عمر بن الخطاب) لئلا يجتمع فى جزيرة العرب دينان «۴».

---

(۱) راجع: مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۸ و إرشاد الساری ج ۷ ص ۳۷۵ و راجع: فتح الباری ج ۷ ص ۲۵۴ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ عنه و التبیان ج ۹ ص ۵۵۷ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارک التنزیل بهامشه فی نفس الصفحة، و راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۳۵۱ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۲ و ۳ و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و راجع أیضا: فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۵ و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۸ و ۲۷۹ و بعض من تقدم قد ذکر بعض ذلک دون بعض.

(۲) فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۵ و راجع: التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۸ و ۲۷۹.

(۳) مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ عنه.

(۴) راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عبد الرزاق، و عبد بن حمید، و البیهقی فی الدلائل، و أبی داود، و ابن المنذر، و مجمع البیان ج ۹ ص ۲۵۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۰ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و ۲۱۶ و غرائب القرآن بهامش جامع البیان ج ۲۸ ص ۳۴ و الکشاف ج ۴ ص ۴۹۹-

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۹،ص:۱۸۵

و قیل: إن الحشر الثانی، هو حشر النار التی تخرج من قعر عدن؛ فتحشر الناس إلی الموقف، تبیت معهم حیث باتوا؛ و تقیل معهم حیث قالوا، و تأکل من تخلف «۱».

و قال العینی: «إن بنی النضیر أول من أخرج من دیارهم» «۲».

و نقول: بل أجلی بنو قینقاع قبلهم.

و قال الکلبی: کانوا أول من أجلی من أهل الذمة من جزیرة العرب ثم أجلی آخرهم فی زمن عمر بن الخطاب؛ فکان جلاؤهم أول حشر من المدینة، و آخر حشر إجلاء عمر لهم «۳».

قال السهیلی، بعد ذکره ما تقدم:

- و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و المصنف ج ۵ ص ۳۵۸ و ۳۵۹ و تفسیر القرآن العظیم ج ۴ ص ۳۳۲ و راجع: السیرة النبویة لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و التبیان ج ۹ ص ۵۵۷ عن البلخی، و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارک التنزیل بهامشه فی نفس الصفحة و جامع البیان ج ۲۸ ص ۱۹ و ۲۲ و راجع: فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۹ و السیرة الحلبیة ج ۲ ص ۲۶۸.

(۱) الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۶ و السیرة النبویة لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و لباب التأویل ج ۴ ص ۲۴۵ و مدارک التنزیل بهامشه فی نفس الصفحة و راجع: جامع البیان ج ۲۸ ص ۲۰ و غرائب القرآن بهامشه ج ۲۸ ص ۳۴ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱۸ ص ۲۰ و أحکام القرآن لابن العربی ج ۴ ص ۱۷۶۴ و التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۹ و السیرة الحلبیة ج ۲ ص ۲۶۸.

(۲) عمدة القاری ج ۱۷ ص ۱۲۶.

(۳) فتح القدیر ج ۵ ص ۱۹۵ و الکشاف ج ۴ ص ۴۹۹ و راجع: التفسیر الکبیر ج ۲۹ ص ۲۷۸ و ۲۷۹ و جوامع الجامع ص ۲۸۶.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۹،ص:۱۸۶

«.. و الآیة متضمنة لهذه الأقوال کلها، و لزائد علیها؛ فإن قوله: لِأَوَّلِ الْحَشْرِ یؤذن: أن ثمة حشرا آخر؛ فکان هذا الحشر و الجلاء إلی خیبر، ثم أجلاهم عمر من خیبر إلی تیماء، و أریحا، و ذلک حین بلغه التثبت عن النبی «صلی اللّه علیه و آله» أنه قال: لا یبقین دینان بأرض العرب» «۱».

کما أن عبد الرزاق الصنعانی، بعد أن ذکر: أن النبی: «صلی اللّه علیه و آله» قد دفع خیبر إلی الیهود، علی أن یعملوا بها، و لهم شطرها قال:

«فمضى على ذلك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أبو بكر، و صدر من خلافة عمر، ثم أخبر عمر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال فى وجعه الذى مات فيه: لا يجتمع بأرض الحجاز- أو بأرض العرب- دينان؛ ففحص عن ذلك حتى وجد عليه الثبت، فقال: من كان عنده عهد من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فليأت به، و إلا فإنى مجليكم.

قال: فأجلاهم». و كذا ذكر غير عبد الرزاق أيضا «۲».

و قد نص المؤرخون: على أن عمر أجلى من يهود من لم يكن معه عهد

---

(۱) الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ و ستأتى مصادر أخرى.

(۲) المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۱۲۶ و راجع ج ۱۰ ص ۳۵۹ و ۳۶۰ و راجع: مغازى الواقدى ج ۲ ص ۷۱۷ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۳۷۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۱۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۱۵ و عمدة القارى ج ۱۳ ص ۳۰۶ و فتح البارى ج ۵ ص ۲۴۰ عن ابن أبى شيبة و غيره، و الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج ۳ ص ۸۸ و غريب الحديث لابن سلام ج ۲ ص ۶۷ و راجع وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸۷

من رسول اللّه «۱».

و نقول:

إن حديث إجلاء عمر لليهود، حين بلغه الثبت عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: لا يجتمع بأرض العرب دينان، يحتاج إلى شىء من البسط و التوضيح ..

و قد كنا نود إرجاء الحديث عن هذا الأمر إلى وقعة خيبر، و لكن ما ذكره السهيلى و غيره هنا قد جعلنا نتعجل الإشارة إلى بعض من ذلك.

و لكننا قبل أن ندخل فى مناقشة هذا الأمر نشير إلى أمرين:

الأول:

إن تصريح الرواية المتقدمة بأن الخليفة قد نفذ ما كان قد سمعه من النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى وجعه الذى مات فيه، يحتاج إلى مزيد من التأمل، بعد أن كان هو نفسه قد قال عن النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى نفس ذلك المرض: إنه يهجر، أو غلبه الوجع أو نحو ذلك .. «۲».

---

(۱) راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۲۱ و الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۲۲۴ و الإكتفاء ج ۲ ص ۲۷۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۱۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۱۹.

(۲) الإيضاح ص ۳۵۹ و تذكرة الخواص ص ۶۲ و سر العالمين ص ۲۰ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۶۰ و ج ۴ ص ۵ و ۱۷۳ و ج ۱ ص ۲۱ و ۲۲ و ج ۲ ص ۱۱۵ و الملل و النحل ج ۱ ص ۲۲ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۷۵ و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۵۹ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۲۲۷ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۲۴۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۱۹۲ و ۱۹۳ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۳۲۰ و أنساب-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸۸

و صرحت المصادر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أنه لا يجتمع فيها دينان، بعد قول عمر الآنف الذكر، و تنازعهم عنده «۱».

فمن غلبه الوجع: و من كان يهجر- و العياذ باللّه- لا- يوثق بما يقوله، و لا- ينبغى الالتزام به، حتى و لو ورد بالطرق الصحيحة و الصريحة. نعوذ باللّه من الزلل و الخطل فى القول و العمل .. و عصمنا اللّه من نسبة ذلك لرسوله الأكرم «صلى اللّه عليه و آله».

الثانى:

إنا لا نريد أن نسجل إدانة صريحة للخليفة الثانى، حول ما تذكره الرواية من جهله بآخر أمر صدر من النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»، حول وجود الأديان فى جزيرة العرب .. بأن نقول: إن ذلك لا يتناسب مع مقام خلافة رسول اللّه «صلى عليه و آله».

لا .. لا نريد ذلك، لأننا نشك فى أن يكون الخليفة قد استند فى موقفه

- الأشراف ج ۱ ص ۵۶۲ و شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۵۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۶۴ و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۵۵ و ۳۲۴ و ۳۲۵ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۶۲ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۴۴.

و راجع المصادر التالية: نهج الحق ص ۲۷۳ و الصراط المستقيم ج ۳ ص ۶ و ۳ و حق اليقين ج ۱ ص ۱۸۱ و ۱۸۲ و المراجعات ص ۳۵۳ و النص و الإجتهاد ص ۱۴۹ و ۱۶۳ و دلائل الصدق ج ۳ قسم ۱ ص ۶۳- ۷۰.

(۱) راجع المصادر المتقدمة، فقد ذكر عدد منها ذلك، مثل صحيح البخارى و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۱۹ و ۳۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۸۹

من اليهود إلى قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و نحن نوضح ذلك فيما يلى:

سبب إخراج عمر لليهود:

إن من المسلّم به: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين افتتح خيبر قد أبقى اليهود فى شطر منها، يعملون فيه، و لهم شطر ثماره، و لكن عمر قد أخرجهم منها إلى تيماء و أريحا «۱».

و لكن ما ذكروه فى سبب ذلك، من أنه قد فعل امتثالا لأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و تدينا منه، و التزاما بالحكم الشرعى، لا يمكن المساعدة عليه، و لا الالتزام به، حيث إننا نشك فى ذلك، و ذلك لما يلى:

ألف: لماذا لم يفعل ذلك أبو بكر، فهل لم يبلغه ذلك؟!

و الذين أبلغوا عمر بن الخطاب لماذا لم يبلغوا سلفه أبا بكر؟!

ب: قولهم: إن عمر لم يكن يعلم بلزوم إجلاء اليهود، حتى بلغه الثبت عن رسول اللّه ينافيه ما رواه مسلم عن جابر بن عبد اللّه قال:

أخبرنى عمر بن الخطاب: أنه سمع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول:

لأخرجن اليهود و النصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلما «۲».

---

(۱) راجع: صحيح البخارى ج ۲ ص ۳۲ و ۱۲۹ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۲۷ و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۴۹ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵۸ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱.

(۲) صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۶۰ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۴ ص ۱۵۶ و فيه:

لإن عشت لأخرجن اليهود و النصارى من جزيرة العرب. و كنز العمال ج ۴-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۰

فلما ذا توقف عن إخراجهم، حتى بلغه الثبت عن رسول اللّه؟ ألم يكن هو قد سمع ذلك من النبى «صلى اللّه عليه و آله» مباشرة،

فلماذا لم ينفذ ما سمعه؟!

و لماذا أيضا لم يخبر عمر نفسه رفيقه و صديقه الحميم أبا بكر بهذا القول منه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

إلا أن يقال: إن هذا لا يدل على أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر الخليفة بعده بذلك.

ج: إن ثمة حديثا يفيد: أن سبب إخراج عمر ليهود خيبر هو أنهم اعتدوا على ولده، فقد روى البخارى و غيره:

عن ابن عمر، قال: لما فدع «۱» أهل خيبر عبد اللّه بن عمر، قام عمر خطيبا، فقال: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان عامل يهود خيبر على أموالهم، و قال: نقركم ما أقركم اللّه، و إن عبد اللّه بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدى عليه من الليل، ففدعت يداه، و رجلاه، و ليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا و تهمتنا، و قد رأيت إجلاءهم.

فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى الحقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا، و قد أقرنا محمد، و عاملنا على الأموال، و شرط ذلك لنا؟!

فقال عمر: أظننت أنى نسيت قول رسول اللّه: كيف بك إذا أخرجت من خيبر، تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة؟!

- ص ۳۲۳ عن ابن جرير فى تهذيبه و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۴۵ و ج ۱ ص ۲۹ و ۳۲ و المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۳۵۹.

(۱) فدع: شدخ و شقّ شقا يسيرا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۱

فقال: كانت هذه هزيلة (أى فرحة) من أبى القاسم.

فقال: كذبت يا عدو اللّه.

فأجلاهم عمر الخ .. «۱».

و نشير فى هذه الرواية إلى أمرين:

الأول: إنها تصرح بأن إجلاء اليهود كان رأيا من عمر، و ليس امتثالا لأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أن الدافع له هو ما فعلوه بولده.

و من الواضح: أن ذلك ليس مبررا كافيا لذلك، فقد سبق لليهود أن قتلوا عبد اللّه بن سهل بخيبر، فاتهمهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمون بقتله، فأنكروا ذلك، فوداه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لم يخرجهم بسبب ذلك «۲».

---

(۱) صحيح البخارى ج ۲ ص ۷۷ و ۷۸ و راجع المصادر التالية: كنز العمال ج ۴ ص ۳۲۴ و عنه و عن البيهقى، و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۳۵۲ و ۳۵۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۰ و ۲۲۰ و الإكتفاء ج ۲ ص ۲۷۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۱۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۴۱۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵۷ و ۵۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۳۷۸ و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۵ بنص أكثر تفصيلا، كما هو الحال فى بعض المصادر الآنفة الذكر و راجع أيضا: زاد المعاد لابن القيم ج ۲ ص ۷۹.

(۲) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۳۶۹ و ۳۷۰ و عمدة القارى ج ۱۳ ص ۳۰۶ و الإصابة ج ۲ ص ۳۲۲ و فيه: أن هذا الحديث موجود فى الموطأ و أخرجه الشيخان فى باب القسامة، و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۷۹ و ۱۸۰ و الإكتفاء ج ۲ ص ۲۷۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۱۴ و ۷۱۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵۷ و ۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۲

الثانى: إن ما نقله عمر لأحد بنى الحقيق، لم يكن هو المستند لإخراجهم، بل صرح عمر بأن ذلك كان لرأى رآه بسبب ما فعلوه بولده

.. كما أن إخبار النبى هـذا ليس فيه ما يدل على أنهم يخرجون بحق أو بغير حق، و لا يفيد تأييد هذا الإخراج و لا تفنيده، و لعل لأجل ذلك لم يستطع أن يستند إليه الخليفة فى تبرير ما يقدم عليه.

د: و فى بعض المصادر: أضاف إلى ما صنعوه بابن عمر، أنهم غشوا المسلمين «۱».

و لا ندرى إن كان يقصد: أن غشهم هذا كان بفعل مستقل منهم، أم أن ما فعلوه بابن عمر هو الدليل لهذا الغش؟!

قال دحلان: «استمروا على ذلك إلى خلافة عمر (رض)، و وقعت منهم خيانة و غدر لبعض المسلمين، فأجلاهم إلى الشام، بعد أن استشار الصحابة (رض) فى ذلك» «۲».

و عبارة دحلان هذه، ظاهرة فى أن المقصود بخيانتهم و غدرهم: هو نفس ما صدر منهم فى حق بعض المسلمين، و هو ابن عمر بالذات، و لا ندرى لماذا لم يصرح باسمه و نسبه هنا؟!.

ه: و مما يدل على أن إجلاءهم كان رأيا من الخليفة الثانى، ما رواه أبو داود و غيره، عن ابن عمر، عن عمر، أنه قال:

---

(۱) البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۳۵۲ و فتح البارى ج ۵ ص ۲۴۰ و عمدة القارى ج ۱۳ ص ۳۰۵ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۳۷۹.

(۲) السيرة النبوية ج ۳ ص ۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۳

أيها الناس، إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان عامل يهود خيبر على أنّا نخرجهم إذا شئنا، فمن كان له مال فليلحق به، فإنى مخرج يهود.

فأخرجهم «۱».

و معنى ذلك: هو أنه لم يكن يرى إخراجهم واجبا شرعيا. كما أنه قد احتج لما يفعله بشرط النبى «صلى اللّه عليه و آله» إبقاءهم بالمشيئة- إذا شئنا- و لا يحتج لذلك بما ثبت له عنه «صلى اللّه عليه و آله»، من عدم بقاء دينين فى أرض العرب.

مع أنه لو كان هذا هو السبب و الداعى، لكان الاحتجاج به أولى و أنسب.

و مما يؤيد ذلك و يعضده: أن اليهود حين اعترضوا عليه بقولهم: لم يصالحنا النبى «صلى اللّه عليه و آله» على كذا و كذا؟!

قال: بلى، على أن نقركم ما بدا للّه و لرسوله، فهذا حين بدا لى إخراجكم. فأخرجهم «۲».

و: إنه قد أخرج نصارى نجران، و أنزلهم ناحية الكوفة «۳».

ز: قد ذكرت بعض الروايات: أن السبب فى إجلائهم هو استغناء المسلمين عنهم، و ليس هو وصية النبى «صلى اللّه عليه و آله» بإخراجهم.

---

(۱) سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۵۸ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۲۰۰ و أشار إليه فى فتح البارى ج ۵ ص ۲۴۱ عن أبى يعلى، و البغوى. و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۳۸۰ و كنز العمال ج ۴ ص ۳۲۵ عن أبى داود، و البيهقى، و أحمد و راجع:

المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۳۵۹.

(۲) المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۱۲۵ و سيأتى الحديث بلفظ آخر بعد قليل تحت حرف: ط.

(۳) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۳ ص ۲۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۴

يقول ابن سعد و غيره: إنه لما صارت خيبر فى أيدى المسلمين، لم يكن لهم من العمال ما يكفون عمل الأرض، فدفعها النبى «صلى

اللّه عليه و آله» إلى اليهود، يعملونها على نصف ما يخرج منها.

فلم يزالوا على ذلك، حتى كان عمر بن الخطاب، و كثر فى أيدى المسلمين العمال، و قووا على عمل الأرض، فأجلى عمر اليهود إلى الشام، و قسم الأموال بين المسلمين إلى اليوم «۱». و قريب من ذلك ذكره ابن سلام أيضا، فراجع «۲».

و بعد أن ذكر العسقلانى هذه الرواية، و ذكر رواية عدم اجتماع دينين فى جزيرة العرب، ثم رواية البخارى عن فدع اليهود لعبد اللّه بن عمر، قال:

«.. و يحتمل أن يكون كل هذه الأشياء جزء علة فى إخراجهم» «۳».

و لكنه احتمال غير وارد، فإن ظاهر الروايات: أن السبب فى إخراجهم هو خصوص ما تذكره دون غيره، و لا سيما حين يكون الحديث و التعليل فى مقام الاحتجاج و الاستدلال و دفع الشبهة، من نفس ذلك الرجل الذى تصدى لذلك.

ح: قولهم: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر بإجلاء اليهود و النصارى من بلاد العرب، و أنه قال: لا يجتمع ببلاد العرب دينان، أو نحو ذلك، ينافيه:

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۱۱۴ و فتح البارى ج ۵ ص ۲۴۰ و تاريخ المدينة ج ۱ ص ۱۸۸.

(۲) الأموال ص ۱۴۲ و ۱۶۲ و ۱۶۳.

(۳) فتح البارى ج ۵ ص ۲۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۵

۱- قولهم:- حسبما روى عن سالم بن أبى الجعد-: «كان أهل نجران بلغوا أربعين ألفا، و كان عمر يخافهم أن يميلوا على المسلمين، فتحاسدوا بينهم، فأتوا عمر، فقالوا: إنا قد تحاسدنا بيننا، فأجلنا.

و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد كتب لهم كتابا: أن لا يجلوا، فاغتنمها عمر، فأجلاهم الخ ..» «۱».

۲- و فى نص آخر: إنما أخرج عمر أهل نجران، لأنهم أصابوا الربا فى زمانه «۲».

۳- و عن على «عليه السلام»: أنه نسب إجلاء أهل نجران إلى عمر أيضا فراجع «۳».

إلا أن يقال: إن نسبة ذلك إليه لا يدل على عدم الأمر به من النبى «صلى اللّه عليه و آله».

ط: عن ابن عمر: أن عمر أجلى اليهود من المدينة، فقالوا: أقرنا النبى «صلى اللّه عليه و آله» و أنت تخرجنا؟!

قال: أقركم النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و أنا أرى أن أخرجكم، فأخرجهم من المدينة «۴».

---

(۱) كنز العمال ج ۴ ص ۳۲۲ و ۳۲۳ عن الأموال، و عن البيهقى، و ابن أبى شيبة و راجع هامش ص ۱۴۴ من كتاب الأموال.

(۲) الأموال ص ۲۷۴.

(۳) راجع: كتاب الخراج، للقرشى ص ۲۳.

(۴) كنز العمال ج ۴ ص ۳۲۳ عن ابن جرير فى التهذيب، و تقدم نحوه عن المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۱۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۶

فلو أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان قد أمر بإخراجهم لم ينسب عمر إخراجهم إلى رأيه الشخصى.

ى: إنه يرد هنا سؤال، و هو: لماذا يخرجهم من بلاد العرب، و لا يخرجهم من بلاد المسلمين كلها؟ فهل لبلاد العرب خصوصية هنا؟! و ما هى هذه الخصوصية سوى التعصب القومى، و التمييز العنصرى، و الشعور بالتفوق على الآخرين، بلا مبرر ظاهر؟.

ك: عن يحيى بن سهل بن أبى حثمة، قال: أقبل مظهر بن رافع الحارثى إلى أبى بأعلاج من الشام، عشرة، ليعملوا فى أرضه، فلما نزل

خيبر أقام بها ثلاثا، فدخلت يهود للأعلاج، و حرضوهم على قتل مظهر، و دسوا لهم سكينين أو ثلاثا!

فلما خرجوا من خيبر، و كانوا بثبار، و ثبوا عليه، فبعجوا بطنه، فقتلوه، ثم انصرفوا إلى خيبر، فزودتهم يهود و قوّتهم حتى لحقوا بالشام.

و جاء عمر بن الخطاب الخبر بذلك، فقال: إنى خارج إلى خيبر، فقاسم ما كان بها من الأموال، و حاد حدودها، و مورف أرفها «۱»، و مجل يهود عنها، فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال لهم: أقركم ما أقركم اللّه، و قد أذن اللّه فى إجلائهم، ففعل ذلك بهم «۲».

و فى الواقدى: أن عمر خطب الناس، فقال: أيها الناس إن اليهود فعلوا

---

(۱) الأرف: جمع أرفة، و هى الحدود و المعالم. راجع: النهاية لابن الأثير ج ۱ ص ۲۶.

(۲) كنز العمال: ج ۴ ص ۳۲۴ و ۳۲۵ عن ابن سعد، و المغازى للواقدى: ج ۲ ص ۷۱۶ و ۷۱۷ و فى السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۵۷، كما فى الواقدى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۷

بعبد اللّه ما فعلوا، و فعلوا بمظهر بن رافع، مع عدوتهم على عبد اللّه بن سهل فى عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لا أشك أنهم أصحابه، ليس لنا عدو هناك غيرهم؛ فمن كان له هناك مال؛ فليخرج؛ فأنا خارج فقاسم.

إلى أن قال: إلا أن يأتى رجل منهم بعهد، أو بينة من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أنه أقره، فأقره.

ثم ذكر تأييد طلحة لكلام عمر، ثم قول عمر له: من معك على مثل رأيك؟!

قال: المهاجرون جميعا، و الأنصار. فسرّ بذلك عمر «۱».

ل: قال الحلبى الشافعى بعد ذكره رواية مصالحة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لهم، و أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لهم: على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم:

«أى و هذا يخالف ما عليه أئمتنا من أنه لا يجوز فى عقد الجزية أن يقول الإمام، أو نائبه: أقركم ما شئنا، بخلاف ما شئتم، لأنه تصريح بمقتضى العقد؛ لأن لهم نبذ العقد ما شاؤوا.

و ذكر أئمتنا: أنه يجوز منه «صلى اللّه عليه و آله»- لا منا- أن يقول:

أقررتكم ما شاء اللّه؛ لأنه يعلم مشيئة اللّه دوننا» «۲».

و نقول: إن ذلك محل نظر؛ إذ:

۱- من الذى قال: إنه «صلى اللّه عليه و آله» يعلم- فى هذا المورد

---

(۱) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۱۶ و ۷۱۷.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۱۹۸

بخصوصه- مشيئة اللّه سبحانه؟!.

۲- لماذا لا يصح للنبى، و لغيره أيضا، أن يقول ذلك؟! أليس حكمهم الجلاء، و قد عادت الأرض إلى الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، لتكون خالصة له؟ فهو يزارعهم فى ملكه، و له أن يمنعهم من العمل و السكنى فيها متى شاء. لا أن الأرض لهم، و هو «صلى اللّه عليه و آله» ينتظر نقضهم للعهد، حتى تكون المشيئة إليهم فى النقض و عدمه، كما يريد هؤلاء أن يفهموا.

م: إن عمر إنما أجلاهم إلى أريحا و تيماء من جزيرة العرب «۱». و قد حاول الحلبى الشافعى دعوى: أن المقصود بجزيرة العرب خصوص الحجاز، و أريحا و تيماء ليستا من الحجاز، و لعله استند فى ذلك إلى بعض النصوص التى عبرت بكلمة «الحجاز» بدل

«جزيرة العرب» كما يفهم من كلامه ضمنا «۲».

و نقول:

أولا: إن الروايات متناقضة، فبعضها قال: اليهود و النصارى.

و بعضها قال: المشركين.

و فى بعضها: لا يبقى دينان فى جزيرة العرب.

و فى بعضها: اليهود.

و من جهة أخرى: فإن بعضها ذكر الحجاز، و بعضها ذكر جزيرة العرب.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵۸ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰.

(۲) المصدر السابق.

و فى بعضها أنه قال: أخرجوا اليهود من الحجاز، و أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب «۱». و هذا الاختلاف يوجب ضعف الرواية إلى حد كبير.

ثانيا: قال السمهودى: «لم ينقل أن أحدا من الخلفاء أجلاهم من اليمن، مع أنها من الجزيرة» «۲»، ثم قال: فدل على أن المراد الحجاز فقط.

و نقول: بل دل ذلك على ضعف الرواية من الأساس لا سيما و أن عددا من الروايات يصرح بأن النبى قال: لا يبقين دينان بأرض العرب، و أرض العرب لا تختص بالحجاز كما هو معلوم.

ثالثا: إن تيماء من الحجاز أيضا، قال ابن حوقل: بينها و بين أول الشام ثلاثة أيام «۳».

و هى تقع على ثمان مراحل من المدينة بينها و بين الشام، و هى تعد من توابع المدينة «۴».

و مدين التى هى من أعراض المدينة تقع فى محاذاة تبوك «۵». و تبوك أبعد من تيماء كما هو ظاهر.

و آخر عمل المدينة «سرغ»، بوادى تبوك، على ثلاث عشرة مرحلة من

---

(۱) المصدر السابق، و الأموال ص ۱۴۲ و ۱۴۳ و ۱۴۴ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۰ و ۳۲۱ و راجع مصادر الحديث و نصوصه فى المصادر فى الصفحات المتقدمة.

(۲) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۲۱.

(۳) صورة الأرض ص ۴۱.

(۴) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۶۰ و ۱۱۶۴.

(۵) راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۶۰ و ۱۳۰۲ و معجم البلدان ج ۳ ص ۲۱۱.

المدينة «۱».

و قالوا عن سرغ: إنها أول الحجاز، و آخر الشام «۲».

بل لقد قال الحرقى: تبوك و فلسطين من الحجاز «۳».

و لكن قال السمهودى: إن عمر «لم يخرج أهل تيماء و وادى القرى، لأنهما داخلتان فى أرض الشام.

و يرون: أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز، و أن ما وراء ذلك من الشام» «۴».

و لكن السمهودى نفسه ينقل عن صاحب المسالك و الممالك و عن ابن قرقول: أنهما قد عدا وادى القرى من المدينة «۵».

كما أن ابن الفقيه قد عد دومة الجندل من أعمال المدينة، و وادى القرى تقع فيها «۶».

و قال ياقوت و غيره: إن وادى القرى من أعمال المدينة، أيضا «۷».

و عدها ابن حوقل و غيره من الحجاز «۸».

---

(۱) راجع: وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۶۰ و ۱۲۳۳.

(۲) معجم البلدان ج ۳ ص ۲۱۱ و مراصد الاطلاع ج ۲ ص ۷۰۷.

(۳) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۸۴.

(۴) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۳۲۹.

(۵) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۳۲۸.

(۶) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۱۲ و راجع ص ۱۳۲۸.

(۷) راجع: مراصد الإطلاع ج ۳ ص ۱۴۱۷ و معجم البلدان ج ۵ ص ۳۴۵.

(۸) صورة الأرض ص ۳۸ و مسالك الممالك ص ۱۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۱

و بعد هذا: فإن كلام السمهودى يصبح متناقضا و غير واضح، و إن كان يمكن الاعتذار عنه بأنه ينسب بعض ما يقوله لغيره، و ذلك لا يدل على رضاه و قبوله به.

و لكن هذا الاعتذار إنما يصح فى بعض الموارد دون بعض، مع ملاحظة: أننا لم نجده يعترض على ما ينقله عن الآخرين، بل ظاهره أنه مصدق و معترف به.

دعاوى لا تصح:

و قد حاول الحلبى هنا: أن يجعل من أسباب كثيرة سببا واحدا، فوقع فى التناقض و الاختلاف، فإنه بعد أن ذكر: عزم عمر على إجلاء اليهود، بسبب ما فعلوه بولده و بعبد اللّه بن سهل، و بمظهر بن رافع، قال:

«فلما أجمع الصحابة على ذلك، أى على ما أراده سيدنا عمر، جاءه أحد بنى الحقيق فقال له: يا أمير المؤمنين الخ ..» فذكر القصة المتقدمة و أن عمر لم ينس قول النبى لابن أبى الحقيق حول خروجه.

ثم قال: «ثم بلغه (رض): أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: لا يبقى دينان فى جزيرة العرب و نصوصا أخرى تقدمت». ثم ذكر أن المراد بالجزيرة خصوص الحجاز.

إلى أن قال: «ففحص عمر عن ذلك حتى تيقنه و ثلج صدره فأجلى يهود خيبر، أى و أعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر و غيره و أجلى يهود فدك، و نصارى نجران، فلا يجوز إقامتهم أكثر من ثلاثة أيام غير يومى الدخول و الخروج، و لم يخرج يهود وادى القرى و تيماء، لأنهما من أرض الشام لا من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۲

الحجاز» «۱».

فهو يقول: إن عمر هو الذى عزم على إجلاء اليهود ثم يقول: إن الصحابة قد أجمعوا. ثم يذكر أنه عرف بأوامر النبى «صلى اللّه عليه و

آله» حول اليهود بعد هذا العزم و بعد ذلك الإجماع، فلما تيقنه و ثلج صدره أجلاهم.

كما أنه يذكر العبارات المتناقضة حول جزيرة العرب و الحجاز، و يدّعى أن المقصود بالجزيرة هو خصوص الحجاز، و لكنه يدّعى أن تيماء و وادى القرى ليستا من الحجاز، مع أن النصوص الجغرافية على خلاف ذلك، حسبما أوضحناه.

ثم يذكر: أنه أعطاهم ثمن أموالهم .. و لا ندرى السبب فى ذلك إن كان إخراجهم بسبب نقضهم للعهد، فإن ناقض العهد لا يعطى ذلك ..

و أخيرا .. فإنه ادّعى عدم جواز اقامتهم أكثر من ثلاثة أيام غير يومى الدخول و الخروج، فهل هذا الحكم مأخوذ من النبى «صلى اللّه عليه و آله»، أم أنه حكم سلطانى متأخر عن زمنه «صلى اللّه عليه و آله»؟

و لا ندرى كيف أجيز لهم ذلك بعد منعه «صلى اللّه عليه و آله» لهم من البقاء فى أرض العرب.

كما أننا لا نعرف: من أين جاء استثناء يومى الخروج و الدخول؟ إلى غير ذلك من الأسئلة، التى يمكن استخلاصها من مجموع ما ذكرناه.

---

(۱) راجع كلامه بطوله فى السيرة الحلبية ج ۳ ص ۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۳

الرواية الأقرب إلى القبول:

و لعلنا لا نبعد كثيرا إذا قلنا: إن حديث «لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان» هو من قول عمر، و قد نسب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» من أجل تصحيح ما أقدم عليه عمر من نقض عهد اليهود لأجل ابنه، أو لغير ذلك من أسباب، لم ير فيها النبى «صلى اللّه عليه و آله» ما يوجب ذلك حسبما ألمحنا إليه؛ فقد قال أبو عبيد اللّه القاسم بن سلام:

«حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة، و محمد بن عبيد، عن عبيد اللّه بن عمر، عن نافع عن ابن عمر، قال: أجلى عمر المشركين من جزيرة العرب، و قال: «لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان» و ضرب لمن قدم منهم أجلا، قدر ما يبيعون سلعهم» «۱» انتهى.

فترى فى هذا الحديث: أنه قد نسب القول بعدم اجتماع دينين فى جزيرة العرب إلى عمر نفسه من دون إشارة إلى رسول اللّه، و لعله الأوفق و الأولى، و قد تقدم ما يشير إلى أن ذلك كان رأيا من عمر، فلا نعيد.

لا إكراه فى الدين:

قد تقدم: أن آية لا إكراه فى الدين قد نزلت فى مناسبة غزوة بنى النضير، حيث كان معهم أولاد للأنصار أراد آباؤهم أن يمنعوهم من الخروج معهم فنزلت هذه الآية.

---

(۱) الأموال ص ۱۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۴

و نقول:

إن ذلك موضع مناقشة و غير مسلّم؛ و إن أصر عليه القرطبى «۱».

فأولا: قد روى فى سبب نزول الآية:

۱- إن سبب نزولها هو وجود أبناء للأنصار فى بنى النضير، عن طريق الاسترضاع فثبتوا على دينهم، فلما جاء الإسلام أرادهم أهلوهم على الإسلام فنزلت «۲».

۲- عن السدى: أنها نزلت فى أبى حصين الأنصارى، الذى تنصر ابناه، و مضيا إلى الشام، فطلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يبعث من يردهما، فنزلت «۳».

ثانيا: إن منع الأنصار أولادهم من الخروج مع اليهود لا يعنى

---

(۱) راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰.

(۲) راجع: فتح القدير ج ۱ ص ۲۷۶ عن سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم عن مجاهد، و عن الحسن، و الدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۹ عنهم و عن ابن عقدة فى غرائب شعبة و النحاس فى ناسخه و عبد بن حميد و سعيد بن منصور، و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۷ و لباب التأويل ص ۱۸۵.

(۳) راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۳ ص ۲۸۰ و لباب التأويل ج ۱ ص ۱۸۶ و مدارك التنزيل بهامشه ج ۱ ص ۱۸۵ و فتح القدير ج ۱ ص ۲۷۶ عن ابن إسحاق، و ابن جرير عن ابن عباس، و كذا أخرج عبد بن حميد عن عبد اللّه بن عبيدة نحوه، و كذا أخرج أبو داود فى ناسخه و ابن جرير و ابن المنذر عن السدى نحوه و الدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۹ عنهم جميعا أيضا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۵

إجبارهم على الدخول فى الإسلام، و لم يرد الآباء ذلك من أولادهم، و إنما أرادوا منعهم من الخروج فقط ..

إلى خيبر أم إلى الشام؟

و تقول بعض المصادر: إن بنى النضير «تحملوا إلى الشام» كما هو مذكور فى بعض الروايات .. أى إلى أذرعات منها «۱».

و تذكر مصادر أخرى: أنهم أجلوا إلى خيبر «۲».

---

(۱) راجع: فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۹ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۸۰ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۲۳۲ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۵۸ و ۳۵۹ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۳ و ۵۵۴ و التبيان ج ۹ ص ۵۵۷ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۸ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۱۹ و حياة الصحابة ج ۱ ص ۳۹۸ و مدارك التنزيل المطبوع بهامش لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۴ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۱۹ و ۲۰ و ۲۲ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۸ و ۱۸۹ و ۱۸۷ عن بعض من تقدم و عن: ابن مردويه و البيهقى فى الدلائل، و عبد بن حميد، و أبى داود، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه. و راجع شعر أمير المؤمنين «عليه السلام» المذكور فى الفصل الأول من هذا الباب و فى السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۸.

(۲) الثقات ج ۱ ص ۲۴۳ و مرآة الجنان ج ۱ ص ۹ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳ و سيرة مغلطاى ص ۵۳ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۸ عن عبد بن حميد، و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۳۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲ و فيه: أن إجلاءهم إلى أذرعات و نجد، و قيل: إلى تيماء و أريحا، كان على يد عمر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۶

و تذكر مصادر أخرى: أنهم أجلوا إلى فدك «۱».

فقد يتخيل وجود تناقض فيما بين هذه النصوص ..

فإذا ضممنا ذلك إلى نصوص أخرى، فإن هذا التناقض يتأكد، حيث نجد بعضها يقول:

«تحملوا إلى خيبر، و إلى الشام، و ممن سار منهم إلى خيبر، أكابرهم، كحيى بن أخطب، و سلام بن أبى الحقيق، و كنانة بن الربيع، فدانت لهم خيبر» «۲».

و قال آخر: «و مضى من بنى النضير إلى خيبر ناس، و إلى الشام ناس» «۳».

و آخر يقول: «خرجوا إلى أذرعات، و أريحا، و خيبر، و حيرة» «۴».

---

(۱) التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳. و قد يظهر منه: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد سمح لهم بالذهاب إلى فدك أيضا، فاختاروا خيبرا.

(۲) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۸.

(۳) تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۵۹ و راجع: أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۸ و جوامع الجامع ص ۴۸۶ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۵ و البحار ج ۲۰ ص ۱۵۷ عنه عن مجاهد، و قتادة و الدر المنثور ج ۶ ص ۹۹ عن ابن المنذر، و ابن إسحاق، و أبى نعيم فى الدلائل، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۰ و ۳۳۳ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۷ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۳ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۱ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۴ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۸ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۱۹ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و عمدة القارئ ج ۱۷ ص ۱۲۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۴ و منهاج السنة ج ۴ ص ۱۷۳.

(۴) مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۷

و بعض آخر يذكر ذلك، من دون ذكر الحيرة «۱».

و نص آخر يذكر: أنهم لحقوا بأذرعات بالشام و أريحا، إلا أهل بيتين منهم: آل أبى الحقيق، و آل حيى بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر، و لحقت طائفة منهم بالحيرة «۲».

و جاء فى بعض النصوص قوله: «و طاروا كل مطير، و ذهبوا كل مذهب، و لحق بنو أبى الحقيق بخيبر، و معهم آنية كثيرة من فضة، فرآها النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمون، و عمد حيى بن أخطب حتى قدم مكة على قريش، فاستغواهم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۳».

و آخر نص نذكره هو ما قاله البعض: «وقع قوم منهم إلى فدك، و وادى القرى، و خرج قوم منهم إلى الشام» «۴».

السلاح للمؤمنين فقط:

و نلاحظ: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أجلاهم، و سمح لهم بأن يأخذوا ما أقلته الإبل، إلا الحلقة.

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲.

(۲) راجع: غرائب القرآن مطبوع بهامش البيان ج ۲۸ ص ۳۳ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۸ و الكشاف ج ۴ ص ۴۹۸ ص ۴۹۹ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۵۷ و البحار ج ۲۰ ص ۲۰۹ عنه و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۵ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۵.

(۳) تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۲.

(۴) تفسير القمى ج ۲ ص ۳۵۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۰ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۵۴ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۸

و تـذكر بعض النصوص إحصائيـة لما حصل عليه المسـلمون من سـلاح، فتقول: «فوجـد من الحلقة خمسـين درعا و خمسـين بيضة، و ثلاثمائة سيف، و أربعين سيفا» «۱».

و من الواضح: أن فى ذلك قوة للمسلمين الذين يواجهون العدو المتربص بهم ليل نهار و فى كل اتجاه.

ثم هو إضعاف لعدوهم، ماديا و معنويا، و له تأثيرات سلبية على معنويات كل أولئك الذين يتعاطفون معهم، و يميلون إليهم.

و من وجهـة نظر مبدئيـة، و عقيديـة، فـإن السـلاح لاـ يكون إلا للمؤمنين، و هم وحـدهم الـذين يملكون الحق فى السـلاح، لأنهم إنما ينصرون به الحق، و يدمرون به الباطل.

أما الآخرون فعلى العكس من ذلك، و لا أقل من أن السلاح- إذا كان بأيدى غير المؤمنين- فإنه تصبح له حالة ردع تلقائية، و تخوف فى قلوب المؤمنين الذين لا بد لهم أن يعملوا على نشر الدين، و إعزازه، و استئصال الباطل و إذلاله.

حزن المنافقين:

و إن ما جرى لبنى النضـير، و هم أعز يهود منطقة الحجاز، قد جعل المنافقين، الذين كانوا يلتقون معهم فى العداء للإسلام، و الخلاف له و عليه،

---

(۱) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و الوفاء ص ۶۹۰ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ عن الكازرونى و غيره، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۲ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۷ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۰۹

و قـد ثقـل عليهم إقامـة شـعائره، و الاـلتزام بأحكـامه، و أن يربوا أنفسـهم تربيـة صالحـة، وفقا لأهـدافه و مراميه- قـد جعلهم- يحسون بالضـعف، و يشـعرون بأنهم قـد خسـروا واحدا من أهم حلفائهم و من هم على رأيهم، و لهم نفس أهدافهم و طموحاتهم بالنسـبة إلى مستقبل الإسلام و المسلمين ..

فخابت آمالهم، و تبخرت أحلامهم، التى كانوا قد نسجوها، و خدعوا أنفسهم بها ..

إذ إن من الواضـح: أن مجـاراة المنافقين للمسـلمين، إنما كانت- فى الأكثر- تهـدف إلى الحصول على بعض الامتيازات و المنافع، ثم يـديرون ظهـورهم إليهـم و يواصـلون مسـيرتهم بالطريقـة الـتى تروق لهـم، و بالأسـلوب الـذى يعجبهم و يحلـو لهم. فليس الإسـلام و المسلمون سوى وسائل توصلهم إلى تلك المآرب، و تحقق لهم هاتيكم الأهداف ..

و أمـا أولئـك الـذين أظهروا الإسـلام، لأـن ظروفهم و علاقـاتهم قـد فرضت عليهم ذلك، و كانوا بانتظار زوال ذلك الكابوس، فإنهم أيضـا قـد تلقوا ضـربة هائلـة و مخيفـة، و هم يرون الإسـلام تقوى شوكته، و يتعمق و يتجـذر، و يسـتقطب و يجتـاح كـل خصومهم، و يدمرهم، أو يقضى على مصادر القوة فيهم.

فكـان من الطبيعى أن نجـد المنافقين من أولئك و هؤلاء يشـتد حزنهم، و يتضاعف كمـدهم، و يكبر خوفهم، و لم يخف حالهم على أحد، و سجلهم التاريخ على صفحاته، ليخلد خزيهم، و ذلهم، فذكر المؤرخون: أنه حين

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۰

أجلى بنو النضير: «حزن المنافقون عليهم حزنا شديدا» «۱».

نماذج مثيرة:

و نجد فيما حفظه لنا التاريخ من تأوهات، و صرخات مكتومة و ظاهرة لبعض هؤلاء الذين كانوا يتعاطفون مع اليهود، رغم ما يرونه من غدرهم و مجانبتهم للحق- نجد- بعض ما يثير فينا عجبا لا حد له ..

فإن بعض الناس الـذين كنا و ما زلنا نرى و نسـمع لهم الكثير من المـدح و الثناء، و التعظيم و التبجيل، قد عبروا عن عميق احترامهم، و عن تعاطفهم مع أولئك الغدرة الفجرة، أعداء اللّه، و أعداء رسوله، فاقرأ النص التالى، و اعجب ما بدالك:

حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود:

حينما أجلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بنى النضير ..

«قال حسان بن ثابت، و هو يراهم و سراة الرجال على الرحال: أما و اللّه، أن لقد كان عندكم لنائل للمجتدى، و قرى حاضر للضيف، و سقيا للمدام، و حلم على من سفه عليكم، و نجدة إذا استنجدتم.

فقال الضحاك بن خليفة: وا صباحاه، نفسى فداؤكم؛ ماذا تحملتم به من السؤدد و البهاء، و النجدة و السخاء؟

قال: يقول نعيم بن مسعود الأشجعى: فدى لهذه الوجوه التى كأنها

---

(۱) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۷ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۶ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۱

المصابيح، ظاعنين من يثرب. من للمجتدى الملهوف؟ و من للطارق السـغبان؟ و من يسـقى العقار؟ و من يطعم الشـحم فوق اللحم؟ ما لنا بيثرب بعدكم مقام. الصـحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۹ ۲۱۱ حسـان بن ثابت يتعاطف مع اليهود: ..... ص : ۲۱۰

قال نعيم: ما هذا جزاؤهم منكم، لقد استنصرتموهم فنصروكم على الخزرج، و لقد استنصرتم سائر العرب؛ فأبوا ذلك عليكم.

قال أبو عبس: قطع الإسلام العهود.

قال: و مرّوا و هم يضربون الدفوف و المزامير الخ .. «۱».

و نلاحظ هنا:

ألف: إن حسان بن ثابت يمدح بنى النضير بأنهم كانوا يسقون المدام!! و كذلك نعيم بن مسعود الأشجعى ..

و معنى ذلك: هو أن إسـلام هؤلاء لم يكن معمقا، و لا راسـخا فى نفوسهم. و أنهم لا يزالون يهتمون بالمدام (أو العقار) و يتعشقونها، رغم نهى النبى عنها، و نزول القرآن بتحريمها ..

ب: إننا نلاحظ: أن حسان بن ثابت كان مقربا من الهيئة التى حكمت الناس بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، كما أنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب «عليه السلام»، و لم يبايعه، بل يقال: إنه سب

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۲

عليا «عليه السلام» و هجاه «۱».

ج: إن الأمور التى تمدح بها هؤلاء الأشخاص اليهود، لا تنطلق- فى أكثرها- من قيم إنسانية سامية، و إنما هى الحالات و الأوضاع التى يتطلبها واقع حياتهم، و خصوصـيات معيشـية فى مجتمع لا يملك نظرة بعيدة، و لا تقييما سليما للكون و الوجود، و للحياة و للإنسان .. فلتراجع الفقرات بدقة ليتضح ذلك ..

د: إن هـذا التعاطف الـذى نراه لا ينطلق من الإحساس الإنسانى، و لا من مثل أعلى، و إنما هو ينطلق من حالـة هلع و أسف على فوات

منافع دنيوية و مادية للمتأسفين بالدرجة الأولى ..

ه: إن تأسف حسان بن ثابت و غيره على بنى النضير، رغم أنهم قد رأوا بأم أعينهم ظلمهم و بغيهم، و غدرهم، و مجانبتهم للحق، لأمر يثير العجب حقا.

و لا ندرى إن كان ذلك يكفى لعد هؤلاء فى جملة الذين عنتهم الآية القرآنية التى تقول: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ «۲».

فهى لا تشمل الذين يفدون اليهود بأنفسهم، و يتأسفون عليهم لما نالهم، و يرون: أنهم لم يعاملوا بما يليق بهم، بل كانوا مظلومين فيما أصابهم.

---

(۱) راجع: قاموس الرجال ج ۳ ص ۱۱۸ فما بعدها.

(۲) الآية ۱۱ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۳

أم أن الآية لا يجوز أن تتجاوز عبد اللّه بن أبى و أصحابه المجهولين! على اعتبار أن حسانا و سواه من حوارىى الحكام بعد النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»، لا يفسقون بما يفسق به الآخرون- كما جاء فى السيرة الحلبية «۱»- و لا تشملهم الآيات التى تشمل غيرهم ممن هم على شاكلتهم و طريقتهم، ما دام أن نفس رضا الحكام عنهم يعطيهم مناعة و صلابة تجعلهم فى مأمن من كل العوادى، و ترفعهم عن مستوى هذا البشر العادى ..

إن المراجع لتأريخ التزوير و التحوير لسوف يدرك الحقيقة، و يعرف الغثاء و يميزه عن ذلك الذى يمكث فى الأرض مما ينفع الناس.

رواية شاذة لابن عمر:

و قد جاء فى رواية عن ابن عمر:

«.. إن يهود بنى النضير و قريظة، قتل رجالهم، و قسم نساؤهم، و أموالهم، و أولادهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحق برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فآمنهم، و أسلموا. و أجلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يهود المدينة من بنى قينقاع، و هم قوم عبد اللّه بن سلام الخ ..» «۲».

و واضح: أن ذلك لا يصح بالنسبة إلى بنى النضير؛ لأنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يقتل رجالهم، و لا سبى نساءهم و أولادهم، ليقسمها فيما بين المسلمين. و إنما أجلاهم عن أرضهم، و قسم أرضهم بين المسلمين ..

و عليه .. فلا يصح ما ذكره إلا بالنسبة لبنى قريظة؛ فإنهم هم الذين

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۲۰۴.

(۲) مسند أبى عوانة: ج ۴ ص ۱۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۴

جرى لهم ذلك ..

هذا .. و قد ذكرت هذه الرواية نفسها عن ابن عمر فى ذلك المصدر بالذات، و قد فصل فيها ما جرى لبنى قريظة، و لبنى النضير على

نحو أصح. فذكر جلاء بنى النضير و قتل بنى قريظة، و سبى نسائهم و أولادهم، فليراجعها من أراد «۱».

رواية أخرى تحتاج إلى إصلاح:

قال الهيثمى:

«باب غزوة بنى النضير: عن عبد اللّه بن أبى أوفى، قال: جاء جبريل إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و قد كلّ أصحابه، و هو يغسل رأسه، فقال: يا محمد، قد وضعتم أسلحتكم، و ما وضعت الملائكة بعد أوزارها. فكف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» شعره قبل أن يفرغ من غسله؛ فأتوا النضير؛ ففتح اللّه له.

رواه الطبرانى، و فيه نعيم بن حيان، و هو ضعيف، و قد وثقه ابن حبان، و قال: يخطئ» «۲».

و سياق الحديث يدل دلالة بينة على أن المقصود هو بنو قريظة؛ فإن هذه القصة إنما حدثت معهم؛ لا مع بنى النضير، و لعل هذا من أخطاء نعيم الذى ذكر ابن حبان: أنه يخطئ، و إن كان ثقة ..

---

(۱) مسند أبى عوانة ج ۴ ص ۱۶۴.

(۲) مجمع الزوائد: ج ۶ ص ۱۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۵

بنو النضير بمنزلة بنى المغيرة:

و قد جاء فى بعض النصوص: «و حملوا النساء و الصبيان، و تحملوا على ستمائة بعير، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: هؤلاء فى قومهم بمنزلة بنى المغيرة فى قريش» «۱».

و كلمة النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذه تشير إلى أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يعرف بدقة و بعمق خصائص الفئات و مزاياها، سواء فى ذلك أولئك الذين عاش معهم منذ نعومة أظفاره، و هم مشركو مكة، و قبائلها، أو أولئك الذين فرضت عليه الظروف أن يكون له منهم موقف سلبى أو إيجابى.

و إذا رجعنا إلى التاريخ، و نصوصه، فإننا نستطيع أن نعرف وجه الشبه بين بنى المغيرة فى قريش، و بنى النضير فى اليهود ..

فقد ذكرت بعض النصوص: أن بنى النضير: كانوا من بنى هارون «۲»، و ذلك مما يزيد فى شرفهم و عزهم بالنسبة إلى سائر اليهود، كبنى حارثة، و غيرهم، أما بنو قريظة، فإنهم، و إن كانوا من بنى هارون أيضا، إلا أن بنى

---

(۱) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۲۵۸ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۲ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۵.

(۲) التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۰ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲ و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۶۸ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ و ۱۶۸ و راجع المصادر الآتية فى الهامش التالى: و ذكر فى السيرة النبوية ج ۳ ص ۲۱۲ ذلك فى شعر لعباس بن مرداس. و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۶۴ و عمدة القارى ج ۱۷ ص ۱۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۶

النضير كانوا أكثر منهم مالا، و أحسن حالا، و كانوا ألف رجل، و بنو قريظة سبعمائة، و كانوا إذا قتل نضيرى قريظيا، فإنه يدفع نصف الدية و يجبه و يحمم (أى يسود وجهه، و يحمل على جمل، و يكون وجهه إلى ناحية ذنبه، و يطاف به) و إذا قتل قريظى نضيريا، فإنه

يدفع الدية كاملة، و يقتل به.

و للنضير القوة و السلاح و الكراع «۱».

و من جهة ثانية: فإن من الطبيعى أن ينعكس ذلك على نفسيات بنى النضير، و أن يشعروا بالزهو و الخيلاء، حتى إننا لا نجد مبررا لتكذيب النص الذى يقول: «إنهم استقبلوا بالنساء و الأبناء و الأموال، معهم الدفوف، و المزامير، و القيان يعزفن خلفهم بزهاء و فخر، ما رؤى مثله من

---

(۱) تفسير البرهان ج ۱ ص ۴۷۲، و راجع: ص ۴۷۳ و ۴۷۸ و تفسير القمى ج ۱ ص ۱۶۸ و ۱۶۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ و ۱۶۸ و تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۵۲۳ و ۵۲۴ و جامع البيان ج ۶ ص ۱۵۴ و ۱۵۷ و ۱۶۴ و ۱۶۵ و ۱۶۷ و غرائب القرآن للنيسابورى بهامش جامع البيان ج ۶ ص ۱۴۵ و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۶۰ و الجامع لأحكام القرآن ج ۶ ص ۱۷۶ و ۱۸۷ و ۱۹۱ و التبيان ج ۳ ص ۵۲۱ و راجع: ص ۵۲۴ و ۵۲۵ و التفسير الحديث ج ۱۱ ص ۱۰۷ و مجمع البيان ج ۳ ص ۱۹۴ و فتح القدير ج ۲ ص ۴۳ و ۴۴ و التفسير الكبير ج ۱۱ ص ۳۲۵ و ۱۲ و ۶ و عون المعبود ج ۱۲ ص ۱۳۶ و لباب التأويل ج ۱ ص ۴۶۸ و فى ظلال القرآن ج ۲ ص ۸۹۴ و الدر المنثور ج ۲ ص ۳۸۱ و ۲۸۳ و ۲۸۴ و ۲۸۵ و ۲۷۸ و ۲۸۸ عن أحمد، و أبى داود، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الطبرانى، و ابن مردويه، و عبد بن حميد، و ابن إسحاق، و ابن أبى شيبة و ابن أبى حاتم و الحاكم، و صححه، و البيهقى فى سننه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۷

حى من الناس فى زمانهم» «۱».

و عند الديار بكرى: «فعبروا من سوق المدينة» «۲».

و قال ابن الوردى: «فخرجوا و معهم الدفوف و المزامير تجلدا» «۳».

و قال الواقدى: «.. ثم شقوا سوق المدينة، و النساء فى الهوادج، عليهن الحرير و الديباج، و قطف الخز الخضر، و الحمر، قد صف لهم الناس.

فجعلوا يمرون قطارا فى إثر قطار، فحملوا على ستمائة بعير.

إلى أن قال: و مروا يضربون بالدفوف، و يزمرون بالمزامير، و على النساء المعصفرات و حلى الذهب، قال: يقول جبار بن صخر:

ما رأيت زهاءهم لقوم زالوا من دار إلى دار.

و نادى أبو رافع، سلام بن أبى الحقيق- و رفع مسك الجمل- (فى الحلبية: أن هذا المسك كان مملوءا من الحلى) و قال: هذا مما نعده لخفض الأرض و رفعها، فإن يكن النخل قد تركناه، فإنا نقدم على نخل بخيبر» «۴».

و حسب نص المسعودى: «.. فخرجوا يريدون خيبر، و هم يضربون بالدفوف، و يزمرون بالمزامير، و على النساء المصبغات، و المعصفرات، و حلى

---

(۱) السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۷۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۴۸ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۴ و منهاج السنة ج ۴ ص ۱۷۳.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲.

(۳) تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۵۹.

(۴) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۴ و ۳۷۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۸

الذهب، مظهرين بذلك تجلدا» «۱».

و لقد كان هذا أمرا متوقعا من فئة لم تزل موضع احترام و تبجيل من اليهود، و لا تريد أن تعترف بالهزيمة، و بكسر شوكتها، و ذهاب عزها، و أفول نجمها.

و قد بلغ هذا العز و المنعة: أن المسلمين ما ظنوا أن يخرجوا من ديارهم، كما صرحت به الآية الكريمة.

و عدا عن ذلك، فقد كان بنو النضير أهل جبروت و قسوة و بغى، و عنجهية، و اعتداد بالنفس، حتى إنهم ليظلمون إخوانهم من بنى قريظة، و هم أيضا من بنى هارون، ظلما فاحشا و مخالفا لأحكام التوراة الصريحة، و حتى لأحكام أهل الجاهلية أيضا.

ثم لا يوجد بينهم من يأنف من هذا الظلم و يمنع منه، أو يندد به، و يرفضه، لا من رؤسائهم، و لا ممن هم دونهم، من عقلائهم و أهل الدين منهم.

هذا باختصار حال بنى النضير فى قومهم.

أما حال بنى المغيرة فى قريش، فإنها أيضا تشبه حالة هؤلاء إلى حد كبير.

فقد كان بنو المغيرة، من بنى مخزوم، و كان العدد و الشرف و البيت فيهم «۲»، و كانت قريش- فيما زعموا- تؤرخ بموت هشام بن المغيرة «۳»، الذى أثنى عليه الكثيرون، و كذا الحارث بن هشام فإنه منهم، و هو موضع الثناء

---

(۱) التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳.

(۲) نسب قريش لمصعب ص ۲۹۹.

(۳) نسب قريش ص ۳۰۱ و راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۱۸ ص ۳۰۰ و ۲۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۱۹

و التعظيم أيضا «۱».

و منهم كذلك الوليد بن المغيرة، الذى هو أحد العظيمين اللذين أشار إليهما اللّه تعالى فى الآية الكريمة:

وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ «۲».

و قد رثى أبو طالب «رحمه اللّه» أبا أمية بن المغيرة فقال:

و قد أيقن الركب الذى أنت فيهمإذا رحلوا يوما بأنك عاقر فسمى زاد الراكب، و اسمه حذيفة، و كانت عنه عاتكة بنت عبد المطلب «۳».

و قد ذكر المعتزلى طائفة كبيرة من رجالهم و أمجادهم فى الجاهلية، و شطرا ممن تقلد منهم مناصب جليلة فى حكم الأمويين، و غيرهم، فليراجعه من أراد «۴».

و إن المتتبع لسيرة رجال بنى المغيرة من أمثال خالد بن الوليد، و أبى جهل، و الوليد بن المغيرة و غيرهم ليجد فيهم الكثير من الزهو و الخيلاء، حتى إن خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة و زنى بامرأته فى ليلة قتله، قد عاد إلى أبى بكر، و قد غرز فى عمامته أسهما، فانتزعها عمر، فحطمها، ثم قال له: أرئاء قتلت امرءا مسلما، ثم نزوت على امرأته؟! و اللّه، لأرجمنك بأحجارك. و القصة معروفة «۵».

---

(۱) راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۱۸ ص ۲۸۷ و ۲۹۰ و ۲۹۳ و ۲۹۴.

(۲) شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۱۸ ص ۲۹۱.

(۳) نسب قريش ص ۳۰۰ و راجع: شرح النهج ج ۱۸ ص ۲۹۱.

(۴) راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ۱۸ ص ۲۸۵ و ۳۰۹.

(۵) تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۲۸۰ و قاموس الرجال ج ۳ ص ۴۹۱ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۰

كما أن شدتهم و قسوتهم و جبروتهم تعتبر من الأمور الظاهرة، و قد عبر أمير المؤمنين «عليه السلام» عنهم بالفراعنة، حين قال:

«.. و قد علمت من قتلت به من صناديد بنى عبد شمس، و فراعنة بنى سهم، و جمح، و مخزوم» «۱».

فإن فراعنة بنى مخزوم كانوا من بنى المغيرة، لأنهم هم الذين كان العدد و الشرف و البيت فيهم، كما ألمحنا إليه فيما سبق.

إذا، فلا يجرؤ أحد على مناوأتهم و الرد عليهم، إلا إن كان من بنى عبد مناف، الذين لا يدانيهم أحد فى الشرف و السؤدد.

هذا كله .. بالإضافه إلى وضعهم المادى المتميز، كما يظهر من ملاحظة حياة الكثيرين منهم.

و هم بالإضافة إلى ذلك كله، أهل سياسة و كياسة، يأنس الإنسان إلى حديثهم، و يستلذ الجلوس إليهم، حيث قد روى أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال:

«أما بنو مخزوم، فريحانة قريش، تحب حديث رجالهم، و النكاح فى نسائهم» «۲».

و بعد ذلك كله: فقد أصبح واضحا إلى حد ما، سر جعل بنى النضير فى اليهود بمنزلة بنى المغيرة فى قريش.

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۸۴.

(۲) نهج البلاغة بشرح عبده ج ۳ ص ۱۷۸ الحكمة رقم ۱۲۰ و راجع مصادر نهج البلاغة و أسانيده ج ۴ ص ۱۰۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۱

ملاحظة:

و أخيرا .. فإن الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» هو الأسوة و القدوة فى كل شىء، و إن معرفته الدقيقة بواقع المجتمع الذى يعيش فيه، و يتعامل معه .. لتعطينا: أن هذه المعرفة لازمة و ضرورية لكل إنسان يصل إلى موقع القيادة، و يفترض فيه أن يتعامل مع الناس، و يسجل موقفا تجاههم؛ فإن العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس «۱».

نزول آية سورة المائدة فى بنى النضير:

و يقول البعض: إن قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ .. «۲». قد نزلت فى قضية بنى النضير، و محاولتهم الغدر بالنبى «صلى اللّه عليه و آله» «۳».

و نقول: إننا نشك فى ذلك، لما يلى:

أولا: إن نفس هذا القائل قد عاد فذكر بعد بضعة أسطر: أن هذه الآية قد نزلت فى قضية غورث بن الحارث «۴».

---

(۱) تحف العقول ص ۳۵۶ و البحار ج ۷۵ ص ۲۶۹.

(۲) الآية ۱۱ من سورة المائدة.

(۳) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۲ و تاريخ الإسلام للذهبى ص ۲۲۱ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۵ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۴.

(۴) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۲ و ۴۲۴ و راجع:
السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۶۶ عن ابن إسحاق، و أبى نعيم فى الدلائل، و ابن المنذر، و ابن جرير و عبد بن حميد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۲

و ذكرت حوادث أخرى فى شأن نزول الآية، فلتراجع فى مظانها «۱».

و دعوى البعض: جواز تكرار النزول «۲»، تحتاج إلى إثبات.

ثانيا: إن سورة المائدة كانت من آخر ما نزل على النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فلا يعقل أن يحتفظ بهذه الآية عدة سنوات، معلقة فى الهواء، حتى تنزل سورة المائدة، فيجعلها فيها «۳».

ثالثا: إنهم يقولون: إن سورة المائدة قد نزلت دفعة واحدة «۴».

التربية القرآنية:

إن من الأمور الظاهرة لكل أحد: أن القرآن الكريم، و فى نطاق اهتمامه الكبير بتربية الإنسان، و صقل فكره، و عقله، و مشاعره، و كل مناحى وجهات شخصيته، ليجعله إنسانا واعيا، و قويا و غنيا فى كل مواهبه، و طاقاته، قد اختار فى أسلوبه التربوى المنحى و الأسلوب الواقعى ليتصل به، و يدخل إلى حياته، و ينفذ إلى شخصيته، و إلى عمق وجوده، عن هذا

---

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۶۵ و ۲۶۷ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۴.

(۳) راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن أحمد، و أبى عبيد فى فضائله و النحاس فى ناسخه، و النسائى، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه و البيهقى فى سننه، و الترمذى و حسنه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير.

(۴) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲، فإنهم قد صرحوا بتاريخ نزول سورة المائدة، و صرح بأنها قد نزلت دفعة واحدة كل من: أحمد، و عبد بن حميد، و الطبرانى، و ابن جرير، و محمد بن نصر فى الصلاة، و أبى نعيم فى الدلائل، و البيهقى فى شعب الإيمان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۳

الطريق، فإن هذا الأسلوب هو الذى يتصل بالعقل، فيعطيه وضوحا و وعيا و أصالة، و يتفاعل مع الشعور ليمده بالحيوية و الفاعلية، و ينقله إلى رحاب الضمير، ليتربى و يتكامل فى ظل الوجدان، و تحت حمايته، ليصبح فى حالة متوازنة، مرضية و مقبولة ..

و هذا بالذات هو ما يفسر لنا اهتمام الإسلام بالتركيز على الحدث، ثم ربطه بالحقائق الكلية، بما لها من عموم و شمول، ليصبح ذلك الحدث هو الوسيلة الواقعية لربط هذا الإنسان بتلك الحقائق، و تفاعله معها.

و هكذا .. يتضح: أن القرآن حين يتحدث عن الوقائع و الأحداث، فإنه يفهمنا: أنه لا يريد أن يلقى على الإنسان حقائق مجردة، و منفصلة عن الواقع، و لا تلامسه و لا تلتقى معه، و ذلك حينما تبقى مجرد صورة ذهنية، و تخيلات مثالية باردة، لا تؤثر فى المشاعر، و لا تتصل بالعقل، و لا تتفاعل مع الوجدان.

و إنما هو يريدها حركة فى الفكر، و ثورة فى الشعور، و حالة متوازنة فى الوجدان، و تجسيدا واقعيا لكل ذلك على صعيد السلوك و الموقف.

اللّه هو الذى أخرجهم:

قال تعالى فى سورة الحشر: هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِى الْأَبْصارِ «۱».

---

(۱) الآية ۲ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۴

فنجده تعالى ينسب ما جرى لبنى النضير إلى نفسه، و يؤكد على ذلك بصور مختلفة .. حتى كأن ما فعله المسلمون ليس بشىء يعتد به فى موضوع إلحاق الهزيمة بهذا العدو.

بل إن المسلمين أنفسهم ما كانوا يظنون خروجهم، و لا يتصورونه. كما أن اليهود أنفسهم كانوا مطمئنين إلى أن حصونهم ستمنعهم. و لكن اللّه فتح حصونهم من الداخل، فقذف الرعب فى قلوبهم، فلم تنفعهم الحصون المادية شيئا.

و من الواضح: أن الهزيمة من الداخل هى الأساس للهزيمة المادية، فإذا سقطت القلوب، و تهاوت، و قذف فيها الرعب، فلسوف لن تنتفع بأى شىء آخر بعد ذلك، مهما كان قويا و كبيرا.

و نفهم من الآية بالإضافة إلى ما تقدم، ما يلى:

۱- إن الحرب النفسية لها دور كبير، بل لها الدور الأكبر فى تحقيق النصر الكبير عسكريا، فليلاحظ قوله: و قذف فى قلوبهم الرعب.

۲- إن العمل العسكرى الناجح، لا بد أن يعتمد على مبدأ المباغتة، من النواحى التى لا يحسب العدو لها حسابا.

۳- إن الاعتماد على اللّه فى تحقيق النصر، إنما يعنى إمكانية مواجهة العدو حتى فى حالة تفوقه العسكرى، و معنى ذلك .. أننا يجب أن لا ننتظر حتى يتحقق التوازن عسكريا و تسليحيا فيما بين قوى الإيمان و قوى الكفر، بل يمكن المبادرة لمواجهته، حتى فى صورة عدم التكافؤ فى الإمكانات المادية.

۴- إن العامل المادى ليس هو القوة الوحيدة، فإن العامل الروحى و المعنوى له قسط منها، فلا بد من أخذه بنظر الاعتبار.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۵

العز و الذل .. بما ذا؟

و يذكر النص التاريخى: أن سلام بن مشكم قد نصح حيى بن أخطب بقبول الجلاء من أول الأمر، حيث تبقى لهم أموالهم و نخلهم، فكان مما قاله له:

«إنا إنما شرفنا على قومنا بأموالنا و فعالنا، فإذا ذهبت أموالنا من أيدينا كنا كغيرنا من اليهود فى الذلة و الإعدام» «۱».

و نقول:

إن هؤلاء يرون: أن أموالهم هى مصدر عزتهم و عنوان شرفهم ..

و لكن الإسلام يقول: إن مصدر العزة و الشرف و الكرامة هو اللّه سبحانه، فعن الإمام الصادق «عليه السلام»: «من أراد عزا بلا عشيرة، و غنى بلا مال، و هيبة بلا سلطان، فلينتقل عن ذل معصية اللّه إلى عز طاعته» «۲».

و «من أراد أن يكون أعز الناس، فليتق اللّه عز و جل» «۳»، فإنه «لا عز أعز من التقوى» «۴»، و «من برئ من الشر نال العز» «۵».

إلى غير ذلك من النصوص، التى تجعل من العز وسيلة لتكامل الإنسان فى مدارج إنسانيته، و تهذيب نفسه، و تنزيهها عن كل النقائص،

(۱) مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۶۹.

(۲) ميزان الحكمة ج ۶ ص ۲۹۰ و ۲۹۱.

(۳) ميزان الحكمة ج ۶ ص ۲۹۰ و ۲۹۱.

(۴) ميزان الحكمة ج ۶ ص ۲۹۰ و ۲۹۱.

(۵) ميزان الحكمة ج ۶ ص ۲۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۶

و إبعادها عن كل ما يشين أو يزرى بها.

ثم هى تربط العز بالمنشأ لكل الكمالات، و المصدر لكل فيوضات الخير، و نزول البركات، ألا و هو اللّه سبحانه و تعالى، تقدست أسماؤه، و تباركت ذاته، و تعالت صفاته ..

مبالغات لا مبرر لها:

«.. و فى الحديث: يخرج فى الكاهنين رجل يدرس القرآن درسا، لم يدرسه أحد قبله، و لا يدرسه أحد بعده، فكانوا يرونه محمد بن كعب القرظى الخ ..» «۱».

و نحن بدورنا لا نستطيع قبول هذه الرواية، و لا نرى صحة انطباقها على الشخص المذكور.

فأولا: قد اشتهر كثير من الصحابة بدراسة القرآن، و ذكرت فى الروايات أقوال منسوبة إلى النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» فى حقهم، و أقوال أخرى منسوبة لغيره أيضا تشير إلى تفوقهم على محمد بن كعب فى دراسة القرآن، فراجع ما يروونه فى حق أبى بن كعب مثلا «۲»، و كذا ما

(۱) الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱. لكن بعض المصادر الأخرى قد ذكرت هذا الحديث، و لم تذكر فيه عبارة: «لم يدرسه أحد قبله» فراجع: سير أعلام النبلاء ج ۵ ص ۶۸ و تهذيب التهذيب ج ۹ ص ۴۲۱ و الطبقات الكبرى ج ۷ ص ۵۰۱.

(۲) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ۱ ص ۴۹ و راجع ص ۵۰ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۱۰۹ و أسد الغابة ج ۱ ص ۴۹ و تهذيب التهذيب ج ۱ ص ۱۸۸ و راجع:

الإيضاح لابن شاذان ص ۳۲۳ و ۳۳۰ و ۲۳۱ و فى هامشه عن طائفة من-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۷

يروونه فى حق ابن مسعود «۱»، أو على أمير المؤمنين «عليه الصلاة و السلام» «۲». هذا عدا عما يروونه و يقولونه فى حق غير هؤلاء أيضا .. و من

- المصادر، و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۶۶۴ و ۶۶۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱ ص ۸۲ و مشكل الآثار ج ۱ ص ۳۵۰ و ۳۵۱ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۴۷ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۰۵ و ج ۲ ص ۲۲۴ و تلخيص مستدرك الحاكم للذهبى بهامشه، و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۳۳۹ و مسند أحمد ج ۵ ص ۱۳۱ و حلية الأولياء ج ۱ ص ۲۵۱، و ج ۴ ص ۱۸۷ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۳۱۲ و الدر المنثور ج ۶ ص ۳۷۸ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۳۴۰.

(۱) راجع: كشف الأستار ج ۳ ص ۲۵۰ و ۲۴۹ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۱۸ و تلخيص المستدرك للذهبى بهامشه، و الإيضاح

ص ۲۲۳ و ۲۳۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۸۷ و ۲۸۸ عن أحمد، و أبى يعلى، و البزار، و الطبرانى، و صفة الصفوة ج ۱ ص ۳۹۹ و النهاية فى اللغة ج ۳ ص ۳۷۱ و مسند أحمد ج ۱ ص ۴۴۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱ ص ۸۲ و تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۱۴ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ (الذيل) ص ۲۸ و الإصابة ج ۲ ص ۳۶۹ و الإستيعاب بهامشه ج ۲ ص ۳۲۰.

(۲) راجع: تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۱۶ و مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۴۲ و الغدير ج ۶ ص ۳۰۸ عن: طبقات القراء ج ۱ ص ۵۴۶ و عن مفتاح السعادة ج ۱ ص ۳۵۱.

راجع: كشف الأستار ج ۳ ص ۲۵۰ و ۲۴۹ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۱۸ و تلخيص المستدرك للذهبى بهامشه، و الإيضاح ص ۲۲۳ و ۲۳۲ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۸۷ و ۲۸۸ عن أحمد، و أبى يعلى، و البزار، و الطبرانى، و صفة الصفوة ج ۱ ص ۳۹۹ و النهاية فى اللغة ج ۳ ص ۳۷۱ و مسند أحمد ج ۱ ص ۴۴۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱ ص ۸۲ و تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۱۴ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ (الذيل) ص ۲۸ و الإصابة ج ۲ ص ۳۶۹ و الإستيعاب بهامشه ج ۲ ص ۳۲۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۸

مثل على أمير المؤمنين «عليه الصلاة و السلام»؟ و هو الذى يقول:

«لو أردت أن أوقر على الفاتحة سبعين بعيرا لفعلت» «۱».

ثانيا: إننا لم نفهم المقصود من دارسى القرآن ممن سبقوا محمد بن كعب!! فهل كان القرآن موجودا قبل الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»، و قد درسه الناس، و عرفوه؟!

فإن محمد بن كعب القرظى، قد أسلم على يدى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و عاش معه!!

ثالثا: إن ما ذكروه عن محمد بن كعب يلغى دور عبد اللّه بن سلام الذى كان من نفس هؤلاء اليهود، و الذى يروون فى حقه- و إن كان ذلك كذبا أيضا-: أنه هو الذى عنده أم الكتاب «۲».

مع أن الصحيح: هو أنه على بن أبى طالب «عليه السلام» «۳». و قد تقدم تحقيق ذلك «۴».

و لعل سر تعظيم محمد بن كعب يرجع إلى أنه لا بد أن يصبح الخبراء فى

---

(۱) التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۱۸۳، و تفسير البرهان ص ۱۶ عن بشارة المصطفى.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۳۲۱ و الإستيعاب بهامشه ج ۲ ص ۳۸۳ و الدر المنثور ج ۴ ص ۶۹ عن: ابن مردويه، و ابن جرير، و ابن أبى شيبة، و ابن سعد، و ابن المنذر.

(۳) راجع: شواهد التنزيل ج ۱ ص ۳۱۰ و راجع ص ۳۰۸ و ۳۰۷ و راجع: مناقب الإمام على «عليه السلام» لابن المغازلى و دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۳۵ و نقل عن:

العمدة لابن البطريق ص ۶۱ و عن غاية المرام ص ۳۵۷ و ۳۶۰ و ۱۰۴ عن تفسير الثعلبى، و الحبرى «مخطوط» و عن الخصائص ص ۲۶.

(۴) تقدم ذلك فى هذا الكتاب فراجع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۲۹

القرآن، و الدارسون له، و الواقفون على أسراره و حقائقه هم أهل الكتاب، و خصوصا اليهود، الذين لا بد أن تبقى لهم هيمنتهم العلمية على الناس، و يستمرون فى نفث سمومهم، و نشر أضاليلهم، و تتاح لهم الفرص كلها لتحريف هذا الدين، و التلاعب بمفاهيمه و أحكامه، و ليستهدف ذلك التلاعب و التحريف نفس القرآن، الذى هو المنشأ و الأساس لكل حقائق الإسلام و تشريعاته.

صلاة الخوف فى بنى النضير:

و قد ذكر البعض: أن صلاة الخوف قد شرعت فى بنى النضير، و قيل:

فى ذات الرقاع «۱».

و حيث إننا سوف نتحدث إن شاء اللّه عن هذا الأمر فى غزوة ذات الرقاع، حيث يذكرون: أن هذه الصلاة قد شرعت حينها، أو فى غزوة الحديبية، كما سنرى، فإننا نرجئ الحديث عنها إلى هناك.

تحريم الخمر فى غزوة بنى النضير:

قال اليعقوبى و غيره: «.. و فى هذه الغزوة شرب المسلمون الخمر، فسكروا؛ فنزل تحريم الخمر» «۲».

---

(۱) الجامع للقيروانى ص ۲۷۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ عن شرح صحيح مسلم للنووى، و عن أسد الغابة.

(۲) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹ و راجع: تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۹۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۰ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و منهاج السنة ج ۴ ص ۱۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۰

و قال ابن الوردى: «نزل تحريم الخمر و هو محاصرهم (قلت): قال فى الروضة: إن غزوة بنى النضير سنة ثلاث: و إن تحريم الخمر بعد غزوة أحد و اللّه أعلم» «۱».

عن جابر بن عبد اللّه (رض) قال: حاصر النبى «صلى اللّه عليه و آله» بنى النضير، فضرب قبته قريبا من مسجد الفضيخ، و كان يصلى فى موضع الفضيخ ست ليال، فلما حرمت الخمر خرج الخبر إلى أبى أيوب، و نفر من الأنصار، و هم يشربون فيه فضيخا، فحلوا وقاء السقاء، فهراقوه فيه، فبذلك سمى مسجد الفضيخ «۲».

و روى القمى: أنه لما نزل تحريم الخمر خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى المسجد فقعد فيه، ثم دعا بآنيتهم التى كانوا ينتبذون فيها، فأكفأها كلها، و قال: هذه كلها خمر، و قد حرمها اللّه، و كان أكثر شيء أكفئ يومئذ من الأشربة الفضيخ، فلذلك سمى المسجد ب «مسجد الفضيخ» «۳».

و أكثر من ذلك كله جرأة على اللّه و رسوله «صلى اللّه عليه و آله» ما رووه عن ابن عمر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أتى بجرة فضيخ بسر، و هو فى مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سمى مسجد الفضيخ «۴».

---

(۱) تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۵۹ و راجع: أيضا التنبيه و الإشراف ص ۲۱۳.

(۲) تاريخ المدينة لابن شبة ج ۱ ص ۶۹ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۱ عنه و عن ابن زبالة و مرآة الحرمين ج ۱ ص ۴۱۸.

(۳) البحار ج ۶۳ ص ۳۸۷ و ۳۸۸ و ج ۷۶ ص ۱۳۲ و ۱۳۱ ط مؤسسة الوفاء.

(۴) مسند أبى يعلى ج ۱۰ ص ۱۰۱ و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۰۶ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۱۲ و ج ۲ ص ۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۱

و الفضيخ: عصير العنب، و شراب يتخذ من بسر مفضوخ، و مسجد الفضيخ هو المعروف بمسجد الشمس.

هذا كله عدا عن روايتهم: أن هناك من كان يهدى لرسول اللّه خمرا عدة سنوات إلى أن حرمت الخمر «۱».

و نقول:

أولا: إن تحريم الخمر- كما تقدم فى كتابنا هذا- قد كان فى مكة .. فإن كان لهذه الرواية حظ من الصحة فلا بد أن يكون الأصحاب قد خالفوا حكم اللّه فيها، و ارتكبوا الحرام، فنهاهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن ذلك، و ما ذكر آنفا عن أبى أيوب و نفر من الأنصار دليل على صحة ذلك.

ثانيا: إن منازل بنى النضير لم تكن فى جهة قباء، و لا مسجد الفضيخ، و ذلك لأنهم يقولون: إن مسجد الفضيخ يقع فى شرقى مسجد قباء، على شفير الوادى، على نشز من الأرض «۲».

و قد تقدم: أن منازلهم كانت بعيدة جدا عن هذا الموضع. فراجع ما ذكرناه فى هذا الجزء حين الكلام حول شعر حسان بن ثابت فى الرواية التى تبين أن فتح بنى النضير كان على يد على حين قتل عشرة منهم و جاء برؤوسهم إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

ثالثا: قد روى أحمد فى مسنده، عن ابن عمر: أن النبى «صلى اللّه عليه

---

(۱) راجع: تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۹۳ عن أبى يعلى، و عن أحمد فى عدة مواضع.

(۲) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۱ و مرآة الحرمين ج ۱ ص ۴۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۲

و آله» أتى له بفضيخ فى مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سمى مسجد الفضيخ «۱».

و نحن .. و إن كنا نكذب بصورة قاطعة شربه «صلى اللّه عليه و آله» للفضيخ- كيف، و قد كانت الخمر و كل مسكر قد حرم فى مكة، كما أن الخمر مما قد تسالمت الشرائع على تحريمه «۲» و قد رفض شربها عدد من الناس فى الجاهلية كما ذكرناه فى الجزء السادس من هذا الكتاب، تحت عنوان:

أقوال فى تحريم الخمر ..- و إن كنا نكذب ذلك-

إلا أننا نقول:

لا مانع من أن يؤتى إليه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك، فيرفضه و ينهى عنه، و قد يسمى المكان بما يشير إلى ذلك، لأجل استغراب الناس عمل ذلك الرجل الذى أتى إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بشىء قد حرمه منذ بعث، و لا يزال يؤكد تحريمه، و يمنع عنه.

---

(۱) مسند أحمد ج ۲ ص ۱۰۶ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۲ عنه، و عن أبى يعلى.

(۲) راجع الكافى ج ۶ ص ۳۹۵ و الوسائل ج ۱۷ ص ۲۳۷ باب تحريم شرب الخمر، و التهذيب ج ۹ ص ۱۰۲ و راجع: التنقيح الرائع ج ۱ ص ۱۵ و راجع أيضا: مفتاح الكرامة ج ۴ ص ۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۳

الفصل الخامس: كى لا يكون دولة بين الأغنياء

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۵

الخيانة و الفداء:

قد علمنا فيما سبق: أنه قد كان فيما بين بنى النضير، و بين المسلمين عهد و عقد .. و قد نقض بنو النضير عهدهم هذا، و خانوا و

غدروا، فكان من الطبيعى أن يهب المسلمون للدفاع عن أنفسهم، و أن يقاتلوا عدوهم، و أن يلقى هذا العدو جزاء غدره و خيانته ..

و حين رأى بنو النضير: أن الأمور تسير فى غير صالحهم، و أنهم قد أخطأوا فى حساباتهم خطأ فاحشا، و أن لا أحد يستطيع أن يمنع المسلمين من إنزال العقاب العادل بهم، فإنهم قد رضوا بأن يقدموا أموالهم و أرضهم لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى مقابل الإبقاء عليهم، و عدم قتلهم جزاء غدرهم و خيانتهم و صالحوا النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله» على ذلك؛ فكانت جميع أموالهم و أراضيهم خالصة له «صلى اللّه عليه و آله» يتصرف فيها كما يشاء.

أموال بنى النضير فى النصوص و الآثار:

قال السهيلى: «و لم يختلفوا: أن سورة الحشر نزلت فى بنى النضير، و لا اختلفوا فى أموالهم؛ لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل و لا ركاب، و إنما قذف الرعب فى قلوبهم، و جلوا عن منازلهم إلى خيبر، و لم يكن ذلك عن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۶

قتال من المسلمين لهم؛ فقسمها النبى «صلى اللّه عليه و آله» بين المهاجرين، ليرفع بذلك مؤونتهم عن الأنصار؛ إذ كانوا قد ساهموهم فى الأموال و الديار. غير أنه أعطى أبا دجانة، و سهل بن حنيف لحاجتهما.

و قال غير ابن إسحاق: و أعطى ثلاثة من الأنصار، و ذكر الحارث بن الصمة فيهم» «۱».

و عن عمر بن الخطاب، قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء اللّه على رسوله «صلى اللّه عليه و آله» لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فكانت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خالصة.

و كان ينفق على أهله منها نفقة سنة، و قال مرة: قوت سنة، و ما بقى جعله فى الكراع و السلاح عدة فى سبيل اللّه عز و جل «۲».

و نقول: لو صح ذلك من فعل النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فإنه يكون تبرعا منه «صلى اللّه عليه و آله» بما هو له، كسائر الأموال التى يملكها الإنسان و يرغب فى إنفاقها فى مورد خاص.

و قد جاء عن عمر بن الخطاب أيضا قوله: مال بنى النضير، كان فيئا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خاصة «۳».

---

(۱) مسند أحمد ج ۲ ص ۱۰۶ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۲ عنه، و عن أبى يعلى.

(۲) الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱. و حكاية الإجماع حول أموالهم فى فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۴.

(۳) مسند أحمد ج ۱ ص ۲۵ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۹ عن الصحيحين و غيرهما، و مسند أبى عوانة ج ۴ ص ۱۳۲ و ۱۴۰ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۲۸ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۵۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۵، و الجامع لأحكام-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۷

و كان عمر أيضا يقول: «كانت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ثلاث صفايا «۱»، فكانت بنو النضير حبسا لنوائبه ..»، ثم ذكر بقية الصفايا «۲».

و عبارة بعض المصادر: أنها كانت حبسا لنوائبه «۳».

- القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و أحكام القرآن للجصاص ج ۳ ص ۴۲۹ و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۲۰ و ۳۴ و الجامع الصحيح ج ۴ ص ۲۱۶ و سنن النسائى ج ۷ ص ۱۳۲ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۹۳ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۴۱ و الخراج للقرشى ص ۳۴ و المغنى لابن قدامة ج ۷ ص ۳۰۸ و ۳۰۹ و التبيان ج ۹ ص ۵۶۱ و ۵۶۲ و راجع: أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۲ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۲ عن بعض من تقدم، و عن ابن المنذر، و الأموال ص ۱۴ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۳ و تاريخ المدينة ج ۱ ص

۲۰۸ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۲ و ۲۶۳ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۸ و معجم البلدان ج ۵ ص ۲۹۰ و مدارك التنزيل مطبوع بهامش لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۷ لكن ليس فى المصادر الثلاثة الأخيرة: أن القائل هو عمر.

(۱) الصفايا: الغنائم التى يختاره الرئيس لنفسه.

(۲) التبيان ج ۹ ص ۵۶۱ و أنساب الأشراف قسم حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله» ص ۵۱۹ و ۵۱۸ و راجع المصادر التالية: (و لكنها لم تصرح باسم عمر) تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۰ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۰۱ و راجع ص ۲۰۳ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۶۰ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۸ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۲ و نسب هذا القول إلى الزهرى و محمد بن إسحاق فى كتاب الخراج للقرشى ص ۳۲.

(۳) المغازى ج ۱ ص ۳۷۷ و فتح القدير ج ۵ ص ۱۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۸

و فى نص آخر: حبسا لمواليه «۱». و لعله تصحيف.

و قال الزهرى: «.. و كانت أرض بنو النضير للنبى «صلى اللّه عليه و آله» خالصا، لم يفتحوها عنوة، افتتحوها على صلح الخ ..» «۲».

و كان أول أرض افتتحها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أرض بنى النضير «۳».

«و بقى منها صدقة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» التى كانت فى أيدى بنى فاطمة» «۴».

«و اصطفى منها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أموال بنى النضير، و كانت أول صافية قسمها رسول اللّه بين المهاجرين الأولين (و الأنصار).

و أمر عليا؛ فحاز ما لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فجعله صدقة، و كانت

---

(۱) فتوح البلدان قسم ۱ ص ۲۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹ عن الإمتاع و فتح البارى ج ۶ ص ۱۴۳ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۸ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۴۱ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۲ عنه و عن ابن مردويه و الخراج للقرشى ص ۳۴.

(۲) مسند أبى عوانة ج ۴ ص ۱۴۲.

(۳) فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۷.

(۴) سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۵۷ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۱ و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۹۸ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۳۶۱ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۹ عن عدة مصادر و فتح البارى ج ۶ ص ۱۴۰ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۱ و المناقب لابن شهرآشوب ج ۱ ص ۱۹۷ و الإرشاد للمفيد ص ۵۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۳۹

فى يده مدة حياته، ثم فى يد أمير المؤمنين «عليه السلام» بعده، و هو فى ولد فاطمة «عليها السلام» حتى اليوم» «۱».

و أرجع «صلى اللّه عليه و آله»- بعد فتح بنى النضير- الأراضى و الأشجار، التى كانت قد وهبت له إلى أصحابها من الأنصار.

و قيل: بل كان ذلك حين فرغ «صلى اللّه عليه و آله» من خيبر «۲».

أموال بنى النضير لم تخمس:

قالوا: «كانت بنو النضير صفيا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خالصة له حبسا لنوائبه، و لم يخمسها، و لم يسهم فيها لأحد. و قد أعطى ناسا من أصحابه، و وسع فى الناس منها، فكان ممن أعطى الخ ..» «۳».

و لكننا نجد بعض الروايات تقول: «إنه «صلى اللّه عليه و آله» خمسها، و ذهب إليه الشافعى، و أعطى منها ما أراد لمن أراد، و وهب العقار للناس،

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۰ ص ۱۷۳ و الإرشاد للمفيد ص ۵۰ و المناقب لابن شهرآشوب ج ۱ ص ۱۹۷ و كشف الغمة ج ۱ ص ۲۰۱ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳.

(۲) راجع: مسند أبى عوانة ج ۴ ص ۱۷۴- ۱۷۶ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۶۲ و ۱۶۳ و صحيح البخارى ج ۳ ص ۱۱ و ج ۲ ص ۱۲۵ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۳۶۸ و ۳۶۹ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲۵ و ۲۶ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۷ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰.

(۳) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و البحار ج ۲۰ ص ۱۶۶ عن الكازرونى، و راجع: تاريخ المدينة ج ۱ ص ۱۷۶ و زاد المعاد ج ۲ ص ۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۰

و كان يعطى من محصول البعض أهله و عياله نفقة سنة، و يجعل ما بقى مجعل مال اللّه» «۱».

و لكن دعوى تخميسها لا تصح: فإن الثابت هو أنها لم تفتح عنوة، و أنها مما أفاءه اللّه على رسوله، و الفيء لا يخمس، و إنما تخمس الغنيمة المأخوذة عنوة فى الحرب.

إلا أن يكون المراد: أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد خمس بعض ما أخذ من متاع القوم قبل وقوع الصلح .. فعممه هؤلاء لحاجة فى النفس قضيت.

و لعل دعوى التخميس لها تهدف إلى إلقاء الشبهة على مطالبة على «عليه السلام» و فاطمة «عليها السلام» و العباس بها. مع أن عمر بن الخطاب نفسه يصرح فى رواية المطالبة هذه «۲» بتركة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حينما انفرد أبو بكر برواية: نحن معاشر الأنبياء لا نورث و فيما سبق بأن أموال بنى النضير كانت من الفيء.

بل لقد ورد: أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول اللّه ألا تخمس ما أصبت من بنى النضير؟ كما خمست ما أصبت من بدر؟!

فقال: لا- أجعل شيئا جعله اللّه لى دون المؤمنين بقوله: ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى .. «۳» الآية .. كهيئة ما وقع فيه السهمان «۴».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲.

(۲) ستأتى هذه الرواية مع مصادرها فى الفصل السادس إن شاء اللّه تعالى.

(۳) الآية ۶ من سورة الحشر.

(۴) المغازى ج ۱ ص ۳۷۷ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۱

توضيحات للواقدى:

اشارة

قال الواقدى: «إنما كان ينفق على أهله من بنى النضير، كانت له خالصة، فأعطى من أعطى منها، و حبس ما حبس، و كان يزرع تحت النخل زرعا كثيرا. و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يدخل منها قوت أهله سنة، من الشعير و التمر لأزواجه، و بنى عبد المطلب، و ما فضل جعله فى الكراع و السلاح، و أنه كان عند أبى بكر و عمر من ذلك السلاح، الذى اشترى على عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد استعمل على أموال بنى النضير أبا رافع مولاه، و ربما جاء رسول اللّه بالباكورة منها. و كانت صدقاته منها، و من أموال مخيريق، و هى سبعة حوائط الخ .. «۱».

و نقول: إن لنا على ما تقدم ما يلى:

ألف: التعبير ب «صدقات» و «صوافى»:

فإن التعبير عن أموال بنى النضير، و عن أموال مخيريق ب «صدقات رسول اللّه» نجده لدى معظم المؤرخين و المؤلفين من إخواننا أهل السنة.

و هو تعبير فنى مدروس، قد جاء ليؤكد اتجاها سياسيا فرضه موقف السلطة مما حدث، من أجل تأكيد الحديث المزعوم الذى يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة.

هذا الحديث الذى أنكره على و فاطمة «عليهما السلام» و العباس و غيرهم.

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۲

فما كان من الفريق الآخر إلا أن أطلق على ما تركه الرسول «صلى اللّه عليه و آله» من أموال، و عقار اسم: «صدقة» «۱»، أو «صدقات».

و قالوا: «كل ما ترك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» تصدق به» «۲»، ليركزوا ذلك الأمر الذى انفرد به أبو بكر، و أنكره أهل البيت «عليهم السلام» فى أذهان الناس بصورة تلقائية و لا شعورية.

أما بالنسبة لقول عمر: إن بنى النضير كانت من صوافى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حبسا لنوائبه، فإن ذلك بهدف الإيحاء بأنها لا بد أن تعود إلى بيت المال بعده، أو للخليفة لتكون حبسا لنوائبه أيضا.

و لنا أن نعتبر هذا النحو من التعامل من لطائف الكيد السياسى، و من جملة حبائله .. و لكن ذلك لم يجدهم شيئا فى تغيير الحقيقة، فقد عبر الآخرون عن آرائهم بصراحة، و أبطلوا كيد هؤلاء و لم يمكن لأهل المكر و الخداع و الكيد: أن يحققوا من مكرهم هذا شيئا.

ب: حبائل ماكرة أخرى:

كما أننا نلاحظ: أن ثمة تعمدا و إصرارا على أمر آخر، يراد للناس أن يقبلوه و يصدقوه، و هو: أن رسول اللّه الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» يطعم أهله من أراضى بنى النضير، و خيبر، و حوائط مخيريق قوت سنة، ثم يجعل الباقى فى الكراع و السلاح.

و قد تقدم ذلك عن عمر بن الخطاب نفسه.

---

(۱) فى الطرائف ص ۲۸۳: «لعل أبا بكر و أتباعه هم الذين سموها صدقات».

(۲) التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۴۰۱ عن السهيلى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۳

و ليس من البعيد أن يكون سبب ذلك هو إرادة الإيحاء بأنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن يرى نفسه مالكا، بل هو يتعامل مع هذه الأراضى كما لو كانت ترجع إلى بيت مال المسلمين، الأمر الذى يؤكد صدق الحكام بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى دعواهم: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يورث، و حتى لو كان يورث، فإن تعامله هذا يدل على أنه لم يكن مالكا.

و إذا .. فما وعد به أبو بكر، من أنه يطعم آل رسول اللّه قوت سنة، و يجعل الباقى فى الكراع و السلاح، لا يعتبر خروجا عما رسمه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بل يكون متبعا له، و مقتديا به؛ فرفض أهل البيت «عليهم السلام» لهذا العرض يصبح بلا مبرر ظاهر، و تكون الزهراء «عليها السلام» هى المخالفة للرسول الكريم «صلى اللّه عليه و آله»، و لأحكام الشرع و الدين الحنيف، و تطلب ما ليس لها بحق، و تصر على طلبها هذا، رغم توضيح الأمر لها!.

و لكننا مع ذلك نقول:

إنه حتى لو صح أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان يفعل ذلك، و صح أيضا: أن هذا السلاح قد بقى عند أبى بكر و عمر؛ فإنه لا يدل على عدم ملكية الرسول «صلى اللّه عليه و آله» لتلك الأراضى، بعد أن نص القرآن العظيم على ملكيته «صلى اللّه عليه و آله» لها. حيث يمكن أن يكون إنما يفعل ذلك تبرعا، و إيثارا لرضا اللّه سبحانه، و طلبا لمثوبته التى يرغب بها كل مؤمن.

لا سيما و أن القرآن قد حث الناس على أن يجاهدوا فى اللّه بأموالهم و بأنفسهم. و من أولى من الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» بالمسارعة إلى امتثال أمر اللّه هذا؟!.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۴

أموال بنى النضير فىء أم غنيمة؟

قال النيسابورى:

«اعترض بعضهم: بأن أموال بنى النضير أخذت بعد القتال؛ لأنهم حوصروا أياما، و قاتلوا و قتلوا، ثم صالحوا على الجلاء؛ فوجب أن تكون تلك الأموال من الغنيمة، لا من الفىء.

و أجاب المفسرون من وجهين:

الأول: إنها لم تنزل فى بنى النضير، و إنما نزلت فى فدك، و لهذا كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ينفق على نفسه، و على عياله من غلة فدك، و يجعل الباقى فى السلاح و الكراع.

الثانى: تسليم أنها نزلت فيهم، و لكن لم يكن للمسلمين يومئذ كثير خيل، و لا ركاب، و لم يقطعوا إليها مسافة كثيرة، و إنما كانوا على ميلين من المدينة؛ فمشوا على أرجلهم، و لم يركب إلا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و كان راكب جمل؛ فلما كانت العاملة قليلة، و لم يكن خيل، و لا ركاب، أجراه اللّه مجرى ما لم يكن قتال ثمة» «۱».

و نقول:

۱- إن ما ذكره من أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان يجعل باقى

---

(۱) راجع: التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۴ و ۲۸۵، و غرائب القرآن (مطبوع) بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۷ و ۳۸ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و ۱۲ فإنه ذكر ذلك ضمنا و أجاب عنه كذلك، حيث قال: و لم يكن ثمة قتال على التحقيق؛ بل جرى مبادئ القتال، و جرى الحصار الخ ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۵

غلة فدك فى السلاح و الكراع، بعد أن ينفق على نفسه و عياله «صلى اللّه عليه و آله» منها .. محل مناقشة و بحث، فإن من المقطوع به: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أعطى فدكا لابنته فاطمة «عليها السلام»، و قد استولت عليها السلطة بعد ثمانية، أو عشرة أيام من وفاته «صلى اللّه عليه و آله».

و قد جريت بين الزهراء «عليها السلام» و بين أبى بكر مناقشات و محاورات انتهت بإصرار الخليفة على ما أقدم عليه، فغضبت الزهراء عليه حتى ماتت، و هى مهاجرة له و لنصيره عمر، و أوصت بأن تدفن ليلا و لا يحضرا جنازتها «۱».

ففدك لم تكن فى يد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و لسوف نتحدث عن هذا الأمر بشىء من التفصيل بعد غزوة خيبر إن شاء اللّه تعالى.

۲- إنه إذا كانت فدك خالصة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و إذا كان قد أنفق غلتها فى الكراع و السلاح؛ فإنما فعل ذلك تكرما، و طلبا للأجر و الثواب، و إيثارا منه «صلى اللّه عليه و آله» على نفسه، حسبما ألمحنا إليه، و ليس لأجل أن حكم الفىء هو ذلك- و إن كنا نحتمل قويا أن تكون دعوى ذلك من موضوعات خصوم أهل البيت «عليهم السلام» بهدف التشكيك فى أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد نحلها لفاطمة الزهراء «عليها صلوات ربى و سلامه».

---

(۱) ستأتى مصادر ذلك كله إن شاء اللّه، حين الحديث حول فدك بعد غزوة خيبر إن شاء اللّه تعالى. و بالإمكان مراجعة كتاب: أصول مالكيت (فارسى) للأحمدى، و فدك للقزوينى، و دلائل الصدق، و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۶

۳- و لربما يؤيد القول بأن سورة الحشر قد نزلت بعد واقعة بنى النضير، التعبير بقوله: مِنْ أَهْلِ الْقُرى حيث إن وادى القرى قد افتتحت بعد ذلك.

و لكنه تأييد غير تام: فإن الحكم فى الفىء عام، و لا- يختص بأهل وادى القرى، كما أنه لم يثبت كون المراد بأهل القرى هو وادى القرى، إذ يمكن أن يكون المراد: أهل البلاد مطلقا.

أضف إلى ذلك: أن الآية التالية، المشيرة إلى إعطاء المهاجرين، و عدم تغيظ الأنصار من إعطاء إخوانهم، بل هم يؤثرونهم على أنفسهم، و لو كان بهم خصاصة- إن هذه الآية- تؤيد كون المراد هو بنو النضير، لأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يعط الأنصار من أموالهم شيئا، سوى رجلين أو ثلاثة، كما أوضحناه حين الكلام حول تقسيم أراضى بنى النضير، فليراجعه من أراد.

۴- إن ما ذكر فى الجواب الثانى غير تام، فإن كثرة الخيل و الركاب، و قلتها، و بعد المسافة و قربها لا يؤثر شيئا فى حكم الفىء، ما دام أن الملاك هو الأخذ عنوة و عدمه، كما أن كثرة القتال و قلته لا يؤثر فى ذلك شيئا.

الجواب الأمثل:

و عليه .. فالأولى فى الجواب: أن يقال: إن القتال الذى كان- إن صح أنه قد كان ثمة قتال- لم يكن به الفتح، و إنما فتحت صلحا، و هذا هو الميزان فى الفىء و الغنيمة، فإن كان الفتح صلحا كان فيئا، و إن كان بقتال كان غنيمة، فالحكم تابع للنتيجة، مهما كانت مقدماتها.

هذا .. بالإضافة إلى أن ما أرعب اليهود و جعلهم ييأسون، و حملهم على الصلح لم يكن هو القتال المشار إليه، و إنما كان قطع النخيل، و إحراقه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۷

ثم كان قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» للعشرة هو السبب فى استجابتهم للصلح، كما تقدم ..

و أما بالنسبة لما يذكرونه من قتال، فنحن لا نستطيع أن نؤكد صحته، بل القرآن و التاريخ يدلان على عدمه، و إن كنا لا نمانع من أن تكون قد جرت بعض المناوشات اليسيرة، و لكنها لم تكن سبب الفتح قطعا.

المهاجرون .. و أموال بنى النضير:

لقد هاجر من مكة عدد كبير من الذين أسلموا، و تركوا ما كانوا يملكونه وراءهم، و قد قدم الأنصار لهم كل ما أمكنهم تقديمه من العون و الرعاية، حتى لقد أرادوا أن يقاسموهم أموالهم؛ فمنعهم النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله»، و أمرهم أن يعملوا فى مزارعهم و بساتينهم وفقا لقواعد المساقاة و المزارعة، و هكذا كان «۱».

و حين أفاء اللّه على رسوله أموال و أراضى بنى النضير، كانت خالصة له «صلى اللّه عليه و آله»، بمقتضى قوله تعالى: .. ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ «۲».

و قد روى القرشى عن الكلبى أنه قال: «قسم رسول اللّه «صلى اللّه عليه

---

(۱) مسند أبى عوانة: ج ۴ ص ۱۷۴ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۶ ص ۱۱۶ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۶۲.

(۲) الآية ۷ من سورة الحشر. و ليراجع هنا: مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۰ و التبيان ج ۹ ص ۵۶۲ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۸ و ۱۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۸

و آله» أموال بنى النضير، إلا سبعة حوائط منها، أمسكها و لم يقسمها» «۱».

حكاية قسمة الأراضى:

ثم إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد خيّر الأنصار، بين أن يقسم ما أفاءه اللّه عليه، عليهم و على المهاجرين، و يكون المهاجرون مع الأنصار كما كانوا، و بين أن يخص المهاجرين بها، فيستقلون عن الأنصار، و يرجعون إليهم أراضيهم.

فقال السعدان- سعد بن معاذ، و ابن عبادة-: بل نقسم أموالنا و ديارنا على المهاجرين، و يؤثرونهم بالقسمة أيضا، و لا يشاركونهم فيها، فاقتدى بهما سائر الأنصار، فأنزل اللّه: وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ «۲».

فقسمها النبى «صلى اللّه عليه و آله» بين المهاجرين، و أمرهم برد ما كان للأنصار حسب تعبير الحلبى «۳».

---

(۱) الخراج للقرشى: ص ۳۶.

(۲) الآية ۹ من سورة الحشر.

(۳) راجع: فيما تقدم، كلا، أو بعضا المصادر التالية: البحار ج ۲۰ ص ۱۷۱ و ۱۷۲ و فى هامشه عن الإمتاع للمقريزى ص ۱۸۲ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۶۰ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۳۶۸ و ۳۶۹ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۰ و مسند أبى عوانة ج ۴ ص ۱۷۵ و السنن الكبرى ج ۶ ص ۱۱۶ و فتح البارى ج ۷ ص ۲۵۶ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۹ و تاريخ المدينة ج ۲ ص ۴۸۹ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۸ و ۲۶۹ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۶۳ و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۹ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۴۱ و ۴۲ و فتح القدير ج ۵ ص ۲۰۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۴۹

فكانت أول صافية قسمها «صلى اللّه عليه و آله» بين المهاجرين الأولين «۱».

و فى بعض المصادر: أن المهاجرين إنما ردوا ما كان للأنصار بعد الفراغ من خيبر «۲».

محاسبات دقيقة:

إننا رغم أننا نشك فى إرجاع المهاجرين أموال الأنصار، و نحتمل قويا:

أن يكون الهدف من هذا الزعم هو تقوية موقف المهاجرين، حيث لا يكون للأنصار- و الحالة هذه- فضل يذكر، إلا أننا نغض النظر عن ذلك فنقول:

يرد هنا سؤال، و هو: أنه إذا كانت أموال بنى النضير خالصة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بنص القرآن الكريم، فلماذا يطلب «صلى اللّه عليه و آله» موافقة الأنصار على أن يخص المهاجرين بها؟

أليس هو «صلى اللّه عليه و آله» حر التصرف فيما ملّكه اللّه إياه، يضعه

- و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۲۵ و ۲۳ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۶ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۷ و الكشاف ج ۴ ص ۵۰۵ و جوامع الجامع ص ۴۸۷ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۹ و الخراج للقرشى ص ۳۳ و راجع: الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۰ و عمدة القارى ج ۱۵ ص ۴۷ و إرشاد السارى ج ۵ ص ۲۱۰.

(۱) فتوح البلدان: قسم ۱ ص ۲۱ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۳ و فى هامشه عن المناقب ج ۱ ص ۱۶۹ و ۱۷۰ و عن الإرشاد ص ۴۹ و ۴۸.

(۲) صحيح مسلم ج ۵ ص ۱۶۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۳۶۸ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۰

حيث يشاء، و يعطيه لمن يشاء!.

و نحن فى مقام الإجابة على هذا السؤال نشير إلى ما يلى:

۱- إنه «صلى اللّه عليه و آله» يريد أن لا يسيء أحد من الأنصار تفسير تصرفه ذاك، فيتوهم: أن ذلك منه «صلى اللّه عليه و آله» بسبب حبه لقومه دونهم، أو لغير ذلك من أسباب.

كما أنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يريد أن يثير فى الأنصار حسدا لا مبرر له، أو ما هو أكثر من الحسد، و هم يرون إخوانهم يحصلون على الأموال و الأراضى دونهم، حتى و لو كانوا يعلمون: أن هذا المال ملك لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يضعه حيث يشاء، و يعطيه لمن أراد، و يعلمون أيضا:

أنه لا ينطلق فى إعطائه ذاك من سلبيات يخشون وجودها.

۲- إنه يريد للمسلمين جميعا: أن لا يفهموا هذا التصرف على أنه امتياز لهم دون غيرهم، و ليتخذ ذلك أصحاب الأهواء منهم ذريعة للابتزاز، أو لإعمال سياسات ظالمة تجاه إخوانهم من الأنصار، حينما تسنح لهم الفرصة لذلك.

۳- إنه يريد للمسلمين جميعا أن يفهموا: أن على القيادة أن لا تستبد بالرأى و بالتصرف، فإن التفاهم، و المشاركة فى الرأى، و عدم التفرد فيه، يجب أن يكون هو السمة المميزة للإنسان المسلم.

۴- إنه «صلى اللّه عليه و آله» يريد أن يعلم الأنصار، و يستفيد من ذلك المهاجرون درسا فى الإيثار على النفس ما دام أن ذلك من شأنه أن يوثق عرى المودة، و يثير كوامن الحب فى مجتمع يشعر أعضاؤه بآلام و مشاكل بعضهم البعض، و يعملون على حلها، و يبذلون جهدهم فى هذا السبيل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۱

۵- كما أننا نستفيد بالإضافة إلى ما تقدم الأمور التالية:

ألف: أنه كما أن من مسؤوليات قائد الأمة تصريف أمور الرعية، و رعاية شؤونها، و إدارتها، و هدايتها إلى أفضل السبل و أجداها فى دفع الأخطار الكبرى عنها، و حل المعضلات التى ربما تواجهها ..

كذلك فإن من مسؤولياته تربية الأمة تربية صالحة، و رعاية شؤونها الروحية و تزكيتها، و بعث الفضائل و السجايا الكريمة فى نفوس أبنائها جماعات و آحادا، ثم إبعاد كل ريب ورين عنها؛ لتكون خالصة خلوص الجوهر، نقية صافية صفاء النور ..

هذا بالإضافة إلى رعاية العلاقات الروحية فيما بين أفراد و جماعات الأمة، لتبقى سليمة و حميمة، و قائمة على أسس قوية و ثابتة من تلك السجايا و السمات و الصفات الراسخة فى أعماق الذات الإنسانية ..

فلا يجوز أن يصدر منه أى عمل- حتى و لو كان بملاحظة خصوصيته الفردية، و العادية حلالا و مباحا له- من شأنه أن يلحق أدنى ضرر فى البنية الاجتماعية، سواء على المستوى النفسى أو الفكرى، أو المادى، أو غير ذلك.

كما أن عليه أن يتكهن بآثار أى عمل يصدر منه، و يقدر ما له من سلبيات و إيجابيات مستقبلية، و على جميع المستويات.

ب: إن ما تقدم يوضح لنا مدى حساسية موقع هذه القيادة، و خطورة مسؤولياتها، و يوضح كذلك: أنه ليس باستطاعة كل أحد؛ أن يتسلم أزمة الحكم، و يتولى مسؤوليات قيادية، إلا إذا اجتمعت فيه خصال و مواصفات ذات طابع معين، من شأنها أن تساعد على تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الأهداف التى تتوخاها الأمة من قياداتها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۲

ج: إن ما فعله الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» قد أفهمنا أنه يفترض فى القائد: أن يرعى الشؤون المادية للأمة، و لو من ماله الخاص، حينما لا يكون ثمة مصادر أخرى قادرة على سد حاجاتهم فى هذا المجال.

د: و درس آخر نتعلمه من موقف النبى «صلى اللّه عليه و آله» هنا، و هو: أن الإنسان، و إن كان له الحق فى أن يتصرف فى ماله كيف يشاء، و لكن حينما تنشأ عن هذا التصرف سلبيات من نوع ما، فإن عليه أن يعمل على معالجة تلك السلبيات، و أن يعطى تصرفه مناعات كافية، تحصن الواقع من أن تنشأ فيه تلك السلبيات، أو أن تؤثر أثرها البغيض المقيت، حتى و لو كانت تلك السلبيات ناشئة عن تقصير الآخرين، أو عن سوء تصرفهم، أو عن عدم التزامهم الأكيد بالحدود و القيود التى يفترض التزامهم بها، أو غفلتهم عن ذلك، بل و حتى لو كان ذلك من قبيل الطموحات الباطلة و اللامشروعة، أو التى تستتبع حسدا لا مبرر له لدى الآخرين، أو حقدا كذلك.

ه: إننا نلاحظ: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد كانت معالجته لسلبيات لا مبرر لها بطريقة بناءة و رائدة، ثم هى زاخرة بالمعانى الإيجابية الكبيرة، التى من شأنها ليس فقط أن تؤثر فى الصيانة و الحصانة بدرجة كافية، و إنما هى تساهم بدرجة كبيرة فى تكامل الأمة، و فى حصولها على المعانى و السجايا الإنسانية، ثم تعميقها و ترسيخها بصورة عملية، لا بمجرد التنظير، و إطلاق الشعارات فى الهواء.

و هذا هو الأسلوب الأمثل و الأجدى فى بناء الأمة، و تأكيد خصائصها الإنسانية، و سجاياها الكريمة الفضلى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۳

المستفيدون من أراضى بنى النضير:

و يذكر المؤرخون أسماء طائفة من الناس أعطاهم الرسول «صلى اللّه عليه و آله» من أراضى بنى النضير، بل يرى البعض: أنه لم يعط سوى الأشخاص التالية أسماؤهم و هم:

۱- أبو بكر بن أبى قحافة؛ فقد حصل على موضع يقال له: «بئر حجر» «۱».

۲- عمر بن الخطاب، الذى حصل على موضع يقال له: «جرم» «۲».

۳- عبد الرحمن بن عوف، الذى حصل على موضع يقال له: «سوالة»، أو «كيدمة»، و هو الذى يقال له: «مال سليم» «۳».

۴- الزبير بن العوام، الذى حصل على أرض يقال لها: «بويّلة» «۴».

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۹ و راجع: فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۸ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹ و معجم البلدان ج ۵ ص ۲۹۰.

(۲) راجع: المصادر المتقدمة باستثناء فتوح البلدان.

(۳) وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۲۹۶ و ج ۳ ص ۹۴۵ و معجم البلدان ج ۴ ص ۴۹۷ و راجع ج ۵ ص ۲۹۰ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۹ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و راجع: فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۸ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹.

(۴) طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸، لكنه ذكر بويلة له و لأبى سلمة بن عبد الأسد، و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۲۱ و ۲۲ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۵۷ و إرشاد السارى ج ۴ ص ۲۱۰ و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۷ ص ۱۴۷ عن صبح الأعشى ج ۱۳ ص ۱۰۵ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹ و نيل الأوطار ج ۶ ص ۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۴

۵- صهيب بن سنان، حصل على أرض يقال لها «ضراطة» «۱».

۶- أبو سلمة بن عبد الأسد، حصل على أرض من بنى النضير، عند الواقدى أن اسمها: «بويلة» شاركه الزبير فيها أيضا، كما أشرنا إليه «۲».

۷- أبو دجانة.

۸- و سهل بن حنيف، حصلا على أرض يقال لها: «مال ابن خرشة» «۳».

---

(۱) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۵۸ و راجع ج ۳ ص ۱۰۴ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۷۹ و ۳۸۰، و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹.

(۲) طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۸۰ و ذكرا أنه «صلى اللّه عليه و آله» أعطاه (بويلة) و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۱۵۷ و راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹.

(۳) راجع: مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۸۰ و ۳۷۹ و السيرة النبوية ج ۳ ص ۲۰۱ و ۲۰۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۵۵۵ و التبيان ج ۹ ص ۵۶۳ و الإكتفاء ج ۲ ص ۱۴۸ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و راجع ص ۱۴ و ۲۴ و راجع: البحار ج ۲۰ ص ۱۷۱ و تفسير القمى ج ۲ ص ۳۶۰ و فى هامش البحار عن الإمتاع ص ۱۸۲ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۰ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۱ و ۱۷۷۲ و التفسير الكبير ج ۲۸ ص ۲۸۵ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و منهاج السنة ج ۴ ص ۱۷۳ و الخراج للقرشى ص ۳۲ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۱۳ و جوامع الجامع ص ۴۸۷ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۵۹ و راجع: تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۹ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۵۸ و فتوح البلدان قسم ۱ ص ۱۸ و ۱۹ و ۲۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۵

۹- الحارث بن الصمة، استفاد هو الآخر من ذلك حسبما ذكروه «۱».

و عند البعض: الحرث بن أبرهة «۲».

و الظاهر: أنه تصحيف.

۱۰- و أعطى- كما زعموا- سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق «۳».

- و المصنف ج ۶ ص ۳۶۱ لكنه لم يسم الرجلين، و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و جامع البيان ج ۲۸ ص ۲۸ و أشار إليه فى سنن أبى داود ج ۳ ص ۱۴۳ و ۱۵۷ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۲ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۹۹ و تاريخ المدينة ج ۲ ص ۴۹۰ و الكامل فى التأريخ ج ۲ ص ۱۷۴ و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۹۲ عن ابن مردويه و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۳۳۲ و أنساب الأشراف (قسم حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله») ص ۵۱۸ و معجم البلدان ج ۵ ص ۲۹۰.

(۱) مجمع البيان ج ۹ ص ۲۶۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۵۱ و ۴۶۲ عن المدارك، و معالم التنزيل و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۹، و قال: «نظر فيه بعضهم: بأنه قتل فى بئر معونة»، و لباب التأويل ج ۴ ص ۲۴۶ و جوامع الجامع ص ۴۸۷ و التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۸۵ و الكشاف للزمخشرى ج ۴ ص ۵۰۵ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۸ ص ۱۱ و راجع ص ۱۴ و ۲۴ و أحكام القرآن لابن العربى ج ۴ ص ۱۷۷۱ و ۱۷۷۲ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۱ عن غير ابن إسحاق، و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۱۶ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۹۷.

(۲) غرائب القرآن، مطبوع بهامش جامع البيان ج ۲۸ ص ۳۸.

(۳) تاريخ الإسلام للذهبى (قسم المغازى) ص ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ۱۸ ص ۱۱، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۷۹، و السيرة الحلبية للحلبى الشافعى ج ۲ ص ۲۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۶

۱۱- و أعطى عثمان بن عفان أيضا بعض أراضى بنى النضير، فى مكان يقال له: الدومة «۱».

نصان غير متوافقين:

و نشير هنا إلى نصين غير متوافقين، و هما:

۱- ما قاله العينى: «.. و لم يخمس، و لم يسهم منها لأحد، إلا لأبى بكر، و عمر، و ابن عوف، و صهيب بن سنان، و الزبير بن العوام، و أبى سلمة بن عبد الأسد، و أبى دجانة» «۲».

فالعينى إذا يرى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يعط أحدا غير هؤلاء.

و لكن التعبير ب «يسهم» فيه شيء من المسامحة؛ لإشعاره بأنها مفتوحة عنوة، و ليس الأمر كذلك.

۲- قال ابن شبة: «.. عن محمد بن إسحاق، قال: قسمها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى المهاجرين إلا سهل بن حنيف، و أبى دجانة، و كذا نفرا، فأعطاهما منها» «۳».

و قال النسفى: قد أعطى ثلاثة من الأنصار «۴». لكنه لم يذكر لنا أسماءهم بالتحديد.

فنجد العينى لا يذكر سهل بن حنيف، و نجد آخرين يذكرون سهلا

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۳ ص ۹۴۴ عن ابن شبة.

(۲) عمدة القارى ج ۱۸ ص ۱۲۶.

(۳) تاريخ المدينة ج ۲ ص ۴۹۰.

(۴) مدارك التنزيل (مطبوع بهامش لباب التأويل) ج ۴ ص ۲۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۷

و أبا دجانة، و نجد عددا آخر يصر على أنهم ثلاثة من الأنصار، و لعله يقصد الحارث بن الصمة؛ فإنه أنصارى أيضا.

و لكن ابن شبة ذكر سهلا و أبا دجانة، و كذا نفرا من الأنصار.

و معنى ذلك: هو أنه قد أعطى الثلاثة الآنفة أسماؤهم.

مع أن ظاهر النصوص: الحصر بهم، أو بواحد، أو باثنين منهم. فالأولى الاقتصار على ذلك، إلى أن يرد ما يؤيد كلام ابن شبة.

كى لا يكون دولة بين الأغنياء.

و قد علل اللّه سبحانه عطاء بعض الفئات دون بعض، من الفيء بقوله: وَ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ وَ لكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ «۱».

و نستفيد من هذه الآية الأمور التالية:

الأول: إنه سبحانه قد علل إعطاء الفيء للفقراء اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل بأن لا يكون المال محصورا بين الأغنياء، يتداولونه فيما بينهم.

و هذا يعطى: أن الإسلام يريد أن يمكن الجميع من الحصول على المال، و لا يكون حكرا على جماعة دون غيرها.

---

(۱) الآيتان ۶ و ۷ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۸

أى أنه يريد للمال أن يتحرك، و أن ترتفع الموانع و الحواجز من طريقه و ينطلق من خلال الالتزام بالحكم الإلهى، و الوقوف عند الحدود الشرعية، لتتداوله جميع الأيدى فلا بغى من أحد على أحد، و لا استئثار بشيء دون الآخرين و إنما الإيثار على النفس، و لو مع شدة الحاجة و الخصاصة.

كما أنه يريد للفقير: أن يحصل على المال بصورة مشروعة، و من دون منة من أحد عليه، ما دام أن المال قد أعطاه اللّه إياه، و ليس لأحد من الخلق فيه أى دور.

الثانى: إن الإسلام حين قبل بالملكية الفردية، و جعل القوانين و النظم لحمايتها، و قبل أيضا بملكية الدولة و الجهة، و أعطى المجال لطموحات الإنسان، و قدراته الخلاقة للتعبير عن نفسها، و تأكيد وجودها، فإنه قد قرر إلى جانب ذلك قاعدته، و أعطى ضابطته التى لا مجال لتخطيها فى شأن المال بقوله: كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ «۱»؛ فإنه يكون بذلك قد قرر الحد الذى يفصل نظام الإسلام الإقتصادى عن النظام الرأسمالى الفاسد، و الذى ينتهى بالمال إلى أن يصبح دولة بين الأغنياء.

و ذلك لأن الإسلام، و إن كان قد قبل بالملكية الفردية، إلا أنه قد حدد مصادر الحصول عليها فى جهات معينة، لا يجوز تعديها إلى غيرها ..

كما أنه قد وضع من الأحكام و الضوابط فى مختلف شؤون الحياة و جهاتها، ما يمنع من تكدس المال بصورة فاحشة لدى أفراد بخصوصهم.

و قد بين اللّه سبحانه هذا الأصل الأصيل بعبارة واضحة و موجزة

(۱) الآية ۷ من سورة الحشر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۵۹

حينما قال: لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ.

ثم هو قد حرم و أدان، و عاقب على كل عمل من شأنه أن يهدم هذا الأصل، و يضر فى مسيرة تحقيقه، أى ما يوجب صيرورة المال دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ، فحرم الربا، و منع من الاحتكار، و من أكل المال بالباطل، و ..

و .. الخ ..

و بما تقدم يتضح أيضا: البون الشاسع فيما بين المذاهب الإقتصادية الأخرى- كالإشتراكية- و بين نظام الإسلام الإقتصادى، كما هو ظاهر لا يخفى.

الثالث: إن ما أفاءه اللّه على رسوله، ليس لأحد أن يدّعى أن له فيه أدنى أثر أو أى دور فى تحصيله. فإن المسلمين لم يوجفوا عليه بخيل و لا ركاب، و إنما عاد إلى رسول اللّه بسبب تسليط اللّه رسله على من يشاء، كاليهود الناقضين للعهود و المواثيق.

و معنى ذلك هو أنه ليس لأحد الحق فى أن يدّعى: أنه قد تنازل للنبى «صلى اللّه عليه و آله» عن شىء هو له، أو ساهم فيه، و جاء الحكم الإلهى ليأخذه منه، و يعطيه للنبى لمصلحة كامنة فى ذلك، كما ربما يتوهم فى الزكاة و الخمس، و ذلك لأن اللّه قد صرح بأن تسليط اللّه سبحانه للرسول على أولئك الناس قد كان سببا فى حصول ما يسمى بالفىء؛ فالفىء إذا هو نتيجة عمل إلهى، و تصرف ربانى فى واقع سلطة الرسول و بسطها على أولئك المعاندين.

و أما مناشئ هذه السلطة، و مقوماتها، فيجب أن لا تكون منحصرة فى العدة و العدد و الحشود لدى المسلمين، فإن ذلك يتحقق بتأييدات إلهية غيبية،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۶۰

تساهم فيها معرفة اليهود بنبوّته «صلى اللّه عليه و آله»، و رؤيتهم لمعجزاته و كراماته، و حبهم للدنيا، و خوفهم من الموت و غير ذلك من أمور.

الرابع: بقى أن نشير إلى أن الآيات قد نصت على أن الفىء للّه، و للرسول، و لذى القربى، و اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل؛ فكيف نوفق بين ذلك و بين ما هو معلوم من أن الفىء خالص لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟

و نقول فى الجواب: إن الآيات لم تتعرض لتشريع حكم الفىء، و بيان تقسيماته اللازمة شرعا، من حيث مالكية هؤلاء الأصناف له، و إنما هى تبين قضية فى واقعة، يراد توضيح المراد فيها، و إزالة الشبهة عن موقف النبى «صلى اللّه عليه و آله» منها. ذلك لأن الآيات التالية لتلك الآية، قد بينت:

أن المراد بهؤلاء الأصناف هو خصوص المهاجرين منهم، أما الأنصار؛ فإنهم لا يجدون فى أنفسهم حرجا فى أن يأخذ إخوانهم المهاجرون من الفىء دونهم، رغم ما كان يعانى منه الأنصار من حاجة و خصاصة، بل هم يؤثرونهم على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة.

كما أن الآية الآنفة الذكر قد بينت: أن المراد هو الفىء الحاصل من أهل القرى، لا كل فىء، و ذلك يؤيد أنها فى صدد الحديث عن قضية فى واقعة، من أجل إبراز ما بها من خصوصيات، و من معان إنسانية هامة، و من دقائق أخرى لا بد من الإلفات إليها، و التنبيه عليها، و ليست فى صدد إعطاء الضابطة و القاعدة العامة.

و معنى ذلك هو: أن المراد بيان أن ما فعله النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى الفىء الحاصل له من أهل القرى، حيث قسمه على المهاجرين دون

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۶۱

الأنصار، رغم وجود الخصاصة فى الأنصار، إنما كان لمصالح اقتضت التخصيص منه «صلى اللّه عليه و آله». و لا حرج على النبى أو الإمام فى أن يلاحظ المصالح، و يقدم قوما على قوم، و يعطى هؤلاء، و يحرم أولئك، لأجل تلك المصالح المقتضية لذلك، و لا يجب عليه أن يساوى بين الناس دائما، فإن المساواة ليست مطلوبة على كل حال، و إنما هى مطلوبة حيث لا مصلحة فى الترجيح، و حيث لا توجب تعميق الهوة بين الفئات التى يراد المساواة بينها.

إذا، فلا معنى لاستغلال هذا الأمر للدعاية ضد نبى الإسلام، و اتهامه بالتحيّز و التجنى، و لا سيما إذا علمنا أن ما يقسمه إنما هو حقه الشخصى، و هو حر فى أن يجعل ما يختص به لمن يشاء، كيف يشاء.

الخامس: لا بد من التذكير أخيرا بأن آية الفيء هنا كآية الخمس فى سورة الأنفال، قد ذكرت أصنافا ستة: ثلاثة منهم من قسم الواجب، و هم:

سهم اللّه، و سهم الرسول، و سهم ذوى القربى، و ثلاثة لا يجب ذلك فيهم، و هم اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل ..

لما ذا اختص ذوو القربى بالخمس و الفيء؟

و من الغريب العجيب أن البعض بعد أن ذكر: أن المراد بذوى القربى فى الآية التى فى سورة الحشر، و فى آية الخمس هم قرابة رسول اللّه، قد علل البعض اختصاصهم بالفيء و الخمس بقوله: «إن كانت الصدقات لا تحل لهم فليس لهم فى الزكاة نصيب، و إن كان النبى لا يورث فليس لذوى قرابته من ماله شيء، و فيهم الفقراء الذين لا مورد لهم، فجعل لهم من خمس

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۶۲

الغنائم نصيبا، كما جعل لهم من هذا الفيء و أمثاله نصيبا» «۱».

إذا فهذا البعض يرى: أن فقر الفقراء منهم، و حرمانهم من الإرث و الزكاة كان هو السبب فى ذلك!!

و نقول: إن كلامه غير صحيح، و ذلك لما يلى:

۱- لقد علق هو نفسه فى هامش كتابه على كلمة «الفقراء» بقوله:

«هناك خلاف فقهى، هل الفقراء من قرابة الرسول هم المستحقون؟! أم جميعهم، و الراجح جميعهم» «۲».

و معنى ذلك هو: أن فقرهم ليس هو سبب إعطائهم، إذ ليس ثمة خصوصية للفقراء منهم تقتضى ترجيحهم على سائر الفقراء، و إنما السبب فى الترجيح هو- فقط- قرابتهم من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

۲- لا ندرى كيف حرمهم اللّه هذا المقدار القليل من إرث النبى «صلى اللّه عليه و آله» ثم عوّضهم هذه الأموال الهائلة و الطائلة، التى تحصل من الفيء و الغنائم!! ..

۳- ثم إننا لا ندرى كيف يحرم شخص واحد و هو الزهراء صلوات اللّه عليها، ثم يعوض جميع قرابة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى من لم يكن فى طبقتها فى الإرث، بل و حتى جميع بنى هاشم، و لو لم يكونوا من أولاده «صلى اللّه عليه و آله» و لا من وراثه!! بل لقد نال هذا التعويض جميع بنى هاشم إلى يوم القيامة.

---

(۱) فى ظلال القرآن ج ۶ ص ۳۵۲۴.

(۲) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۶۳

و ما كان أحراه أن يكون لو أنه كان ذلك قد جاء على سبيل الإهتمام بأمور الفقراء و الضعفاء من سائر الناس، فيورّث فاطمة «عليها

السلام»، ثم يتعامل مع جميع بنى هاشم على أنهم بعض من غيرهم، فلا- يحرمهم من ذاك ليعطيهم من هذا أكثر مما يستحقون، و أضعاف ما به كانوا يطالبون.

أليس فى ذلك تضييع لحقوق الكثيرين من الفقراء من غيرهم؟!

حاشاه أن يصدر ذلك منه، أو أن يفكر فيه.

۴- هذا كله عدا عن أن حديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، و الذى تفرد بروايته الخليفة الأول أبو بكر!! قد أثبت العلماء بالأدلة القاطعة و البراهين الساطعة عدم صحته. و قد رد على و فاطمة «عليهما السلام» و كثير غيرهما روايته كما ذكرته الروايات الكثيرة و ليس ههنا محل بحث هذا الأمر فمن أراد ذلك، فليراجع كتب العقائد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۲۶۵

الباب السادس حتى الخندق

اشارة

الفصل الأول: غزوة ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث

الفصل الثانى: حدث و تشريع

الفصل الثالث: عظات و كرامات أو سياسات إلهية

الفصل الرابع: بدر الموعد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۱۱

الفصل الأول: غزوة ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۱۳

بداية:

قد اتضح من كل ما ذكرناه فى كتابنا هذا: أن جل إن لم يكن كل ما يذكره المؤرخون و المحدثون من نصوص و آثار يحتاج إلى تمحيص و تحقيق وفق المعايير الصحيحة التى تستطيع أن تقرب إلى ما هو الواقع و الصحيح.

و ليست النصوص التى نقلت لنا أحداث غزوة ذات الرقاع مستثناة من هذه الظاهرة. و لأجل ذلك، فنحن نورد منها بعض نصوصها، ثم نختار بعضه لنركز الأضواء عليه، بهدف إعطاء صورة متقاربة الملامح عن الواقع و الحقيقة، حسبما يتيسر لنا فى هذا الظرف، فنقول:

الرصد الدقيق:

إن من الأمور الواضحة: أن ليقظة القائد الفذ، و تنبهه للأمور، و رصدها بدقة و وعى، ثم قدرته على استشفاف المستقبل و استشرافه، دورا كبيرا فى إحكام الأمور، و فى ترسيخ قواعد الحكم و الحاكمية، ثم فى إبعاد الأخطار عن المجتمع الذى يرعاه، و حسن تدبير شؤونه؛ و سلامة التحرك فى نطاق تصريف الأمور على النحو الأفضل و الأمثل.

و علی هذا الأساس نستطیع أن نتفهم بعمق ما نشهده من مبادرات متکررة للرسول الأعظم «صلی اللّه علیه و آله» لضرب أی تجمع أو تحرک

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۹،ص:۳۱۴

ضد المسلمین، قبل أن یشتد عوده، و لا یعطیه أیة فرصة لیتماسک، و یقوی؛ و یستفحل أمره.

و ذلک لأن الانتظار إلی أن تحتشد جموع الأعداء معناه أن یواجه المسلمون صعوبات کبیرة و ربما خطیرة للتخلص من شرهم، و تفویت الفرصة علیهم.

و هذا ما یفسر لنا ما نجده من رصد دقیق من قبل المسلمین لکل القوی المعادیة التی کانت معنیة بالوجود الإسلامی فی بلاد الحجاز .. ثم نعرف سر السرعة التی کان یظهرها المسلمون فی ردة الفعل، و المبادرة إلی حسم الموقف بقوة و حزم، بمجرد تلقیهم أی نبأ یشیر إلی وجود حشود، أو استعدادات أو حتی تآمر و تخطیط یستهدفهم.

فیبادرون إلی إرسال السرایا، و تنظیم الغزوات ضد أعدائهم من مجرمین و متآمرین، ثم تکون النتیجة فی أغلب الأحیان هی فرار القوی المعادیة، و تفرقهم قبل الأشتباک معهم، أو إثر مناوشات یسیرة، تکون الخسائر فیها معدومة أو تکاد، بل و اتفق أن ظفر المسلمون بجمیع أعدائهم فقتل من قتل منهم، و أسر الباقون ..

نتائج و آثار:

و قد نتج عن ذلک:

۱- إن أولئک الأعراب الجفاة، الذین مردوا علی شن الغارات، و قطع الطرق، قد أصبحوا یعیشون حالة الرعب و الخوف من المسلمین إلی درجة کبیرة. و کانوا إذا تناهی إلیهم ما یشیر إلی تحرک المسلمین باتجاههم، فإنهم لا

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۹،ص:۳۱۵

یجرؤون علی الظهور بمظهر التحدی، و لا یتخذون قرارا بالهجوم، أو التصدی للدفاع، و إنما یقررون الفرار إلی رؤوس الجبال، و التمنع فیها، أو التخفی فی أی من المسارب و المهارب، حتی و لو أدی ذلک إلی استیلاء المسلمین علی أموالهم، و مواشیهم، و حتی علی نسائهم و أولادهم أحیانا.

۲- أضف إلی ذلک: أن ذلک قد هیأ الجو للنبی «صلی اللّه علیه و آله» لیعقد تحالفات کثیرة مع کثیر من القبائل فی ذلک المحیط. و قد نتج عن ذلک، و عن الجهد الذی بذله «صلی اللّه علیه و آله» لرد کید أعدائهم و إفشال مخططاتهم، بواسطة ما أرسله من سرایا و غزوات. أن تأکدت قوة المسلمین، و ظهرت شوکتهم، و عرف الناس کلهم مدی تصمیمهم علی تحقیق أهدافهم، و مواصلة طریقهم الرامی إلی نشر هذا الدین، و الدفاع عنه، و بذل کل غال و نفیس فی سبیله.

و قد کان من الطبیعی أن ینزعج المکیون لذلک، و أن یضایقهم، و یفقدهم کثیرا من الامتیازات السیاسیة و العسکریة و غیرها. کما أنه یحد إلی حد بعید من حریتهم فی التحرک لعقد تحالفات واسعة و مؤثرة ضد المسلمین، ما دام أن الکثیرین من سکان المنطقة لن یجرؤوا علی عمل من هذا القبیل بسبب هزیمتهم النفسیة حسبما تقدم.

۳- کما أن ذلک قد هیأ للمسلمین أجواء و مناخات مریحة إلی حد ما استطاعوا فیها مضاعفة نشاطهم الإعلامی، و کان ذلک سببا فی انتشار دعوتهم، و بعد صیتها، حتی أصبحت الحدیث الیومی للصغیر و الکبیر فی مختلف البلاد، و العباد. و ترسخت هذه الدعوة و امتدت جذورها باطراد، و اطمأن کثیر من الناس إلیها، و عولوا علیها. و تلمسوا فیها کل المعانی

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۹،ص:۳۱۶

الخیرة و النبیلة، الموافقة لما تحکم به عقولهم، و تقضی به فطرتهم. و قد ساعد علی ذلک ما ظهر لهم من قوة المسلمین، بعد أن

بسطوا هيبتهم على المنطقة بأسرها.

غزوة ذات الرقاع:

يذكر المؤرخون: أن قادما قدم المدينة بجلب له، فأخبر أن أنمارا، و ثعلبة، و غطفان قد جمعوا جموعا بقصد غزو المسلمين. فلما بلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذلك استخلف على المدينة عثمان بن عفان، أو أبا ذر الغفارى، و خرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم فى أربع مئة رجل. (و قيل: فى سبع مئة «۱» و قيل فى ثمان مئة) «۲»، حتى أتى وادى الشقرة. فأقام بها يوما، و بث السرايا، فرجعوا إليه مع الليل؛ و أخبروه: أنهم لم يروا أحدا.

ثم سار «صلى اللّه عليه و آله» بأصحابه حتى أتى محالهم؛ فلما عاينوا عسكره، و لوا عن المسلمين، و كرهوا لقاءهم، فتسنموا الجبل، و تعلقوا فى

---

(۱) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۶۱ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۳ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۲۷۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۶ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۱۷

قلته، و لحق بعضهم ببطون الأودية.

و لم يبق إلا نسوة، فجاء «صلى اللّه عليه و آله»، فأخذهن، و فيهن جارية و ضيئة.

و لم يكن قتال «۱».

ثم قفل «صلى اللّه عليه و آله» نحو المدينة، و بعث جعال بن سراقة إلى المدينة مبشرا بسلامته، و سلامة المسلمين «۲».

و قدم «صلى اللّه عليه و آله» صرارا يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم.

و صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة، و هى بئر جاهلية على طريق

---

(۱) راجع تفصيل غزوة ذات الرقاع أو إجماله فى المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۴۰ و السيرة النبوية لزينى دحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۱ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۲۷۱ و حياة محمد لهيكل ص ۲۸۱ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و الوفاء ص ۶۹۱ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۴ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۷ و ۲۵۸ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۶ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴ و ۲۱۵ و المغازى للذهبى ص ۲۰۱ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۵ و ۳۹۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۰ و ۱۶۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۳ و نهاية الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶ و ۱۰۷.

(۲) راجع: طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و نهاية الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۲ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۳ قال: «و هو الذى تمثل به إبليس لعنه اللّه يوم أحد، حين نادى: إن محمدا قد قتل».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۱۸

العراق «۱».

و كانت هذه الغزوة بأرض غطفان من نجد.

و كانت غيبته «صلى اللّه عليه و آله» فى تلك الغزوة خمس عشرة ليلة «۲».

نقاط لا بد من بحثها:

أما النقاط التى لا بد من بحثها فى هذا الفصل، فهى التالية:

۱- سبب تسمية هذه الغزوة بذات الرقاع.

۲- تاريخ هذه الغزوة، و لسوف نثبت: أن الصحيح هو أنها قد كانت بعد غزوة الحديبية.

۳- ثم نشير بعد ذلك إلى ما يحاول أن يدعيه البعض من أن غزوة ذات الرقاع لم تكن واحدة بل هناك غزوتان كل منهما تحمل هذا الاسم.

۴- و بعد ذلك يأتى كلام حول أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حينما خرج إلى ذات الرقاع قد جعل أبا ذر واليا على المدينة.

۵- ثم نذكر قصة يقال: إنها جرت لعباد بن بشر و عمار بن ياسر، حينما

---

(۱) راجع: طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۵ و نهاية الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۲ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۱.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۳ و سيرة مغلطاى ص ۵۴. و التنبيه و الأشراف ص ۲۱۴ و نهاية الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۲ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۷ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۱ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۵ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۶۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۱۹

كانا يحرسان المسلمين فى موضع نزلوه و هم راجعون. مع تعليق تحليلى على الحدث.

۶- و لا ننسى أن نذكر قصة غورث بن الحارث، و شكوكنا حولها و مبررات هذه الشكوك، ثم نورد القصة الأقرب إلى القبول فى هذا المجال، مع تعليق تحليلى حولها.

و نرجئ الحديث عن بقية النقاط المرتبطة بهذه الغزوة إلى فصل لاحق.

فنحن وفقا لهذا الذى ذكرناه نقول:

التسمية بذات الرقاع:

قد اختلفت كلمات المؤرخين فى سبب تسمية هذه الغزوة بذات الرقاع.

و نحن نجمل الأقوال فى ذلك على النحو التالى:

۱- سميت بذات الرقاع: لأنه لم يكن فى تلك الغزوة ما يكفى لركوبهم فى سيرهم إليها، فنقبت أقدامهم من الحفاء، فلفوا عليها الخرق، و هى الرقاع، كما فى البخارى و غيره.

۲- سميت بذلك لأن المسلمين رقعوا راياتهم فيها.

۳- أو لأن الصلاة قد رقعت فيها، لوقوع صلاة الخوف فيها، قاله الداودى.

۴- أو لأجل شجرة كانت هناك يقال لها ذات الرقاع.

۵- أو لأجل جبل هناك اسمه الرقاع؛ لأن فيه بياضا، و سوادا، و حمرة، و يقع قريبا من النخيل، بين السعد و الشقرة.

۶- أو لأجل أن الخيل كان فيها سواد و بياض، كما قاله ابن حبان، مع

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۰

احتمال أن يكون ابن حبان قد صحف كلمة «جبل» فقرأها «خيل» كما ذكره البعض «۱».

۷- أو لأجل كل الأمور السابقة «۲».

و تحقيق ذلك ليس بذى أهمية، و إن كنا نستبعد بعض ما ذكر كالقول الثالث لما سيأتى من أن صلاة الخوف قد صليت فى غزوات أخرى قبل أو بعد هذه الغزوة، فلا وجه لاختصاص هذه الغزوة بهذه التسمية لأجل ذلك.

كما و نستبعد القول الثانى أيضا بالإضافة إلى أقوال أخرى. و تسمى هذه

---

(۱) راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶.

(۲) راجع هذه الأقوال أو بعضها فى المصادر التالية: سيرة مغلطاى ص ۵۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۰ و ۲۰۱ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۳، و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۵. و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۳ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۲ و شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۲ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و شرح النووى على صحيح مسلم ج ۱۲ ص ۱۹۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۱ و ۳۷۲. و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۴ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۶ و ۳۵۷ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۶۱، و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و ۲۹ و الوفا ص ۶۹۱ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۷ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۳۴ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۸ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و إعلام الورى ص ۸۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۱

الغزوة أيضا ب «غزوة الأعاجيب» لما وقع فيها من أمور عجيبة. و تسمى أيضا ب «غزوة محارب» و «غزوة بنى ثعلبة» و «غزوة بنى أنمار» «۱».

تاريخ هذه الغزوة:

و قد اختلفوا فى تاريخ غزوة ذات الرقاع.

فقال فريق: هى بعد غزوة بنى النضير فى السنة الرابعة: فى شهر ربيع الآخر، و بعض جمادى الأولى «۲».

و حسب قول البعض: إنها بعد غزوة بنى النضير بشهرين و عشرين يوما «۳».

و قال القيروانى: خرج لخمس من جمادى الأولى، و انصرف يوم الأربعاء لثمان بقين منه «۴».

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ ..

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۶۹ و ۳۷۰ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۳ و ۲۱۴ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۰ و نهاية الأرب ج

۱۷ ص ۱۵۸ و كتاب الجامع ص ۲۷۹ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۱.

(۳) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ عن خلاصة الوفاء و إعلام الورى ص ۸۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۶ و ۱۷۸ و ۱۷۷ عن ابن الأثير فى الكامل و عن المناقب، و عن إعلام الورى.

(۴) الجامع ص ۲۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۲

و قال آخرون: إنها كانت فى شهر محرم «۱».

و قيل: كانت بعد غزوة بدر الصغرى «۲».

و تردد ابن عقبة فى كونها قبل بدر أو بعدها، أو قبل غزوة أحد أو بعدها «۳».

و قيل: كانت فى سنة خمس «۴».

و جعلها أبو معشر فى سنتين حينما قال: إنها كانت بعد بنى قريظة فى ذى القعدة، سنة خمس، فتكون ذات الرقاع فى آخر هذه السنة، و أول التى تليها «۵».

---

(۱) راجع: مرآة الجنان ج ۱ ص ۹ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۹. و شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱ و التنبيه و الإشراف ص ۲۱۴ و راجع: زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۶۱ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۰ و مغازى الواقدى ج ۱ ص ۳۹۵ و نهاية الإرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶ عن ابن سعد، و ابن حبان و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۲۷۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۳۲.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۶۳ و ۴۶۴ و سيرة مغلطاى ص ۵۴.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ عن المواهب اللدنية و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۱.

(۴) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ عن ابن سعد، و ابن حبان و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶ عنهما و عن أبى معشر، و أنساب الأشراف ج ۱ ص ۳۳۴ و الجامع للقيروانى ص ۲۸۱ و ۲۷۹ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و راجع: شذرات الذهب ج ۱ ص ۱۱ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۷ و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۷ و ۲۵۹ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۶ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و نصب الراية ج ۲ ص ۲۴۹.

(۵) راجع: تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۳

و قال بعضهم: إنها كانت بعد خيبر سنة سبع «۱». و هو ما ذهب إليه البخارى، و هو ما نذهب إليه أيضا.

و قال الغزالى: إن غزوة ذات الرقاع آخر الغزوات، قالوا: «و هو غلط واضح، و قد بالغ ابن الصلاح فى إنكاره» و قد ذكر ذلك زينى دحلان فراجع «۲».

الصحيح و المعقول:

و بعد ما تقدم نقول: إن تشريع صلاة الخوف، و نزول الآية قد كان فى الحديبية، ثم بعد ذلك كانت غزوة ذات الرقاع فصلى النبى فيها صلاة الخوف أيضا.

و مستندنا فى ذلك ما يلى:

۱- سيأتى فى هذا الفصل: أن صلاة الخوف قد شرعت فى غزوة الحديبية «۳».

و أن الصدوق يروى فى الفقيه بسند صحيح: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد صلى بأصحابه صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع «۴». فتكون

---

(۱) راجع: صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ عن فتح البارى و البخارى و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰ عن البخارى و عن الشمس الشامى، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶ و ۱۰۹ و غير ذلك.

(۲) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۷ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶.

(۳) البرهان فى تفسير القرآن ج ۱ ص ۴۱۱.

(۴) من لا يحضره الفقيه (ط مؤسسة النشر الإسلامى) ج ۱ ص ۲۶۰ رقم الحديث ۱۳۳۴ و تفسير البرهان ج ۱ ص ۴۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۴

متأخرة عن الحديبية.

۲- روى أحمد عن جابر قال: «غزا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ست غزوات قبل صلاة الخوف، و كانت صلاة الخوف فى السنة السابعة» «۱».

و من المعلوم: أن صلاة الخوف قد صليت فى غزوة ذات الرقاع، فتكون هذه الغزوة فى السنة السابعة بعدها.

لكن عبارة البخارى هكذا: «عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنهما: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» صلى بأصحابه فى الخوف فى غزوة السابعة، غزوة ذات الرقاع» «۲».

فإن كان المراد: الغزوة السابعة التى حضرها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و لم يكن فيها جميعها قتال، كانت هذه الغزوة قبل أحد، و هو غير مقبول، للاتفاق على أن ذات الرقاع لم تكن قبل أحد، و إن كان موسى بن عقبة قد تردد فى ذلك. لكن تردده فى ذلك لا معنى له، للاتفاق على تأخر صلاة الخوف عن هذا التاريخ، بالإضافة إلى الأدلة التى تقدمت و ستأتى.

و إن كان المراد: الغزوة السابعة من الغزوات التى حضرها الرسول، مما كان فيه قتال، فإنها تكون و الحال هذه بعد خيبر، و هو المطلوب.

و إن كان المراد: السنة السابعة، فهو المطلوب أيضا، و يؤيد إرادة هذا الأخير رواية مسند أحمد المتقدمة «۳».

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۲۱۴ و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۴۸.

(۲) صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۳ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و ۳۲۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۴ و راجع البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳.

(۳) فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و ۳۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۵

و نحن نرجح هذا الشق الأخير، لما ذكرناه و ما سيأتى.

و أما الاحتمال الثانى، فيرد عليه: أن غزوة ذات الرقاع لم يقع فيها قتال؛ فما معنى جعلها سابعة للغزوات التى وقع فيها قتال.

و الأنسب بالعبارة المنقولة، هو إرادة السنة السابعة، و ذلك بملاحظة عدم وجود لام التعريف فى المضاف، حيث قال: «غزوة السابعة» و لم يقل:

«الغزوة السابعة».

و ادعى العسقلانى: أنه لو كان المحذوف هو كلمة سنة لم يحتج البخارى إلى الاستدلال على تأخرها برواية أبى موسى و غيره.

و لعل المراد: غزوة السفرة السابعة.

و نقول:

إن نسبة الغزوة إلى السفرة مما لا يحسن هنا، و نسبتها إلى السنة أنسب و أوضح فى التقدير لا سيما مع رواية أحمد المتقدمة، فكلام العسقلانى فى غير محله.

و لكن يبقى هنا سؤال، و هو: لماذا يعبر فى الرواية عن ذات الرقاع بأنها «غزوة السابعة» مع أن ثمة ما هو أهم منها قد وقع فى سنة سبع مثل غزوة خيبر؟!.

إلا أن يجاب عن ذلك: بأن ما وقع فيها من أعاجيب و قضايا قد جعلت لها أهمية خاصة بالنسبة لغيرها من الغزوات. لا سيما و أن غيرها قد عرف باسمه الخاص به، و شاع و ذاع أمره بذلك الاسم بالذات. أما بالنسبة لذات الرقاع، فلم يكن الأمر كذلك.

أو فقل: إن من الممكن أن تكون غزوة ذات الرقاع قد حصلت قبل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۶

سائر غزوات سنة سبع، فأطلق عليها اسم غزوة السابعة، ثم جاءت سائر الغزوات، فأطلقوا عليها أسماءها الخاصة بها بعد ذلك، فلم يوجب ذلك تغييرا فى اسم هذه الغزوة.

أو فقل: لم يوجب ذلك خللا فى فهم المراد من هذه العبارة حين إطلاقها.

۳- ما احتج به البخارى من أن أبا موسى الأشعرى ذكر أنه قد حضر غزوة ذات الرقاع، فقال: «خرجنا مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى غزاة، و نحن فى ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، و نقبت قدماى، و سقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع» «۱».

و أبو موسى إنما جاء من الحبشة بعد خيبر، فتكون ذات الرقاع بعد خيبر أيضا.

---

(۱) صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۳ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۱ و راجع ص ۳۲۲ و راجع: دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۲ و ۳۶۹ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۰ و سيرة مغلطاى ص ۵۴ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۶ و ۳۵۷.

و راجع: تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۰ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۵۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۳ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶ و السيرة النبوية لزينى دحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۲۰۰ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱. لكنه جعل الحديث مؤيدا لا دليلا. و لعله تخيل وجود احتمال أن يكون أبو موسى لا يتحدث عن حضوره هو، بل ينقل ذلك عن بعض الصحابة، مع أن الرواية صريحة بأنه قد نقبت قدماه، و سقطت أظفاره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۷

مؤيدات:

۱- و يؤيد ذلك: أن عددا من المؤرخين يقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد استخلف أبا ذر الغفارى على المدينة حين غزا ذات الرقاع، و أبو ذر إنما قدم المدينة بعد أن مضت بدر، و أحد، و الخندق.

و سيأتى توضيح ذلك مع ذكر المصادر إن شاء اللّه تعالى حين الحديث عن الذى ولاه النبى «صلى اللّه عليه و آله» المدينة فى هذه الغزاة.

۲- و يؤيد ذلك أيضا: ما روى عن ابن عمر الذى أجازه النبى بالخروج إلى الغزو فى وقعة الخندق أنه قال: غزوت مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قبل نجد، فذكر صلاة الخوف «۱».

۳- و يؤيد ذلك أيضا، قول أبى هريرة: «صليت مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى غزوة نجد صلاة الخوف»، و إنما جاء أبو هريرة إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» أيام خيبر «۲».

لما ذا مؤيدات؟!

ألف: إنما جعلنا تولية أبى ذر على المدينة مؤيدا لا دليلا، لأنه سيأتى: أنه

---

(۱) راجع: المصادر التالية: صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۳ و ج ۱ ص ۱۱۰ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۳ و ۳۲۱ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۶۹ و راجع ص ۳۷۹ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۱ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۳ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و استدل به. و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶ و نصب الراية ج ۲ ص ۲۴۴.

(۲) راجع المصادر المتقدمة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۸

قد حضر إلى المدينة حينما أسلم سلمان، بسبب ما رآه من علامات النبوة فى الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، و قد شهد على كتاب عتق سلمان. كما أن ذلك لا يدل إلا على تأخر غزوة ذات الرقاع عن الخندق، و لا يدل على كونها فى السنة السابعة، أو غيرها.

ب: بالنسبة لرواية ابن عمر نقول: إنها لا تدل إلا على أن ذات الرقاع قد كانت بعد الخندق، و لا تدل على أكثر من ذلك.

أضف إلى ذلك: أنه لم ينص على اسم الغزوة، بل ذكر أن ذلك قد حصل فى غزوة نجد، فلعل هناك غزوات أخرى قد كانت قبل نجد، و قد صلى فيها النبى «صلى اللّه عليه و آله» صلاة الخوف أيضا.

إلا أن يقال: إن غزوة نجد المعهودة فى كلماتهم منحصرة بذات الرقاع.

ج: و رواية أبى هريرة، يرد عليها نفس ما يرد على رواية ابن عمر.

كلام الدمياطى:

و قد اتضح من جميع ما تقدم: أنه لا يصغى لقول الدمياطى: إن ما ورد عن أبى موسى فى حضوره غزوة ذات الرقاع غلط، لأن جميع أهل السير على خلافه «۱».

و ذلك لأن كلام أهل السير لا عبرة به إذا قام الدليل على خطئهم فيه، و قد ثبت عن أهل البيت، و كذلك سائر ما قدمناه من أدلة: أن ذات الرقاع قد كانت فى الحديبية، فلا مجال للشك فى ذلك، أو التشكيك فيه.

---

(۱) فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۲ و راجع: المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۲۹

دليل الرأى الآخر:

و بعد ما تقدم نقول:

قد يقال: إن الراجح هو أن تكون غزوة ذات الرقاع قبل الخندق.

و مستند ترجيح ذلك ما يلى:

۱- ما روى من أن جابرا قد دعا النبى «صلى اللّه عليه و آله» يوم الخندق إلى طعام فى بيته، صنعته زوجته لهم فى قصة مفصلة ظهرت فيها كرامة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى ذلك الطعام «۱».

و فى غزوة ذات الرقاع لم يكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يعلم شيئا عن تزوج جابر بأى من النساء منذ استشهد أبوه فى أحد، حيث سأله، إن كان قد تزوج أم لا، ثم لما أجابه بالإيجاب، عاد فسأله، إن كانت التى تزوجها بكرا أو ثيبا فى محاورة جرت بينهما ستأتى إن شاء اللّه.

و قد صرح له فيها: بأنه إنما اختارها ثيبا لأجل أن أباه مات و ترك له أخوات يحتجن إلى من يجمعهن و يمشطهن، و يقوم عليهن «۲».

و نقول:

إن هذا النص لا يكفى لمعارضة الأدلة المتقدمة، و ذلك لإمكان المناقشة

---

(۱) صحيح البخارى ج ۳ ص ۲۱ و ستأتى سائر المصادر فى غزوة الخندق إن شاء اللّه.

(۲) راجع هذه المحاورة فى: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۷ و ۲۱۸ و صحيح مسلم ج ۴ ص ۱۷۶ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۸ و راجع: صحيح البخارى ج ۲ ص ۸ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۸۱ و ۳۸۳ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۹- ۴۰۱ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۱ و ۱۶۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۶ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۶ و ۸۷ و الثقات ج ۱ ص ۲۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۰

فى دلالته على المطلوب من حيث أنه يمكن أن يكون جابر قد انفصل عن زوجته الأولى بموت لها أو طلاق، أو تكون قد أصبحت لسبب أو لآخر عاجزة عن القيام بمسؤولياتها تجاه أخواته، و كان «صلى اللّه عليه و آله» يعلم بذلك، و يعلم أن جابرا قد كان بصدد الزواج من جديد، فجرت المحاورة بينه و بين جابر على النحو المذكور، و كان اعتذار جابر عن اختيار الثيب هو ذلك، و لا يجب أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» عارفا بما تركه أبو جابر من بنات، أو كان «صلى اللّه عليه و آله» عارفا، و لا يمنع ذلك جابرا من جعل ذلك هو العذر لاختياره الثيب للزواج.

غزوتان أم غزوة واحدة:

قد أشار البيهقى إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين، إحداهما قبل خيبر، و الأخرى بعدها «۱».

و قال الذهبى: «و الظاهر أنهما غزوتان» «۲».

و نقول:

إن منشأ هذا الاحتمال هو رواية أبى موسى الأشعرى السابقة، و قد تقدم:

أن أبا موسى قال: «و نحن فى ستة نفر بيننا بعير» و هذا يقرب أن يكون أبو

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۶۳ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۱ و ۳۳۱ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۱ و راجع ص ۲۷۰ و حبيب السير ج ۱ ص ۳۵۷ و راجع: زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۶.

(۲) تاريخ الإسلام (المغازى) ص ۲۰۱ و راجع: فتح البارى ج ۷ ص ۳۲۲ و ۳۲۳ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۳۰۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۱

موسى يتحدث عن غزوة ثانية أطلق عليها اسم غزوة ذات الرقاع أيضا.

و لكننا فى قرارة أنفسنا نشك فى وجود غزوة من هذا القبيل؛ فإنه يبعد أن يقوم بغزوة يكون قوامها ستة نفر فقط لا غير!!.

و لعل المراد: أن الذين كانوا يعتقبون الجمل مع أبى موسى كانوا ستة أشخاص، فى ضمن جيش كثيف يقوده النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى غزوة ذات الرقاع.

من استخلف النبى صلّى اللّه عليه و آله على المدينة؟!

يظهر من عدد من المؤرخين: أنهم يرجحون أن يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد استخلف على المدينة فى حال غيابه عنها إلى غزوة ذات الرقاع أبا ذر الغفارى، و ليس عثمان بن عفان. لأنهم ذكروا الأول بصورة طبيعية، ثم عقبوا ذلك بالإشارة إلى تولية عثمان بلفظ قيل «۱»، و إن ادعى ابن عبد البر: أن عليه الأكثر.

و قد ناقش فى أن يكون أبو ذر هو المتولى لها بأن أبا ذر لما أسلم رجع إلى بلاد قومه، فلم يجئ حتى مضت بدر و أحد، و الخندق «۲».

و لكن هذه المناقشة موضع نظر:

---

(۱) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۱ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۲ قسم ۲ ص ۲۸ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۰ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۳ و نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۵۸ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۲

أولا: لأن ثمة ما يدل على قدوم أبى ذر إلى المدينة قبل الخندق، حيث إنه قد شهد على كتاب عتق سلمان و هو مؤرخ فى السنة الأولى للهجرة «۱».

ثانيا: هناك حديث آخر يذكر فيه أن أبا ذر كان حين قضية سلمان فى المدينة، و ذلك حين كان فى حائط لمولاته، فجاء النبى «صلى اللّه عليه و آله» و على «عليه السلام»، و أبو ذر، و المقداد، و عقيل، و حمزة و زيد بن حارثة، و لم يكن سلمان يعرفهم.

ثم ذكر قصته معهم و العلامات التى وجدها فى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و بعض أسانيد هذه الرواية صحيح فراجع المصادر «۲».

ثالثا: يؤيد ذلك مؤاخاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» فيما بين سلمان و أبى ذر «۳».

---

(۱) ذكر أخبار أصبهان ج ۱ ص ۵۲ و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۷۰ و راجع كتاب العتق أيضا فى: تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۱۹۹ و مجموعة الوثائق السياسية ص ۳۲۸ عن الأولين و عن جامع الآثار فى مولد المختار محمد بن ناصر الدين الدمشقى، و طبقات المحدثين بأصبهان ج ۱ ص ۲۲۶ و ۲۲۷ و نفس الرحمن فى فضائل سلمان ص ۲۰ و ۲۱ عن تاريخ كزيده، و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۴۰۹ عن أكثر من تقدم و قال: «و أوعز إليه فى البحار عن الخرائج».

(۲) راجع: البحار ج ۲۲ ص ۳۵۸ و إكمال الدين ج ۱ ص ۱۶۴ و ۱۶۵ و روضة الواعظين ص ۲۷۶- ۲۷۸، و الدرجات الرفيعة ص ۲۰۳ عن إكمال الدين و نفس الرحمن ص ۵ و ۶ و ۲۲ عن إكمال الدين، و الراوندى فى قصص الأنبياء، و روضة الواعظين، و الحسين بن حمدان، و الدر النظيم.

(۳) راجع: بصائر الدرجات ص ۲۵ و الكافى ج ۱ ص ۳۳۱ و ج ۸ ص ۱۶۲ و الغدير ج ۷ ص ۳۵ عنهما. و إختيار معرفة الرجال ص ۱۷ و البحار ج ۲۲ ص ۳۴۳ و ۲۴۵ و مصابيح الأنوار ج ۱ ص ۳۴۸ و قاموس الرجال ج ۴ ص ۴۱۸ و نفس الرحمن ص ۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۳

إلا أن يدّعى: أنه إنما آخى بينهما بعد غزوة الخندق فلاحظ!.

رابعا: إن ما ذكروه إنما يتم بناء على ما قيل من أن غزوة ذات الرقاع قد كانت قبل غزوة الخندق، و أما بناء على ما هو الصحيح من أنها إنما كانت بعد خيبر، فلا يبقى محذور فى أن يكون أبو ذر هو الذى ولى المدينة، بعد قدومه إليها بعد الخندق.

تضحيات عباد بن بشر:

و فى غزوة ذات الرقاع نزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ليلا، و كانت ليلة ذات ريح، و كان نزوله فى شعب استقبله.

فقال: من رجل يكلؤنا هذه الليلة؟ فقام عبّاد بن بشر أو عمارة بن حزم، و قام أيضا عمار بن ياسر، فقالا: نحن يا رسول اللّه نكلؤكم.

و عبارة البعض: انتدب رجل مهاجرى، و آخر أنصارى فجلسا على فم الشعب، فقال عبّاد لعمار: أنا أكفيك أول الليل، و تكفينى آخره، فنام عمار، و قام عباد يصلى.

و كان زوج بعض النسوة اللاتى أصابهن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» غائبا، فلما جاء و عرف ما جرى، تتبع الجيش، و حلف لا ينثنى حتى يصيب محمدا، أو يهريق فى أصحاب محمد دما.

فلما رأى سواد عباد قال: هذا ربيئة القوم، ففوّق سهما فوضعه فيه، فانتزعه عباد، فرماه بآخر، فانتزعه، فرماه بثالث فانتزعه كذلك. فلما غلبه الدم أيقظ عمارا، فلما رأى ذلك الرجل عمارا جلس علم أنه قد نذر به فهرب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۴

فقال عمار لعباد: ما منعك أن توقظنى له فى أول سهم يرمى به؟

فقال: كنت أقرأ فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها. أضاف فى نص آخر: فلما تابع على الرمى أعلمتك.

و فى نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» جعلهما بإزاء العدو فرمى أحدهما بسهم و هو يصلى، فأصابه، و نزفه الدم و لم يقطع صلاته، ثم رماه بثان و ثالث و هو يصيبه و لم يقطع صلاته.

و يقال: إن عبّادا قال معتذرا عن إيقاظ صاحبه: لو لا أنى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ما انصرفت و لو أتى على نفسى «۱».

و يقال: إن الأنصارى هو عمارة بن حزم «۲».

قال الحلبى الشافعى: «و بهذه الواقعة استدل أئمتنا على أن النجاسة الحادثة من غير السبيلين لا تنقض الوضوء؛ لأنه «صلى اللّه عليه و آله» علم ذلك و لم ينكره. و أما كونه صلى مع الدم، فلعل ما أصاب ثوبه و بدنه منه قليل. و لا ينافى ذلك ما تقدم فى الرواية قبل هذه: فلما غلبه الدم. إذ يجوز

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۱ و ۲۷۲ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۸ و ۲۲۹ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و ۱۱۲ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۸ و ۲۱۹ و المغازى للواقدى ج ۱ ص ۳۹۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۴ و ۱۶۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۵ و ۸۶ و راجع السنن الكبرى ج ۹ ص ۱۵۰ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۵۸ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۸.

(۲) دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۵

مع كونه كثيرا أنه لم يصب ثوبه و لا بدنه إلا القليل منه» «۱».

تسجيل تحفظ:

و نحن و إن كنا لا نملك معطيات كثيرة فى مجال البحث حول هذه القضية، إلا أننا نرتاب فى أن يكون الذى تعرض للسهام هو خصوص عباد بن بشر، لأننا نشعر من خلال مراجعة ما لدينا من نصوص حول هذا الرجل: أنه كان موضع اهتمام فريق خاص يعنى بتسجيل الكرامات له، فراجع ترجمته «۲».

كما أن ما ذكر آنفا لتصحيح صلاة عبّاد بالدماء ليس كافيا فى ذلك كما هو ظاهر.

مع الحدث فى مراميه و دلالاته:

إن من الواضح: أن حرب بدر بكل ظروفها، و أحداثها و ملابساتها قد أقنعت أهل الإيمان بأن الجهاد ليس مجرد إنجاز عسكرى يتجلى و يتجسد

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۲.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۲۶۳ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۲ ص ۴۵۲- ۴۵۶ و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۳۳۷- ۳۴۰ و فى هامشه عن المصادر التالية: طبقات ابن سعد ج ۳ قسم ۲ ص ۱۶ و طبقات خليفة ص ۵۸ و تاريخ خليفة ص ۱۱۳ و التاريخ الصغير ص ۳۶ و الجرح و التعديل ج ۶ ص ۷۷ و مشاهير علماء الأمصار ص ۱۱۳ و الإستبصار ص ۲۲۰- ۲۲۲ و تاريخ الإسلام ج ۱ ص ۳۷۰ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ۱ ص ۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۶

من خلال جهد يبذل فى ساحة القتال، تتجلى فيه فاعلية السلاح المتفاعل مع عنصرى الشجاعة الذاتية من جهة، و الطموح من جهة أخرى، حيث يرسم معالمهما جهد تربوى، و تعليمى، و شحن روحى و نفسى، بالإضافة إلى تأثير النواحى التنظيمية، و ما يتبع ذلك من تخطيط عسكرى مستند إلى الخبرات الواسعة، و الدراسات المعمقة، إلى أن ينتهى الأمر بحسن الأداء، و الدقة فى التنفيذ و الالتزام.

إن حرب بدر ثم ما تلاها من حروب و أحداث، و كذلك ما سبقها من ذلك أيضا قد أقنعت أهل الإيمان: بأن الحرب ليست هى مجرد ما ذكرناه آنفا.

و إنما الحرب و الجهاد عبادة و فناء فى ذات اللّه، و باب قد فتحه اللّه و لكن ليس لكل أحد، و إنما لخاصة أوليائه، حيث يخرج من عالم و يدخل من ذلك الباب إلى عالم جديد بكل ما لهذه الكلمة من معنى. يعبر الإنسان فيه بوابة الموت ليصل إلى الحياة، و هى الحياة الحقيقية التى يصبح فيها هؤلاء الأموات الأحياء شهداء على الناس؛ لأنهم أصبحوا قادرين على فهم الواقع بعمق، و من دون أية حواجز و موانع تقلل من درجة الإدراك، سواء كانت تلك الحواجز مادية- و لو كانت هى نفس الوسائل التى يستخدمها الإنسان للحصول على العلم بما يحيط به من حوله- أو كانت من نوع الشهوات و الأهواء، و غيرهما مما يمنع من إدراك الأشياء على حقيقتها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۹ ۳۳۶ مع الحدث فى مراميه و دلالاته: ..... ص : ۳۳۵

يهدف إلى تسديد الضربة إلى الإسلام و المسلمين، أو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۷

يهدف إلى سلب الإنسان المسلم حرية الرأى و حرية الاعتقاد، و حرية التفكير، و حرية الممارسة.

و لأجل هذه السنخية بين الصلاة و بين الجهاد، فإننا لا نستغرب بعد هذا أن يكون أولئك المجاهدون، الذين يقفون فى موقع متقدم لحمايته من الأعداء، تنصرف همتهم فى هذه المواقع بالذات إلى ممارسة الجهاد الأصغر، و التربية النفسية عن طريق ترويض النفس، و

تربيتها بالصلاة التى هى عمود الدين.

فتكون الصلاة و العبادات هى الشغل الشاغل لهم فى هذه المواقع بالذات، حيث يرون أنفسهم فيها فيما بين الدنيا و الآخرة، فتلين قلوبهم، و تصبح نفوسهم أكثر شفافية و صفاء، و يصبحون أكثر شجاعة و صبرا و تحملا للمكاره .. و ما قصة عبّاد و عمار المذكورة إلا شاهد صدق على ما نقول.

۲- إننا نلاحظ: أن الرجل الذى استهدفه ذلك المشرك بسهامه لم يوقظ رفيقه لانهزامه أمام سهام ذلك العدو الغادر، و إنما من إحساسه بالمسؤولية تجاه ما كلفه به النبى «صلى اللّه عليه و آله». فهو يوقظه لأنه يريد مواصلة الصمود بذلك، لكى لا يضيع ثغرا من ثغور المسلمين. أى أنه لم يوقظه ليستعين به على الدفع عن نفسه، و ليجد فيه قوة له كفرد، و إنما أراده ليحفظ الإسلام و ثغوره.

قصة غورث بن الحارث:

و يذكر المؤرخون و المحدثون هنا قصة مفادها:

أنه حين تحصن بنو محارب فى رأس جبل فى غزوة ذات الرقاع قال لهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۸

غورث بن الحارث: ألا أقتل لكم محمدا؟!

قالوا: بلى، و كيف تقتله؟!

قال: أفتك به. أى يقتله على حين غفلة.

فجاء إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و سيفه «صلى اللّه عليه و آله» فى حجره، فقال: يا محمد، أرنى أنظر إلى سيفك هذا (و كان محلى بفضة) «۱»، فأخذه من حجره؛ فاستله، ثم جعل يهزه، و يهم به، فيكبته اللّه (أى يخزيه) ثم قال: يا محمد، أما تخافنى؟!

قال: لا، بل يمنعنى اللّه تعالى منك.

ثم دفع السيف إليه «صلى اللّه عليه و آله» فأخذه النبى «صلى اللّه عليه و آله» و قال: من يمنعك منى؟!

قال: كن خير آخذ.

قال: تشهد أن لا إله إلا اللّه، و أنى رسول اللّه ..

قال: أعاهدك على أنى لا أقاتلك، و لا أكون مع قوم يقاتلونك.

قال: فخلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سبيله؛ فجاء قومه، فقال:

جئتكم من عند خير الناس!!.

زاد فى بعض المصادر قوله: و أسلم هذا بعد، و كانت له صحبة «۲».

---

(۱) راجع: البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۶.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۲ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۷۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۸ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۷ و شرحه مطبوع معه بهامشه و تاريخ ابن الوردى ج ۱ ص ۱۶۰ و أشار إلى ذلك أيضا فى: الوفاء ص ۶۹۱ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۱۱ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۶ و فتح-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۳۹

زاد فى نص آخر قوله: فلما حضرت الصلاة صلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» صلاة الخوف فكانت للنبى «صلى اللّه عليه و آله» أربع ركعات، و للناس ركعتين «۱».

و فى بعض نصوص الرواية: أنه لما هم غورث برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «منعه اللّه عز و جل لذلك، و انكب على وجهه، فنزلت: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ «۲» الآية.

و لهذه الرواية نص آخر: لا يختلف كثيرا عما ذكرناه فراجع «۳».

قال القسطلانى و غيره: «و ذكر الواقدى فى نحو هذه القصة: أنه أسلم،

- البارى ج ۷ ص ۳۳۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۳۱۶ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۲ و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۹۰ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۷ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۴ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴.

(۱) دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۶.

(۲) نهاية الأرب ج ۱۷ ص ۱۶۰ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۳ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۳ و ۱۶۱ و ۱۶۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۴ و ۸۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۲۲۸ و راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۶ و دلائل النبوة لأبى نعيم ص ۴۲۲- ۴۲۴ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۶۶ عن ابن جرير، و ابن إسحاق، و أبى نعيم فى الدلائل، و ابن المنذر، و عبد بن حميد و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۱.

(۳) الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۶۱ و ۶۲ و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۲ و نهاية الإرب ج ۱۷ ص ۱۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۰

و رجع إلى أهله، فاهتدى به خلق كثير» «۱».

قصة أخرى تشبه قصة غورث:

و هناك قصة أخرى يقال: إنها قد حصلت فى هذه الغزوة أيضا، و هى تشبه قصة غورث. و قد استبعد البعض اتحاد القصتين، لاختلاف سياقهما.

و ملخصها: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لما قفل راجعا إلى المدينة أدركته القائلة يوما بواد كثير العظاه، أى الأشجار العظيمة، التى لها شوك، و تفرق الناس فى العظاه يستظلون بالشجر، و نزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» تحت ظل شجرة ظليلة.

قال جابر: تركناها للنبى «صلى اللّه عليه و آله»؛ فعلق «صلى اللّه عليه و آله» سيفه فيها؛ فنمنا نومة فإذا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يدعونا؛ فجئنا إليه؛ فوجدنا عنده أعرابيا جالسا، فقال:

«إن هذا اخترط سيفى، و أنا نائم، فاستيقظت، و هو فى يده مصلتا، فقال لى: من يمنعك منى؟!

قلت: اللّه.

قال ذلك ثلاث مرات، فشام السيف، و جلس، فلم يعاقبه رسول اللّه».

و عند مسلم و البخارى، و فى فتح البارى: فهدده أصحاب رسول اللّه، فأغمد السيف و علقه «۲».

---

(۱) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۱۰۷ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۳۱.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۲۰۱ و ۲۰۲ و صحيح البخارى ج ۲ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و ج ۳ ص ۲۴ و ۲۵ و صحيح-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۱

و فى رواية أخرى: «أنه جعل يضرب برأسه الشجرة، حتى انتثر دماغه» «۱».

زاد فى نص آخر قوله: «فأغمد السيف و علقه، فنودى بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا» و ذكر صلاة الخوف «۲».

و نص آخر يقول: «كان قتادة يذكر نحو هذا و يقول: إن قوما من العرب أرادوا أن يفتكوا بالنبى «صلى اللّه عليه و آله»؛ فأرسلوا هذا الأعرابى، و يتلو: اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ .. «۳».

و نقول:

إننا نشك فى صحة هذه القصة و تلك، على حد سواء.

و نذكر القارئ: بأن هذه القصة تشبه قصة دعثور، التى يقال: إنها

- مسلم ج ۷ ص ۶۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۲ و ۱۶۳ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۴ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۳- ۳۷۵ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۷ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۳۰. و راجع: إعلام الورى ص ۷۸ و ۷۹ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۵ و ۱۷۶ عن مجمع البيان ج ۳ ص ۱۰۳.

و لكنهما ذكرا: أن ذلك كان فى غزوة محارب و بنى أنمار. و أنه «صلى اللّه عليه و آله» انصرف لأجل قضاء حاجته، و كان المطر يرش و جاء السيل قبل أن يفرغ من حاجته، فحال الوادى بينه و بين أصحابه. و كان العدو يرونهم، و لا يراهم المسلمون فأرسلوا غورث أو دعثور لقتل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فكان ما كان من دفع جبرئيل فى صدره، فراجع.

(۱) شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۷ عن البغوى فى التفسير.

(۲) دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۵ عن صحيح مسلم.

(۳) دلائل النبوة للبيهقى ج ۳ ص ۳۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۲

كانت فى غزوة ذى أمر، بل لقد قال البعض إنهما قضية واحدة «۱».

كما أنها تشبه قصة عمرو بن جحاش، التى يقال: إنها قد حصلت فى غزوة بنى النضير «۲».

و قد تحدثنا عن القصة الأولى فى الجزء الرابع من هذا الكتاب.

و أشرنا إلى الإشكال فى الثانية فى فصل: الجزاء الأوفى، تحت عنوان:

نزول آية سورة المائدة فى بنى النضير.

و فى الشفاء: «و قد حكيت مثل هذه الحكاية: أنها جرت له يوم بدر، و قد انفرد عن أصحابه لقضاء حاجته، فتبعه رجل من المنافقين، و ذكر مثله» «۳».

و نكتفى هنا بالإشارة إلى ما يلى:

أولا: إن هذه القضايا لا يمكن قبولها؛ لأنها تصور لنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بصورة إنسان بسيط و ساذج، لا يفكر بعواقب الأمور، بل يخدعه أعرابى، دون أن يستعمل أى أسلوب متميز، بل هو لا يزيد على أن طلب منه أن يعطيه سيفه، لينظر إليه.

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۲ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۵ و فتح البارى ج ۷ ص ۳۳۱ و بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۷.

(۲) السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۲۱۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۱۶۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۸۴ و راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۲۶۴ و ۲۶۱ و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۲۱۲ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ۱۲۱ و فتح البارى ج ۷

ص ۲۵۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۶۴.

(۳) شرح بهجة المحافل ج ۱ ص ۲۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۳

و معنى ذلك هو أن هـذا النبى، الذى يطلب من أى مؤمن عادى أن يكون كيّسا و فطنا، و حذرا «۱»، لم يلتزم هو بأبسط قواعد الحذر أو الكياسـة و الفطانة، و قد أمر اللّه المؤمنين بالحذر فى صـلاة الخوف، و أمرهم بذلك أيضا فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً «۲».

ثانيا: إن هذا النبى الكريم و العظيم «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى أمر باتخاذ الحرس للجيش يطوفون به، و كان مواظبا على الاستعانة بهم، و الاعتماد عليهم فى غزواته «۳».

و أين كان عنه على «عليه السـلام» الـذى كان يتولى حراسته بنفسه، فى الحضـر، و فى السـفر، و كان فى حرب بدر و الحرب قائمة لا يزال يتفقد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى موضعه «۴»؟

---

(۱) راجع: الخصال ج ۱ ص ۹۹ و ۱۰۰ و عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۲۵۷ و البحار ج ۶۸ ص ۳۳۹ و ج ۶۴ ص ۳۰۷.

(۲) الآية ۷۲ من سورة النساء.

(۳) راجع فى جعل النبى الحرس أفرادا، و جماعات: المغازى للواقـدى ج ۲ ص ۶۰۲ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۹۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۲۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۲۱ و شـرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۲۲۸ و تاريـخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۵۱ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۲۸۰ و ج ۳ ص ۲۴۹ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۵۶ و ۳۵۸.

(۴) راجع: البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ عن البيهقى، و عن النسائى فى اليوم و الليلة و حياة الصـحابة ج ۱ ص ۵۰۲ عنه و عن كنز العمال ج ۵ ص ۲۶۷ عن الحاكم و البزار، و أبى يعلى، و الفريابى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۴

و كان هو المدافع عنه و الحامى له فى حرب أحد، و فى غيرها. و كان له فى مسجد النبى «صلى اللّه عليه و آله» أسطوانة أمام الحجرة، يجلس إليها لحراسته «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

و زعموا: أن غير على «عليه السلام» أيضا كان يحرس النبى «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

ثالثا: كيف يترك جيش بأكمله قائـدهم، و نبيهم وحيـدا فريـدا فى غابـة، تكثر فيها المفاجئات، و لا يلتفت و لو واحـد منهم إلى رجل يتسلل إلى موضعه «صلى اللّه عليه و آله»، حتى يهدد حياته بخطر أكيد؟ ثم ينجيه اللّه منه.

و هل نام الجيش بأكمله فى آن واحد؟!

رابعا: قد ذكرت بعض النصوص ما يفيد: أن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» قد صـلى بأصحابه صلاة الخوف فى هذه المناسبة، مع أنه لم يكن- حسبما يستظهر من تلك النصوص- يواجه عدوا يخشاه، بل كان ذلك فى طريق عودته إلى المدينة.

و إن كـان يظهر من بعض الروايات الأخرى: أن ذلك كان حينما كان رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» يواجه أعـداءه فى غزوة ذات الرقاع.

خامسا: قد ذكرنا فيما سبق أن آية: اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَ

---

(۱) وفاء الوفاء ج ۲ ص ۴۴۸.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۴۲۸ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۵۷ و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۲۴ و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۶۵۰ و ۶۵۱ و

۲۵۱ و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۹۱ و ۴۵۰ و ج ۴ ص ۱۳۴ و التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۳۵۶ و ۳۹۲ و ۳۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۵

قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ «۱»، قد وردت فى سورة المائدة. و هى قد نزلت قبل وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» بشهرين أو ثلاثة دفعة واحدة على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

إلا أن يدّعى: تكرر نزول الآية، و هو يحتاج إلى إثبات، ما دام أنه لا يمكن إبقاء آية معلقة بالهواء عدة سنوات و القرآن ينزل، ثم تنزل سورة، فيأتى بها و يضعها فيها.

سادسا: الآية ذكرت: أن قوما قد هموا أن يبسطوا أيديهم لضرب المسلمين، و هى لا تناسب شخصا واحدا كما هو مورد البحث هنا. و من يدرى، فقد تكون هذه الآية قد نزلت فى الذين تآمروا على النبى «صلى اللّه عليه و آله» ليلة العقبة، لينفروا به ناقته، و يقتلوه.

سابعا «۳»: يلاحظ مدى التناقض فيما يرتبط بمصير هذا الرجل الذى تقول رواية: إنه ضرب رأسه بالشجرة حتى انتثر دماغه، و أخرى تقول: إنه أسلم و اهتدى به خلق كثير.

---

(۱) الآية ۱۱ من سورة المائدة.

(۲) البرهان فى تفسير القرآن ج ۱ ص ۴۳۰ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۵۲ عن أحمد، و أبى عبيد فى فضائله، و النحاس فى ناسخه، و النسائى، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه، و البيهقى فى سننه، و الترمذى، و حسنه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير. و ممن صرح أنها نزلت دفعة واحدة كما فى المصدر المتقدم: أحمد، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و الطبرانى، و محمد بن نصر فى الصلاة، و أبو نعيم فى الدلائل و البيهقى فى شعب الإيمان.

(۳) راجع ما تقدم فى السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۷۳ و ۲۷۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۶

و تناقض آخر: و هو أنه لما دعا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه، وجدوا رجلا جالسا عنده، فأخبرهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» بما جرى له معه.

و فى رواية أخرى: أنهم تهددوه حتى أغمد السيف.

و فى النص الأول المتقدم: أنه رد السيف إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله».

و فى نص رابع: أن جبريل دفع فى صدره فوقع السيف من يده «۱».

إلى تناقضات أخرى: يستطيع من يقارن بين نصوص الروايات أن يقف عليها، و يلتفت إليها.

ثامنا: لما ذا يعيد غورث بن الحارث السيف إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حسبما ذكرته الرواية الأولى؟!

هذا كله: عدا عن عدم معقوليته أن يضرب رأسه حتى ينتثر دماغه، سوف يغمى عليه من أول ضربة شديدة يتعرض لها رأسه.

نقول ذلك كله: مع أننا على يقين من أن من الممكن أن يتسلل بعض الناس إلى جهة النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فى ظروف معينة. و لكن بغير هذه الطريقة و ليس على حساب كرامة النبى «صلى اللّه عليه و آله»، حين يكون الهدف هو النيل من شخصيته بصورة أو بأخرى.

القصة الأقرب إلى القبول:

و نعتقد: أن القصة الأقرب إلى القبول هى ما رواه أبان، عن أبى بصير،

---

(۱) فتح البارى ج ۷ ص ۳۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۷

عن أبى عبد اللّه «عليه السلام»، قال:

«نزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى غزوة ذات الرقاع تحت شجرة، على شفير واد، فأقبل سيل، فحال بينه و بين أصحابه، فرآه رجل من المشركين، و المسلمون قيام على شفير الوادى ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمدا.

فجاء و شد على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالسيف، ثم قال: من ينجيك منى يا محمد؟.

فقال: ربى و ربك، فنسفه جبرئيل «عليه السلام» عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أخذ السيف و جلس على صدره و قال: من ينجيك منى يا غورث؟!

فقال: جودك و كرمك يا محمد. فتركه، فقام، و هو يقول: و اللّه، لأنت خير منى و أكرم» «۱».

كيف نفهم هذه القصة؟!

و بعد .. فإنه إذا كان لهذه القصة أصل، و قبلنا منها ما يتوافق مع الضوابط العامة، و مع النظرة الواقعية لشخصية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و مع الظروف التى كانت قائمة آنذاك،

و بعد أن تصبح عناصر القصة فى حدود المعقول و المقبول، فإننا إذا أردنا أن نستفيد منها فى مجال التقييم و التقويم، فإن ما يمكن أن نقوله هو:

---

(۱) الكافى ج ۸ ص ۱۲۷ و البحار ج ۲۰ ص ۱۷۹ عنه، و إعلام الورى ص ۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۸

إن اللّه لم يزل يرعى نبيّه، و يظهر له المزيد من الكرامة، و يحوطه بألطافه، و يكلؤه، و يحفظه، و يصونه.

و يلفت نظرنا هنا: تأثير جواب النبى «صلى اللّه عليه و آله» لذلك الرجل بأن اللّه هو الذى يمنعه منه، فى ظرف لم يكن ذلك الرجل يفكر باللّه سبحانه، و لا يخطر فى باله أن يتدخل اللّه فى موقف كهذا لنصرة أى من الفريقين، و رأى من ثقة النبى «صلى اللّه عليه و آله» باللّه و اعتماده عليه حتى إنه لم تتطرق ذرة من الخوف إلى قلبه الشريف حتى فى موقف كهذا- رأى من ذلك ما أرعبه، و هز كيانه، و أثار أمامه أكثر من سؤال، فتزعزعت الثوابت التى كانت تتحكم فى كيانه و تهيمن على وجوده. فلم يعد ثمة ما يحمى له قراره بقتل محمد، و أصبحت اليد الممدودة ليس لها مدد من إرادة، و لا رافد من عزيمة، فكان من الطبيعى أن تسقط، و يسقط السيف الذى كانت تحمله.

ثم لما رأى السيف فى يد النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و رجع إلى كيانه و وجوده، فرآه موزعا و خاويا، و راجع حساباته كلها، فرأى أنه لا يملك أى رصيد يخوله أن يعتمد عليه، و يستند إليه، كان لا بد له من الاعتراف بأن لا أحد يمنع أو يدفع عنه، فما دام اللّه ليس معه، فإنه لا أحد معه، و هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها و الانصياع لها قبل فوات الأوان، و هكذا كان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۴۹

الفهارس

۱- الفهرس الإجمالى

۲- الفهرس التفصيلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵۱

۱- الفهرس الإجمالى الفصل الرابع: دلالات و عبر ۵- ۳۰

الباب الخامس: غزوة بنى النضير الفصل الأول: النصوص و الآثار ۳۳- ۶۲

الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول ۶۳- ۱۱۰

الفصل الثالث: القرار و الحصار ۱۱۱- ۱۷۰

الفصل الرابع: الجزاء الأوفى ۱۷۱- ۲۳۲

الفصل الخامس: كى لا يكون دولة بين الأغنياء ۲۳۳- ۲۶۴

الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى ۲۶۵- ۳۰۸

الباب السادس: حتى الخندق الفصل الأول: غزوة ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث ۳۱۱- ۳۴۸

الفهارس ۳۴۹- ۳۶۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵۳

۲- الفهرس التفصيلى الفصل الرابع: دلالات و عبر يكفينيك اللّه، و ابنا قيلة: ۷

النبى صلّى اللّه عليه و آله يحمّل أبا براء المسؤولية: ۸

شرف التواضع .. و ذل الغطرسة: ۹

الرسل لا تقتل: ۱۰

ديّة الرجلين، لما ذا؟! ۱۲

الأفق الضيق: ۱۳

خلافة النبوة: ۱۴

المشركون فى مواجهة الوجدان: ۱۶

رفضه صلّى اللّه عليه و آله هدية ملاعب الأسنة، منطلقاته، و دلالاته: ۱۷

المنطق القبلى مرفوض فى الإسلام: ۲۰

مصير زيد بن قيس، و ابن الطفيل: ۲۱

فزت و اللّه: ۲۱

الباب الخامس: غزوة بنى النضير الفصل الأول: النصوص و الآثار تمهيد ضرورى: ۳۵

نص ابن كثير: ۳۸

قصة عمرو بن سعدى القرظى: ۴۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵۴

القتال .. فى بنى النضير: ۵۱

نصوص أخرى حول قضية بنى النضير: ۵۳

ليخبرن بما هممتم به: ۵۸

الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول بداية: ۶۵

الاختلافات الفاحشة: ۶۵

تاريخ غزوة بنى النضير: ۶۶

تذكير بما سبق: ۶۹

تهافت ظاهر: ۷۶

سبب غزوة بنى النضير: ۷۶

رواية لا يعتمد عليها: ۸۲

نقض العهد .. و التكبير: ۸۳

نقض العهد و المؤامرة: ۸۵

المعاهدات فى الإسلام: ۸۶

من عهد الأشتر: ۸۷

الوفاء بالعهد: ۹۰

الشرط الأساس فى كل عهد: ۹۰

العهود لا تنقض، و هى ملزمة للجميع: ۹۱

إحترام أمور المعاهدين: ۹۳

المعاهدون لا يجفون و لا يقصون: ۹۳

من نتائج الصلح و العهد: ۹۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵۵

العهد .. و الحذر: ۹۵

الخيانة فى حجمها الكبير: ۹۶

الوفاء بالعهد ضرورة حياتية: ۹۷

الغدر عجز، و عدم ورع: ۹۸

الغادر هو الذى يعاقب: ۹۹

السلاح فى أيدى المعاهدين: ۹۹

موقف له دلالاته: ۱۰۰

وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن: ۱۰۲

الجرأة و مبرراتها: ۱۰۴

التصوير الحاقد، و التزوير الرخيص: ۱۰۷

مزيد من التجنى: ۱۰۸

الفصل الثالث: القرار و الحصار القرار الحكيم: ۱۱۳

لما ذا كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله أوسيا؟: ۱۱۵

حامل اللواء: ۱۱۷

الفتح على يد على عليه السّلام: ۱۲۰

۱- الحكمة .. و المعجزة: ۱۲۲

۲- الشعور بالمسؤولية: ۱۲۳

۳- الأسرار العسكرية: ۱۲۳

۴- دراسة شخصية العدو: ۱۲۴

۵- إستباق مخططات العدو: ۱۲۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵۶

۶- العمليات الوقائية: ۱۲۵

۷- إرهاصات: ۱۲۵

۸- الفتح على يد على عليه السّلام: ۱۲۶

۹- قتل قائد المجموعة: ۱۲۷

۱۰- الإشكال فى شعر حسان: ۱۲۷

تحديد المواقع: ۱۲۸

۱- بنو النضير شرقى المدينة: ۱۳۰

مناقشة للسمهودى لا تصح: ۱۳۴

مناقشة أخرى وردها: ۱۳۵

۲- قرب بنى خطمة إلى بنى النضير: ۱۳۵

خلاصة أخيرة: ۱۳۹

مناقشة مع الواقدى: ۱۳۹

قطع النخل، أو حرقه: ۱۴۰

عدد النخلات المقطوعة؟! ۱۴۲

تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل: ۱۴۳

۱- لما ذا ابن سلام؟! ۱۴۵

۲- شكوك تصل إلى حد التهمة: ۱۴۵

البعض لم يفهم الآية: ۱۴۶

۳- الحرق أم القطع؟! ۱۴۷

الحكم الفقهى فى قطع الأشجار و حرقها: ۱۴۷

حرق النخيل، و الفساد فى الأرض: ۱۴۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵۷

جواب السهيلى، لا يصح: ۱۵۰

ضرورة قطع الأشجار، و حرقها: ۱۵۶

المهاجرون!! و قطع النخل: ۱۶۱

التصويب فى الاجتهاد: ۱۶۵

هذا الشعر لمن؟! ۱۶۷

الفصل الرابع: الجزاء الأوفى تحسبهم جميعا، و قلوبهم شتى: ۱۷۳

اليهود و المنافقون لا ينصرون حلفاءهم: ۱۷۶

يخربون بيوتهم بأيديهم: ۱۷۸

نجاف الباب و وصية موسى: ۱۸۱

روايات غير موثوق بصحتها: ۱۸۲

لأول الحشر: ۱۸۳

سبب إخراج عمر لليهود: ۱۸۹

دعاوى لا تصح: ۲۰۱

الرواية الأقرب إلى القبول: ۲۰۳

لا إكراه فى الدين: ۲۰۳

إلى خيبر، أم إلى الشام؟ ۲۰۵

السلاح للمؤمنين فقط: ۲۰۷

حزن المنافقين: ۲۰۸

نماذج مثيرة: ۲۱۰

حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود: ۲۱۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵۸

رواية شاذة لابن عمر: ۲۱۳

رواية أخرى تحتاج إلى إصلاح: ۲۱۴

بنو النضير بمنزلة بنى المغيرة: ۲۱۵

ملاحظة: ۲۲۱

نزول آية سورة المائدة فى بنى النضير: ۲۲۱

التربية القرآنية: ۲۲۲

اللّه هو الذى أخرجهم: ۲۲۳

العز، و الذل .. بماذا؟ ۲۲۵

مبالغات لا مبرر لها: ۲۲۶

صلاة الخوف فى بنى النضير: ۲۲۹

تحريم الخمر فى غزوة بنى النضير: ۲۲۹

الفصل الخامس: كى لا يكون دولة بين الأغنياء الخيانة و الفداء: ۲۳۵

أموال بنى النضير فى النصوص و الآثار: ۲۳۵

أموال بنى النضير لم تخمس: ۲۳۹

توضيحات للواقدى: ۲۴۱

ألف: التعبير ب «صدقات» و «صوافى»: ۲۴۱

ب: حبائل ماكرة أخرى: ۲۴۲

أموال بنى النضير فىء أم غنيمة؟ ۲۴۴

الجواب الأمثل: ۲۴۶

المهاجرون .. و أموال بنى النضير: ۲۴۷

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۵۹

حكايهٔ قسمهٔ الأراضى: ۲۴۸

محاسبات دقيقهٔ: ۲۴۹

المستفيدون من أراضى بنى النضير: ۲۵۳

نصان غير متوافقين: ۲۵۶

كى لا يكون دولهٔ بين الأغنياء ۲۵۷

لما ذا اختص ذوو القربى بالخمس و الفيء؟ ۲۶۱

الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى الغاصبون: ۲۶۷

نص الروايهٔ: ۲۶۷

المؤاخذات التى لا محيص عنها: ۲۷۳

سؤال .. و جوابه: ۲۸۵

الانتصار لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، أم لعمر الفاروق؟! ۲۹۴

يحسبهم الجاهل أغنياء: ۲۹۶

الزهد .. الحريهٔ: ۳۰۳

الزهراء عليها السّلام .. فى مواجههٔ التحدى: ۳۰۴

لما ذا لم يسترجع على عليه السّلام ما اغتصب؟! ۳۰۸

الباب السادس: حتى الخندق الفصل الأول: غزوهٔ ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث بدايهٔ: ۳۱۳

الرصد الدقيق: ۳۱۳

نتائج و آثار: ۳۱۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۹،ص:۳۶۰

غزوهٔ ذات الرقاع: ۳۱۶

نقاط لا بد من بحثها: ۳۱۸

التسميهٔ بذات الرقاع: ۳۱۹

تاريخ هذه الغزوهٔ: ۳۲۱

الصحيح و المعقول: ۳۲۳

مؤيدات: ۳۲۷

لما ذا مؤيدات؟! ۳۲۷

كلام الدمياطى: ۳۲۸

دليل الرأى الآخر: ۳۲۹

غزوتان أم غزوهٔ واحدهٔ: ۳۳۰

من استخلف النبى صلّى اللّه عليه و آله على المدينهٔ: ۳۳۱

تضحيات عباد بن بشر: ۳۳۳

تسجيل تحفظ: ۳۳۵
مع الحدث فى مراميه و دلالاته: ۳۳۵
قصة غورث بن الحارث: ۳۳۷
قصة أخرى تشبه قصة غورث: ۳۴۰
القصة الأقرب إلى القبول: ۳۴۶
كيف نفهم هذه القصة؟! ۳۴۷
الفهارس:
۱- الفهرس الإجمالى ۳۵۱
۲- الفهرس التفصيلى ۳۵۳
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۱۰،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.
– من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹